

قضاة على أبواب الجنة وآخرون على شفير جهنم



دار الكتاب الحديث

هلال محمد العيسى

قُضَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وآخَرُونَ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ

هلال محمد العيسى

دار الكتب الحديث



مقدمة الكتاب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين، الحمد لله خالق الخلق القاضى بالحق، والمثيب على الصدق، فاصل الأمور ومحصى الدهور ومحصل ما فى الصدور. أمر الله سبحانه وتعالى فى كتبه المتزلة بإقامة العدل بين عباده فى الأرض، واستخلف من خلقه ما يشاء من رسل لينصفوا من عباده ويقوموا بأمره. فقد علم خالق النفس البشرية أنه سيكون هناك ظالم ومظلوم، لذا أمر الناس بإقامة العدل والحكم به وشرع لذلك موازين دقيقة للقضاء، لذا فالمؤسسة القضائية فى الأصل يجب أن تكون عادلة، لأنها تحكم بالكتاب والسنة وتحكم باسم الله ودينه وسنة نبيه .

وسبب تناولى لهذا الموضوع هو استهانة البعض - وهم قلة والحمد لله - بأمر القضاء وعدم إقامتهم للعدل. لذا فالحديث عن القضاء والقضاة حديث ذو شجون، وأجزم صادقاً أنه أصبح حديثاً سائداً فى المجتمعات والدول المختلفة، عن قضاة اشتروا الدنيا وتعلقوا بها، أو كما قال ابن عباس عنهم: أذلوا أنفسهم فى طلب الدنيا وحب المناصب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه الفئة وإن كانت قليلة بحمد من الله، إلا أن ضررها بالغ وشرها عظيم كالصديد فى الجسد السليم، ومن أكبر أضرارها أنها تسيء إلى الفئة الكثيرة من القضاة والعلماء الأتقياء، الذين همهم الأكبر هو تعظيم أرواحهم عند الله.

هذا الكتاب لم يأت من فراغ، فقد استشرى الظلم وتهاون البعض منهم، ومن المعلوم أن اهتزاز الثقة فى مؤسسة القضاء سيؤدى إلى فقدانها لمكانتها وهيبتها، وهنا لاشك أن المجتمع سيقع فى كارثة لا يعرف مداها إلا الله .

فى كتابى هذا لن أتكلم عن القضاء بالتفصيل، وإنما سألقى بعض الضوء فقط، على بعض ما جاء به وعنه، من أوامر ونواهٍ وأقوال وأخبار، وما رُوى عن الله ورسله، والصحابة والتابعين والحكماء والبلغاء فى القضاء والقضاة، وضرورة التشدد والحذر فى اختيار القاضى الصالح، تبعاً لأهليته العلمية والدينية، وجدارته بتولى مثل هذا المنصب، وضرورة استقلاله بأحكامه، وعدم التدخل بذلك من ولاية الأمور ومن فى حكمهم، وضرورة فرض الرقابة من ولى الأمر عليهم .

إن القضاء مركب وعمر ومسلك خطر، وكيف لبشر، لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها، قد خفيت عنه البواطن وحجبت الأسرار، أن يلزم بالحق ويبعد عن الخطأ إلا بتأييد من الله تعالى. لذا امتنع الفقهاء الحق عن تولى منصب القضاء وفروا منه، بل اختفى بعضهم عن الأعين حتى لا

يُكره عليه، وفزع الصالحون وفروا منه فرارا ورضوا بالسجن ولم يرتضوه، وصبروا على الضرب ولم يقبلوه. فمنهم من جلد أو حبس وعذب أو هدمت داره لامتناعه عن توليه، خوفا من أن لا يوفيه حقه أو يقوم بحقه .

إن القضاة بشر ليسوا معصومين من الخطأ، يجري عليهم ما يجري على غيرهم من بني الإنسان، فحصول الخطأ وارد، وبالتالي لا ينبغي مطلقاً إن أخطأ أحدهم أن نوجه النقد لكل المنتمين للمؤسسة القضائية، فالخطأ طبيعة البشر. والمهدف هو الإصلاح وتجنب الأخطاء، فالقاضي كالطبيب الجراح الماهر، يجب عليه أن يقدر الأمور قبل أن يتلفظ بالحكم .

إن النظام القضائي في الإسلام بحمد الله، يتميز بخصائص قامت على الدقة في التشريع والأحكام، وقد عزّت الدولة الإسلامية واعتزت دوماً، بمتانة شريعتها المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وعدل وسمو قضائها، ومساندة الصالحين من أولى الأمر لها. إن مسئولية ولي الأمر لمن يعهد لهم بتولى القضاء هي مسئولية عظيمة، فالقضاء أشد من الإفتاء. وعلى القاضي أن يعلم بأنه إنما يعمل تحت سمع وبصر من الله فهو المراقب له. فلا يجوز ولا يتجبر، فعين الله غير غافلة عنه، والظلم ظلمات يوم القيامة، ولا يكون ممن قيل فيهم: كثر شاكوك وقل شاكروك، فيما اعتدلت وإما اعتزلت. أو من خاطبهم الشاعر بقوله :

فمَنْ يَنْتَصِفُ الْمَظْلُومَ وَالْظَالِمَ الْقَاضِي

أَوْ مَن سَعَدُوا النَّاسَ وَاسْتَرَحُوا بِمَوْتِهِمْ كَمَا قَالَ الْبَاخِرْزِي :

قَاضٍ مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمَّا قَضَى مَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى

وَدُهِشْتُ حَتَّى لَسْتُ أَدْرِي أَنَّهُ مَاضٍ قَضَى أَوْ أَنَّهُ قَاضٍ مَضَى

لقد جمعت في هذا الكتاب بحمد الله قدر المستطاع مما جاء عن القضاء والقضاة من أخبار وأقوال وأفعال. ولقد حاولت جاهدا أن ألتزم بالتحقيق الدقيق للنصوص، وذلك بمراجعتها على أكثر من مصدر عند الضرورة، وأن أقوم بجمع نصوص الموضوع الواحد المتفرقة في المصادر بالإمكان. بتصرف لا يخل بالنص الأساسي والجوهري لمضمون النص نفسه مع الإشارة للمصادر الأساسية المستقى منها النص الأصلي. ووجدت أن بعض المواد المذكورة من قصص وروايات وأخبار، قد تكون بها بعض الكلمات الناقصة أو الساقطة من الطباعة في الأصل أو لم تضاف،

فأضفت من عندى عند الضرورة ما يساعد على التوضيح، دون الخروج عن الإطار العام للموضوع ولم أتدخل بحذف وإضافة إلا إذا استدعى السياق العام ذلك .

وأشرت إلى الإضافة التي أضفتها ووضعتها بين مربعين [] إشارة إلى أنه منى وليس من الكاتب أو المحقق ولقد اعتمدت على أوثق المصادر . فمصادري كانت كثيرة ومتشعبة، منها القرآن الكريم وكتب الحديث والتفاسير وكذلك كتب التراث الأدبي وكتب التاريخ وسير الرجال والأمثال والمعاجم . وخرجت الآيات القرآنية فأعدتها إلى سورها وأرقامها ، وذكرت الأحاديث وعرفت بمصادرها . وقمت بشرح لمعانى الكلمات الصعبة التي وردت في الكتاب . كذلك أكملت بعض الأبيات والقصائد الشعرية الناقصة من خلال دواوين الشعراء أو المراجع .

وأنوه أنه قد يتكرر الحديث أو القول في أكثر من موقع أو موضوع، وليس هذا بسهو أو خطأ، بل لأني وجدت أن تكراره يخدم النص المراد ويوضح الهدف منه .

ولقد وضعت للكتاب فهرسين: الأول للمراجع والثاني لأبواب الكتاب . والكتاب مكون من اثني عشر فصلا :

تحدثت في الفصل الأول: عن المفهوم اللغوي والشرعي للقضاء.

وفي الفصل الثاني: عن حكم القضاء ومشروعيته في الكتاب والسنة، والحكمة من مشروعيته .

وفي الفصل الثالث: أوضحت بعض ما جاء في القرآن الكريم، من الأمر بالحث على إقامة العدل وعدم الظلم وضرورة التشدد في المساواة بين الخصوم، دون النظر لدينهم أو مذاهبهم، أميرهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم .

كذلك في الفصل الرابع: تحدثت عن أدنى الشروط والصفات الواجب توفرها في القضاة، وعن ضرورة تحديد صلاحياته والواجبات الملقاة على عاتقه وعن انتهاء ولايته .

أما في الفصل الخامس : فتحدثت عن حقوق الإنسان التي كفلها له القرآن والسنة، بغض النظر عن دينه ومذهبه ولونه حرا كان أو مملوكا.

وفي الفصل السادس : تكلمت عن ضرورة الحرص على استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية وتدخل السلاطين والأمراء في اختيار القضاة وفي الفتاوى الشرعية والأحكام القضائية،

واتخاذ كل حاكم لمجموعة من العلماء والقضاة يحتضنهم ويدافع عنهم ويعتبرهم من أخصائه وبطانته ليحكموا له ولمن أراد. أو لعدم اختيار الأكفاء منهم، وكيف أن ذلك أدى إلى تدهور حالة القضاء وانهاره من الناحية الواقعية. ثم تحدثت عن فرض الرقابة على القضاة ومراقبة أحكامهم في النظام الإسلامي، وخطورة منصب القضاء .

وفي الفصل السابع: ذكرت نصائح وتحذيراً ووعداً ووعيداً من رسول الله ﷺ وآخرين، لكل من تولى أمراً من أمور القضاء ولم يتق الله بأحكامه، وأنه مكلف بأن لا يتهاون في السعي لإقامة عدل الله على الأرض .

أما الفصل الثامن: فقد ذكرت كراهية وبغض العمل على القضاء، ومن رفض توليه مع علمه وقدرته عليه فأكره أو عذب عليه .

في الفصل التاسع: ذكرت لنبا من نبذهم وتجنبهم أهلهم وأصدقائهم وابتعدوا عنهم لدخولهم في القضاء .

وفي الفصل العاشر: تحدثت عن قضاة زينوا ساحات القضاء على مر العصور بعدلهم ومواقفهم الرائعة ، ضد الظلم والطغيان، وعرضوا أنفسهم للخطر، تقرباً وخوفاً من الله، وإحقاق الحق، فزين التاريخ سيرهم .

وفي الفصل الحادي عشر : تحدثت عن مفهوم الرشوة والهدية والفرق بينهما، وما جاء فيهما من أقوال .

أما في الفصل الثاني عشر وهو مسك الختام :

فقد تحدثت به عن الهجاء وأنواعه وأسبابه والدافع له ، ثم ذكرت ما قيل: في قضاة استحقوا الهجاء بأفعالهم السيئة، وذكرت نبذة مما توفر في الكتب والمراجع عنهم على مدار التاريخ في البلدان المختلفة، وأتيت على كثير من أخبارهم في ذلك .

وإنني أرجو أن يكون عملي خالصاً لوجه ربي الكريم فأنال به الأجر والثواب، وأن أقدم لقراء العربية عملاً يجوز رضاهم، موضحاً به بعض معاني العدل في الإسلام، فهذا ما يعزيني لقاء ما أنفقت فيه من جهد وعناء .

أسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة ..

هلال محمد عبدالله العيسى

الفصل الأول

المفهوم اللغوي والشرعي
للقضاء

المفهومُ اللغوي للقضاء

إن القضاء في اللغة العربية يأتي على معانٍ وأوجه كثيرة منها قضى: القضاء: الحكم، وأصله قضى لأنه من قضيت، والجمع الأقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا. وقضى عليه يقضى قضاءً وقضيةً، قال أبو بكر: قال أهل الحجاز: القاضى معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها. واستقضى فلان أى جعل قاضياً يحكم بين الناس. وقضى الأمير قاضياً: كما تقول أمر أميراً. وتقول: قضى بينهم قضيةً وقضايًا. والقضاي: الأحكام واحدهما قضية. وفي صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد، هو فاعل من القضاء الفصل والحكم لأنه كان بينه وبين أهل مكة، وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء، وأصله القطع والفصل. يقال: قضى يقضى قضاءً فهو قاضٍ إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه .

وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدى أداءً أو أوجب أو أغلِم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى. قال: وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث، ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ﴾ [فصلت]. أى خلقهن، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه. وقضى الشيء قضاءً: صنعَه وقَدَرَه، بمعنى العمل، ويكون بمعنى الصنع والتقدير.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ﴾ [طه]. معناه فاعمل ما أنت عامل. قال ابن السيرافي: قضاهما فرغ من عملهما. والقضاء: الحتم والأمر. وقضى أى حكم، ومنه القضاء والقدر. وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ﴾ [الإسراء]. أى أمر ربك وحتم، وهو أمر قاطع حتم. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ۖ﴾ [سبا]. وقد يكون بمعنى الفراغ، تقول: قضيت حاجتي. وقضى عليه عهداً: أوصاه وأنفذه، ومعناه الوصية، وبه يفسر قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ ۖ﴾ [الإسراء]. أى عهدنا وهو بمعنى الأداء والإنهاء. وأعلمناهم إعلاماً قاطعاً .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر]. أى أَنهيناهُ إليه وأَبْلَغناه ذلك، وقضى أى حكم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه]. أى من قبل أَنْ يُبَيِّنَ لك بيانه. الليث فى قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبا]. أى أَتَمَمْنَا عليه الموت. وقضى فلان صلاته أى فَرَّغَ منها. وقضى عَبرته أى أخرج كل ما فى رأسه، والقاضية: المنيّة التى تَقضى وَحياً. والقاضية: الموت، وقد قُضى قَضاءً وقُضى عليه، وقضى نَحْبَه قَضاءً: مات. وضربَه فَقضى عليه أى قتله كأنه فَرَّغَ منه. ابن بري: يقال قُضى الرجلُ وقُضى إذا مات، ويقال: قُضى عَلَى وقُضاني، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام]. قال أبو إسحق: معنى قُضى الأمرُ أُتِمَ إهلاكُهم. قال: وقضى فى اللغة على ضروب، كُلُّها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتَمامه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ [الأنعام]. معناه ثم حَتَمَ بذلك وأَتَمَّهُ.

ومنه الإغلام ومنه القضاء للفصل فى الحُكم وهو قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى]. أى لفصل الحُكم بينهم، ومثل ذلك قولهم: قد قُضى القاضى بين الخصوم أى قد قُطِعَ بينهم فى الحكم، ومن ذلك: قد قُضى فلان دينه، تأويله أنه قد قُطِعَ ما لَعرِمه عليه وأَدَّاهُ إليه وقُطِعَ ما بينه وبينه. واقتضى دينه وتقاضاه بمعنى. وكلُّ ما أَحْكَمَ فقد قُضى. تقول: قد قُضِيَتْ هذا الثوب، وقد قُضِيَتْ هذه الدار إذا عَمِلَتْها وأَحْكَمَتْ عَمَلَهَا، وأما قوله: ﴿ثُمَّ أَقْضَوْا إِلَىٰ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [يونس]. فإن أبا إسحق قال: ثم أَفْعَلُوا ما تُريدون.

ويقال: اقتتل القوم فَقَضَوْا بينهم قَواضى وهى المنايا، أى أَتَفَذَوْها. وقضى اللَّبانة أيضاً، وقضاها، بمعنى. وقضى العَريمَ دينه قَضاءً: أَدَّاهُ إليه. واستَقْضاه: طَلَبَ إليه أَنْ يَقْضِيَه. وتقاضاه الدَّينَ: قَبَضَه منه. ويقال: تقاضيته حَقِّي فَقْضائِهِ أى تَجَازَيْتُهُ فَجَزاوَنِي. ويقال: أَقْضَيْتُ ما لى عليه أى قَبَضْتُهُ وَأَخَذْتُهُ. والقاضية من الإبل: ما يكون جائراً فى الدِّية والفَرِيضَةِ التى تَجِبُ فى الصَّدَقَةِ، ورجل قُضى: سَريعَ القَضاء، يكون من قَضاء الحكومة ومن قَضاء الدَّين.

وقضى طره: أَتَمَّهُ وبلغه. وقضاه: كَقْضاه، والانْقِضاء: ذهاب الشيء وفناؤه، وكذلك التَّقْضَى. وانْقَضَى الشيء وتَقَضَّى بمعنى. وانْقِضاء الشيء وتَقْضِيَه: فَناءُه وانصِرامُه، والقَضاء:

الجلدة الرقيقة التي تكون على وجه الصبي حين يولد. والقصة، مخففة: نبتة سهلة وهي منقوصة، وهي من الحمض ..

المفهوم الشرعي للقضاء

القضاء شرعاً هو الفصل في المنازعات التي تحصل بين الأفراد، بحكم الجزم البت الذي لا يقبل النقص، بما أنزل الله تعالى، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (١٠٥) [النساء]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (٤٩) [المائدة]. وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ (٤٢) [المائدة].

إن الحكمة المقصودة في شرعية الحكم، هي جلب نفع ودفع ضرر ورد حق وموافقة شرع. والقلوب إلى قبول الأحكام المعقولة، أميل منها إلى قهر التحكم، وهل هناك أفضل من الحكم بما شرع الله سبحانه، وما سن رسول الله ﷺ ..

1- وقيل: إلزام من له الإلزام في الوقائع الخاصة بحكم الشرع .

قال ابن عبد السلام: الحكم الذي يستفيده القاضى بالولاية، هو إظهار حكم الواقعة فيمن يجب عليه إمضاؤه فيه، بخلاف المفتى فإنه لا يجب عليه إمضاؤه.

وسمى القضاء حكماً لما فيه من الحكمة التي توجب وضع الشيء في محله لكونه يكف الظالم عن ظلمه. أو من إحكام الشيء، ومنه: حكمة اللجأك للدابة [لمنعها من] التصرف على هواها. وقد قيل: إن الحكمة مأخوذة من هذا أيضاً لمنعها النفس من هواها ..



الفصلُ الثاني

حكمُ القضاء

➤ مشروعية القضاء في الكتاب والسنة

➤ الحكمة من مشروعية القضاء

حكم القضاء

اتفق الفقهاء على أن القضاء فرض كفاية إذا قام به بعض الأمة سقط الوجوب عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد منها أثمت الأمة جميعاً. أما كونه فرضاً فلقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥).

وأما كونه فرض كفاية، فلأنه أمر بمعروف أو نهي عن منكر وردع للظالم عن ظلمه ونصرة للمظلوم وأداء حق إلى مستحقه، وهذه واجبات تتم بتوالى القضاء، هذا عن حكم القضاء بصفة عامة.

أما عن حكم الدخول في القضاء بالنسبة للأفراد، فإنه يختلف باختلاف حال كل منهم، فيكره تعيين شخص إذا كان هناك من هو أصح منه، ويحرم عليه إذا علم من نفسه العجز عنه وعدم الإنصاف فيه وعدم القدرة عليه لميله للهوى.

(عن ابن القاسم قال: سئل مالك أيجير الرجل على ولاية القضاء؟ فقال: لا، إلا أن (لا) يوجد منه عوض، قيل له: أيجير بالحبس والضرب؟ قال: نعم) (١).

إن الآيات والأحاديث قد تواترت بوضوح في وجوب الحكم بالعدل وتجرىم وتحرىم الظلم، إن وجوب الحكم بما أنزل الله في كتابه الكريم وبما أوضحه رسوله إنما هو خطاب أمر عام للحاكم والمحكوم على السواء، فولى الأمر والحاكم قد قيد بحكم من عند الله.

لذا فلا طاعة له فيما جاوز ذلك. (خطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً، فحائط الإسلام الحق وبابه العدل). ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان أخذاً بالحق وبالعدل. ولا يختلف اثنان في ضرورة إقامة العدل بين الخصوم، ولو كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨٠).

مشروعية القضاء في الكتاب والسنة

القضاء من عمل الرسل والأنبياء عليهم والسلام، يدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانُ وَكَلَّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا ﴿٧٩﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ إِلَىٰ الْحِسَابِ﴾ (٦١) [ص].

وكان رسول الله ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين وصاحب الرسالة الخاتمة، كان مأموراً بالدعوة وتبليغ الدين، وكان مأموراً بالحكم والقضاء بين الناس والفصل في الخصومات والمنازعات، وقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من آية ما يشير إلى ذلك، وهو القاضي الأول بين المسلمين. قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤٢) [المائدة]. وقوله تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (٤٨) [المائدة].

وقال تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (٤٩) [المائدة]. وقال جل جلاله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ (٦٥) [النساء]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ (٤٨) [النور]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) [النساء].

وأما في سنة رسولنا ﷺ: فقد دل على مشروعية القضاء أحاديث كثيرة وردت، منها ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر" (١). وقوله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه

1 - مسند أحمد ج 4 ص 198 رقم 17809 .

الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها" (1). وفي قول لابن قدامة: أجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس ..

وقد شرع القضاء نتيجة لظلم الإنسان لأخيه الإنسان عندما يتجاوز الحق في ما يقوم به، فيضر بالآخرين لمصلحته أخذا لحقوق ليست له أو مبخسا لحقوق غيره .

وفي بعض الدول الإسلامية خصص ديوان سمي بديوان القضاء، لدفع ظلم الظالم واستخلاص الحق للمظلوم من ظلمه، وديوان آخر سمي بديوان المظالم، ويبدأ الثاني حين يعجز الأول عن إحقاق الحق، أو القيام بمسؤوليته على الوجه الأكمل كما هو مطلوب منه، وذلك حين يكون الظالم من أصحاب السلطان أو السلطة ممن لا تستطيع أن تمتد إليهم أحكام القضاة، سواء بحكم أو بتنفيذ حكم حين لا يكون للعدل وجود ..

2 - قال أحمد [بن حنبل] : لا بد للناس من حاكم [حتى لا] تذهب حقوق الناس، وفيه فضل عظيم لمن قوى على القيام به وأداء الحق فيه، ولذلك جعل الله فيه أجرا مع الخطأ وأسقط عنه حكم الخطأ، ولأن فيه أمرا بالمعروف ونصرة المظلوم وأداء الحق إلى مستحقه وردا للظالم عن ظلمه وإصلاحا بين الناس وتخليصا لبعضهم من بعض، وذلك من أبواب القرب، ولذلك تولاه النبي ﷺ والأنبياء قبله، فكانوا يحكمون لأمرهم ..

الحكمة من مشروعية القضاء

إنصاف مظلوم ومنع ظالم وردع ضعيف نفس بما شرع الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ. وقد جاء القرآن الكريم ووقف موقفا حازما من الظلم والظالمين، ويبيّن لهم أن الله تبارك وتعالى، قد أعد للظالمين عذابا أليما وأن مأواهم النار. ويمضى القرآن إلى ما هو أبعد من ذلك، فيصور لنا موقف الظلمة والظالمين في الحياة الدنيا ويوم القيامة، وكيف أنهم قد خسروا وضل عملهم وسعيهم في الدنيا، وكيف أنهم في الآخرة يتمنون أن يفتدوا أنفسهم من عذاب الله الأليم الذي أعد لهم ..

3- إن حكمة القضاء إنصاف المظلومين وردع الظالمين وحسم النزاع بين الناس، وقطع الخصومات، وأداء الحقوق إلى مستحقيها، والضرب على أيدي العابثين وأهل الفساد، كي

1 - مسند أحمد ج 1 ص 385 رقم 3651 عن ابن مسعود.

يسود النظام [والعدل] في المجتمعات، فيأمن كل فرد على نفسه وماله، وعلى عرضه وحرية، فتنهض البلدان ويتحقق العمران في الأرض ويتفرغ الناس لما يصلح دينهم ودنياهم، فإن الظلم من شيم النفوس .

[كما قال المتنبي] :

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عَفْوَ فَلَعَلَّاهُ لَا يَظْلِمُ

والقضاء أمر لازم لقيام الأمم ولسعادتها وحياتها حياة طيبة، وباختصار فإن القضاء يراد منه تحصيل مصالح ومنافع ودفع مفسدات ومضار للعموم تقوم الحاجة الملحة لاقتضاء ذلك، مرتكزا على إيصال الحقوق ودفع المظالم وقطع التنازع تحقيقاً لإقامة العدل والمعروف، ومنابذة الظلم والمنكر.

ولقد أسس النبي الكريم ﷺ في عهده أصول القضاء في شريعته الخاتمة للناس، وتولى هذا العمل الجليل بنفسه، فكان هو المرجع في فصل الخصومات وقطع المنازعات، وقد جاءت نصوص شريعته موضحة لركائز الحكم وضوابطه، وأبان ﷺ واقعا التطبيق في أقضية متعددة.

وأبرز الأسس التي تستوحى من سيرته ﷺ في القضاء ما يلي :

أنه ﷺ كان القاضي الأول بين المسلمين بتنصيب من الله تعالى له، كما أصبح حكمه ملزماً للناس كافة، سواء أكان بوحي من الله [أو من] الكتاب، ثم السنة أو باجتهاد اجتهاده ﷺ فأصبح فيما بعد سنة ملزمة. وأقر ﷺ هذه المصادر. وأنه لا سلطان على القاضي سوى ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله.

وقد فهم الرسول ﷺ، عن محابة الخصوم ، فيروى عنه ﷺ أنه قال لعلى : إذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن الزبير أنه قال: قضى رسول الله ﷺ: "أن الخصمين يقعدان بين يدي الحاكم"⁽²⁾. وعندما بويع رسول الله ﷺ على الحكم، بايع المسلمين على أن العقوبة التي يوقعها

1 - سنن أبي داود ج 3، ص 301.

2 - مسند أحمد بن حنبل ج 4، ص 4 .

عليهم تحميمهم من عذاب الآخرة، فإذا لم توقع العقوبة على الجاني في الدنيا، ترك أمره إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

فقد روى البخارى في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس فقال: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستر الله عليه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه⁽¹⁾.

* * *

1- البخارى ج 6 ص 2490 رقم 6402.

الفصل الثالث

القرآن الكريم والقضاء

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

القرآن والقضاء وما يتعلق به من الحث على العدل والشهادة بالحق

إن الحكم بالعدل واجب مطلقاً في كل زمان ومكان على كل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به أمر واجب على النبي وكل من اتبعه. قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فالأمر المشترك بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا سلطان. لذا حذرت الشريعة الإسلامية السمحاء بشقيها القرآن الكريم والسنة النبوية، من القاضي الجائر الذي يميل عن الحق ولا يتبع العدل ويتبع هواه. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [١٥] ﴿[الجن]: والقاسط: الجائر، العادل عن الحق..

4- عن همام بن الحارث قال: ذكروا ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. [وقالوا]: نزلت كلها في الكفار. وقال رجل من القوم: في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الإخوة إن كان لكم الحلو والمر لهم، كلا والذي نفسي بيده حذو السية بالسية وحذو القذة بالقذة.

وقيل: أي ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن، وجحداً لقول الرسول ﷺ فهو كافر. قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقداً ذلك ومستحلاً له، فإن من فعل ذلك وهو معتقد أنه ارتكب محرماً فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. وقيل: أي ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر. [ونقول والله الموفق: بأن من حكم بغير ما أنزل الله وحدث به رسوله، مخالفاً بذلك متعمداً إبطال ما شرعه الله تعالى وآمراً به خلقه، ضارباً بذلك عرض الحائط، معتقداً به النقص وعدم الكمال، وأنه لا يصلح العمل به، وأنه لا يصلح لكل زمان، مستعيضاً بذلك عنه بالقوانين الوضعية المخالفة لمنهج الدين والسنة، مُبطلاً حقاً مُحلاً لباطل،

فقد كفر وفسق وظلم كما وصف في آيات القرآن الكريم. والله تعالى أجل وأعلم ولا حول ولا قوة إلا به] ..

5- قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ [ص]. أى ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين. (فاحكم بين الناس بالحق) وهو أمر على الوجوب بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى لا تقتد بهواك المخالف لأمر الله. (فيضللك عن سبيل الله) أى عن طريق الجنة. (إن الذين يضلون عن سبيل الله) أى يجيدون عنها ويتركونها في النار (بما نسوا يوم الحساب) أى بما تركوا من سلوك طريق الله أى الإيمان والعمل به فصاروا كالناسين. قال ابن عباس: إن ارتفع لك الخصمان فكان لك في أحدهما هوى، فلا تشتت في نفسك الحق له ليفلح على صاحبه، فإن فعلت محوت اسمك من نبوي، ثم لا تكون خليفتي ولا أهل كرامتي. فدل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق، وألا يميل إلى أحد الخصمين لقراءة أو رجاء نفع، أو سبب يقتضى الميل من صحبة أو صداقة أو غيرهما..

6- وقال الحسن: أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا، ثم قرأ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [٧٨] ففهمنا سليمان وسليمان وكلاهما حكما وعلماء [الأنبياء]. فحمد سليمان ولم يلم داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين، لرأيت أن القضاة هلكوا فإنه أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده. وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص]. فاقض بيننا بالعدل ولا تفرط بالقول ولا تجر، ولا تسرف في حكمك، بالميل منك مع أحدنا على صاحبه ..

7- قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات]. يقول تعالى ذكره: واعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم، لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله، إن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط ..

8 - قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩) [الأعراف]. أى: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذى لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق، سمى القضاء فتحاً لأن القضاء فصل الأمور وفتح لما أشكل منها ..

9- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُحَرِّضُونَ﴾ (٢٣) [آل عمران]. فى هذه الآية دليل على وجوب ارتفاع المدعو إلى الحاكم لأنه دعى إلى كتاب الله، فإن لم يفعل كان مخالفاً يتعين عليه الزجر بالأدب على قدر المخالف والمخالف. وعن الحسن قال: من دعاه خصمه إلى حاكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم. قال ابن خويز منداد المالكي: واجب على كل من دعى إلى مجلس الحاكم أن يجيب، ما لم يعلم أن الحاكم فاسق، أو يعلم عداؤه من المدعى والمدعى عليه ..

10- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٥٨) [النساء]. هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع عامة فى جميع الناس، فهى تتناول الولاية فيما إليهم من الأمانات، فى قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل فى الحكومات، وتتناول من دونهم من الناس فى حفظ الودائع والتحرز فى الشهادات وغير ذلك، كالرجل يحكم فى نازلة ما ونحوه، والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة الله تعالى. ومن حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: "كل شيء إلا الأمانة" (١). وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده والأمانة فى كل شيء فى الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والأمانة فى الحديث، وأشد ذلك الودائع.

وقال ابن عباس: لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك [عن] الأمانة. وهذا إجماع. وهى للبر والفاجر. وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار ومما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض مما يأتمنون به من غير إطلاع بينة على ذلك. فالآية شاملة بنظمها لكل أمانة وهى أعداد كثيرة كما ذكرنا. وأمهاها

1 - تفسير القرطبي والطبري.

في الأحكام: الوديعة واللقطة والرهن والعارية. فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشارة الجلحاء من القرناء"⁽¹⁾. وروى أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"⁽²⁾. وقوله تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) قال الضحاك: بالبينه على المدعى واليمين على من أنكر. وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكام، ويدخل في ذلك بالمعنى جميع الخلق. قال ﷺ: "إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"⁽³⁾.

11 - تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء]. قال ابن عباس: في الخصمين يجلسان عند القاضي فيكون لى القاضي وإعراضه لأحدهما دون الآخر، حتى يفوت فصل القضاء وإنفاذه للذى يميل القاضي إليه. قال ابن عطية: وقد شاهدت بعض القضاة يفعلون ذلك.

وقال الطبري: نزلت [في] رسول الله ﷺ ذكر من قال ذلك: عن السدى في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء]. قال: نزلت في النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غنى وفقير وكان ضلعه مع الفقير، يرى أن الفقير لا يظلم الغنى. فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغنى والفقير فقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء]. لا تميلوا لغنى لغناه على فقير، ولا لفقير لفقره على غنى فتجوروا، فإن الله الذى سوى بين الغنى والفقير في [الحكم] فيما ألزمكم فلا تتبعوا أهواء أنفسكم في الميل ..

1- مسند أحمد ج 2 ص 235 رقم 7203.

2- أخرجه الدارقطني.

3- مسند أحمد ج 2 ص 160 رقم 6492.

12- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل]. قال عكرمة: قرأ النبي ﷺ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخرها، فقال: يا ابن أخي أعد، فأعاد عليه فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمورق وأعلاه لمثمر، وما هو بقول بشر⁽¹⁾.

وقال ابن مسعود: هذه أجمع آية في القرآن خير يمتثل ولشر يجتنب. واختلف العلماء في تأويل العدل والإحسان. قال سفيان بن عيينة: العدل ها هنا استواء السريرة، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية. وقال ابن العربي: العدل بينه وبين نفسه فممنعها مما فيه هلاكها وعزوب الأطماع عن الأتباع، ولزوم القناعة في كل حال ومعنى. وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى، وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى..

13- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء]. وقال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله سبحانه يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة، وتلا [الآية وقال]: وإذا قال الله أجرا عظيما فمن الذي يقدر قدره!" وعن ابن مسعود: أن هذه الآية إحدى الآيات التي هي خير مما طلعت عليه الشمس. وعن زاذان، قال: أتيت ابن مسعود، فقال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، يأخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة، فينادى مناد من عند الله على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان، من كان يطلب مظلمة، فليجيئ إلى حقه، من كان له حق فليأت إلى حقه فليأخذه! قال: فيفرح والله الصبي أن يذوب له الحق على والده أو ولده أو زوجته، فيأخذه منه وإن كان صغيرا. وتفرح المرأة أن يذوب لها الحق على أبيها، أو على ابنها، أو على أخيها، أو على زوجها، ومصدق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي

1 - تفسير القرطبي.

الصُّورِ فَلَا أَشَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنون]. فيغفر الله تبارك وتعالى من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئا، فينصب للناس فيقال له: آت هؤلاء حقوقهم! فيقول: رب فنييت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟ فيقول الله للملائكة: أى ملائكتى انظروا فى أعماله الصالحة خذوا من أعماله فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته! فإن كان وليا لله، ففضل له مثقال ذرة فيقول للملائكة: ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة. وإن كان عبدا شقيا قال الملك: رب فنييت حسناته وبقي طالبون كثير. فيقول: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكا إلى النار. فتأويل عبد الله [بن مسعود]: إن الله لا يظلم عبدا وجب له مثقال ذرة قبل عبد آخر، فى معاده ويوم لقائه فما فوقه فيتركه عليه، فلا يأخذه للمظلوم من ظالمه، ولكنه يأخذه منه له، ويأخذ من كل ظالم لكل مظلوم تبعته قبله. وإن توجد له حسنة يضاعف له ثوابها وأجرها. ويعطيه من عنده أجرا عظيما. والأجر العظيم الجنة..

14 - قال ابن عائشة: إني سمعت النبي ﷺ يقول: "إنما القضاء أن يؤخذ للمظلوم من الظالم". قال: فحدث بهذا الحديث سليمان الشاذكوني، فقال: صدق، ولكن ينبغي أن يعرف المظلوم من الظالم⁽¹⁾.

15 - وروى الطبراني - وفى سنده على بن عبد الله الرعيني وهذا من مناكيره - عن جابر قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ فقبل رسول الله ما بين عينيه وقال ﷺ: "حدثني ببعض عجائب الحبشة"؟ فقال: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بينا أنا سائر فى بعض طرقهما إذ بعجوز على رأسها مكتل، فأقبل شاب يركض على فرس له، فزحها فألقاها بوجهها، وألقى المكتل عن رأسها، فاسترجعت قائمة واتبعت النظر وهى تقول: الويل لك غدا إذا جلس الملك على كرسيه فانتصر للمظلوم من الظالم. قال جابر: فنظرت إلى رسول الله ﷺ وإن دموعه على لحيته مثل الجمان، ثم قال رسول الله ﷺ: "لا قدس الله أمة لا يؤخذ للمظلوم من الظالم غير متعتع" ..

1 - سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 107.

16 - قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام]. قيل سبب نزولها أن

مشركي قريش قالوا للنبي: اجعل بيننا وبينك حكما إن شئت من أحوار اليهود وإن شئت من أحوار النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك؟ فنزلت هذه الآية. ذكره الماوردي. فأما الحكم فهو بمعنى الحاكم، والمعنى أغير الله أطلب قاضيا بيني وبينكم والكتاب القرآن والمفصل المبين الذي بان فيه الحق من الباطل والأمر من النهي والحلال من الحرام ..

أما قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة]. (فالمعنى وأنتم تعلمون أنكم مبطلون، ولا شك أن الإقدام على القبيح مع العلم بقبحه أقبح ، وصاحبه بالتوبيخ أحق ، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم: عالم بالخصومة وجاهل بها ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم ، فقال من قضى عليه : يا رسول الله والذي لا إله إلا هو إني محق فقال: إن شئت أعاوده ، فعاوده فقضى للعالم، فقال المقضى عليه مثل ما قال أولاً ثم عاوده ثالثاً، ثم قال عليه الصلاة والسلام: من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته وإنما اقتطع قطعة من النار. فقال العالم المقضى له: يا رسول الله إن الحق حقه، فقال عليه الصلاة والسلام: من اقتطع بخصومته وجدله حق غيره فليتبوأ مقعده من النار ⁽¹⁾.

17 - روى أن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة العنسي، اختصما إلى النبي ﷺ في ماء، وكانت أرض الزبير فوق أرض حاطب، وجاء السيل، فقال النبي ﷺ للزبير: اسق، ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب حاطب وقال للنبي ﷺ: أما إنه ابن عمك! فتغير وجه النبي ﷺ. ومر حاطب على المقداد بن الأسود الكندي فقال : يا أبا بلتعة، لمن كان القضاء؟ فقال: قضى لابن عمته ولوى شدقه، فأنزل الله عز وجل فأقسم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء]. يعني لا يستحقون الإيمان حتى يرضوا بحكمك فيما اختلفوا فيه (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت) أى لا يجدون في قلوبهم شكاً مما قضيت أنه الحق (ويسلموا) لقضائك لهم وعليهم (تسليماً). فقالت اليهود: قاتل الله هؤلاء ما أسفهم، يشهدون أن محمداً رسول الله ويذلون له دماءهم وأموالهم ووطنوا عقبة ثم يتهمون في القضاء! فوالله لقد

1 - التفسير الكبير ج 5 ص 101.

أمرنا موسى ﷺ في ذنب واحد أتيناها، فقتل بعضنا بعضا، فبلغت القتلَى سبعين ألفا حتى رضى الله عنا (1).

18 - وعن مجاهد والشعبي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْتَفِقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝١١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝١٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ۝١٥﴾ ﴿[النساء]. هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله.

فعن مكحول رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: كان بين رجل من المنافقين يقال له: بشر من الأنصار ورجل من اليهود منازعة في شيء ادعاه المنافق فجعل اليهودى يقول: بينى وبينك محمد [أراد أن يتحاكما إليه لعدله و] لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة. ودعا المنافق اليهودى إلى حكامهم، لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم [وكان] حاكم اليهود يومئذ أبا ברزة الأسلمى قبل أن يسلم ويصحب.

[وقيل]: كعب بن الأشرف [قبل أن يسلم]. فأبى اليهودى أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى ذلك المنافق والله يعلم ما في قلبه وسيجزيه على ذلك فإنه لا تخفى عليه

1 - تفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 239.

خافية، أتى معه إلى رسول الله ﷺ فقصا عليه قصتهما، فلما توجه القضاء على المنافق، قال المنافق: لا أرضى! يا رسول الله ادفنى وإياه إلى أبي بكر؟ قال: انطلق معه إلى أبي بكر . فانطلق معه فقصا قصتهما على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: ما كنت لأقضى بين من رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله.

فرجعا إلى رسول الله ﷺ فقال [المنافق]: يا نبي الله ادفنى وإياه إلى عمر. قال : انطلق معه إلى عمر .

قال الزجاج : فأقبلا على عمر رضي الله عنه فقال اليهودي: إنا صرنا إلى رسول الله ﷺ ثم إلى أبي بكر فلم يرض، فقال عمر للمنافق: أكذلك هو؟ قال: نعم. فقال عمر رضي الله عنه: لا تعجلا حتى أخرج إليكما، فدخل فاشتغل على السيف وخرج عليهما فقال: أعيدا على قصتكما؟ فاعادا، فلما تبين لعمر رضي الله عنه أن المنافق رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله، حمل سيفه على ذؤابة المنافق حتى خالط كبده ثم قال: هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله.

وهرب اليهودي! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن عمر قد قتل الرجل، وفرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر رضي الله عنه.

فقال رسول الله ﷺ: (أنت الفاروق). فسمى الفاروق. وفي ذلك نزلت الآيات كلها، دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا⁽¹⁾..



1 - فتح الباري ج 5 ص 37 ، نوادر الأصول ج 1 ص 231 ، تفسير القرطبي وابن كثير.

الفصل الرابع

الشروط والصفات الواجب توفرها في القاضي

◀ تحديد صلاحية القاضي

◀ واجبات القاضي

◀ انتهاء ولاية القاضي وأسبابها

الشروط والصفات الواجب توفُّرها في القضاة في النظام القضائي

البلوغ . العقل والحكمة . الحرية . الإسلام . الذكورة . العدالة .
الاستقامة . الاجتهاد . سلامة الحواس .

إن مسؤولية ولي أمر المسلمين الذي يعهد بتولى القضاء، مسؤولية عظيمة جسيمة تتطلب منه تحري الدقة، ليس فقط فيمن يختار. بل يجب أن لا يكون هناك من هو أفضل ممن وقع عليه اختياره، وإلا كان هو المعنى بحديث رسول الله ﷺ التالي، فالاختيار إذاً يجب أن يكون للأصلح لا للموالى ولا للقريب ولا للمتهاون ولا للمحايي، فالقضاء منصب يجب أن يتولاه من هو أجدر به وأحق وأقدر عليه ..

- روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما من أمير أمر أميرا أو استقضى قاضيا محاباة، إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم، وإن أمره أو استقضاه نصيحة للمسلمين كان شريكه فيما عمل من طاعة الله، ولم يكن عليه شيء مما عمل من معصية الله⁽¹⁾ ..

- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: "من أعان بباطل ليدحض بباطله حقا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله. ومن مشى إلى سلطان الله ليذله، أذله الله مع ما يدخر له من الخزي يوم القيامة، سلطان الله كتاب الله وسنة نبيه. ومن تولى من أمراء المسلمين شيئا فاستعمل عليهم رجلا وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله، فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين. ومن ترك حوائج الناس لم ينظر الله في حاجته حتى يقضى حوائجهم ويؤدى إليهم بحقهم"⁽²⁾ ..

12 - وعن عمران بن سليم قال عمر رضي الله عنه: من استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو فاجر مثله. وعن زياد بن نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا يولى الخائن إلا خائن ..

- لذا فاعلم رحمنا الله وإياك، أنه يشترط الفقهاء في القاضي جملة من الشروط والمواصفات، التي ينبغي توافرها في شخصيته، لكي يتمكن من أداء مهمته على الوجه الأكمل،

1- معين الحكام، ج 1 ص 40.

2- المعجم الكبير ج 11 ص 114 رقم 11216.

منها الورع والعلم والحلم والزهادة والقناعة وعدم النفاق والمصانعة في القضاء ولا يتبع الهوى، مستشيراً لذوى الرأي، مشاوراً لهم، محتملاً اللائمة، وأن لا يخشى في الله أحداً.

لذا لا يجوز أن يلي القضاء إلا من تكاملت فيه غالبية تلك الشروط التي يصح تقليده بموجبها، أما التي هي موضع اتفاق بين العلماء والفقهاء فهي:

أولاً: البلوغ : فلا يجوز تقليد الصبي القضاء وإذا قلد فلا يصح قضاؤه ولا ينفذ، لأن الرسول ﷺ قد أمر بالاستعانة من إمارة الصبيان، فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان"⁽¹⁾. والتعوذ لا يكون إلا من شر، فيكون إذاً تقليد الصبيان فساداً في الأرض ومضارة، لأنه لا ولاية للصبي على نفسه لذا فلا تكون له ولاية على غيره بالقضاء ونحوه. ولأن القضاء ليس في حاجة إلى كمال العقل بكمال البدن فحسب، بل يحتاج كذلك إلى زيادة فطنة وجودة رأى وخبرة. ولا يشترط في القاضى أن يكون طاعناً في السن، بل المراد اجتماع الشروط المعبرة في ولايته بعد بلوغه. على أن ارتفاع السن يجيء من باب الوقار والهيبة التي استحباها العلماء في القاضى .

ثانياً: العقل والحكمة: لا يجوز أن يتولى القضاء، الجنون أو المعتوه أو محتل النظر لكبر السن أو مرض، حتى يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً من السهو والغفلة، يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أشكل وفصل ما أعطل، لأنه لا ينقصه التمييز والخبرة .

ثالثاً: الحرية : والمراد بها هنا كمالها، فلا يجوز تقليد من فيه شبهة من رق (وهو العبد الخالص). إن القضاء مثلة وحرمة وهيبة لكى يردع أصحاب اللدد وأهل الباطل، ولا شك أن هذه الصفة لا تتوفر في العبد. وهذا مذهب جمهور العلماء ..

رابعاً: الإسلام: إن القضاء ولاية ولا تجوز ولاية الكافر على المسلم، فلا يجوز لغير المسلم تولي القضاء على المسلمين في بلاد الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]. ثم إن القاضى يطبق أحكام الشريعة الإسلامية وهي دين، وتطبيق الدين يحتاج إلى إيمان به من قبل من يطبقه، وخوف من الله يمنعه من الحيدة عن التطبيق

1 - مسند أحمد ج 2 ص 326 رقم 8303.

السليم لأحكامه، ولا يتأتى ذلك من غير المسلم الذى لا يؤمن بهذا الدين، بل حمله كفره بالإسلام على تعمد مخالفة أحكامه أو العبث بها. ولا خلاف بين الفقهاء فى اشتراط الإسلام فى من يتولى القضاء على المسلمين .

خامساً: الذكورة: وهى شرط عند جمهور الفقهاء، فلا يجوز عندهم تولية المرأة القضاء، وإذا وليت يأثم المولى لها، وتكون ولايتها باطلة وقضاؤها غير نافذ، ولو فيما تقبل فيه شهادتها. وحجتهم الحديث النبوى الشريف: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"⁽¹⁾. ولأن المرأة لا تصلح للإمامة العظمى أى رئاسة الدولة ولا الولاية على البلدان. ولهذا لم ينقل عن النبى ﷺ ولا عن أحد من خلفائه الراشدين من بعده، أنهم ولوا امرأة قضاء ولا ولاية بلد. ولو جاز ذلك لوقع ولو مرة واحدة ولم يخل منه جميع البلدان غالباً. وأيضاً فإن القاضى يحتاج إلى مخالطة الرجال من الفقهاء والشهود والخصوم والمشاورة، والمرأة فى الأصل ممنوعة من مخالطة الرجال، لما يخاف عليها من الفتنة بسبب هذه المخالطة التى لا ضرورة لها .

سادساً: العدالة والاستقامة : وهى معتبرة فى كل ولاية عند جمهور الفقهاء، والمقصود بها أن يكون القاضى قائماً بالفرائض والأركان صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفاً عن المحارم، متوقفاً المآثم بعيداً عن الريب، مستعملاً لمروءة مثله فى دينه ودنياه. لهذا لا تجوز ولاية غير العادل أو الفاسق للقضاء، لأنه متهم فى دينه، والقضاء أمانة من أعظم الأمانات. لذا لا يجوز تولية من لا تجوز شهادته أيضاً .

سابعاً: الاجتهاد : شروط الاجتهاد ستة يجب عليه العمل بها : الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاختلاف والعلم بالقواعد الفقهية وأصولها والأهلية لاستنباط الأحكام من مصادر التشريع، فالعلم بالأحكام الشرعية تدفعه للقدرة على الاجتهاد، والاجتهاد هو من يعرف من القرآن والسنة وما يتعلق بالأحكام خاصة وعامة ومجمل ومبني وناسخة ومنسوخة ومتواتر السنة وغيره، والمتصل والمرسل وحال الرواة قوة وضعفاً، ولسان العرب لغة ونحو، وأقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم إجماعاً واختلافاً والقياس بأنواعه. مقتدراً على الحسم والفصل فى الدعاوى .

1 - صحيح البخارى ج 4 ص 1610 رقم 4163.

ثامنا: سلامة الحواس : والمراد بها السمع والبصر والقدرة على الكلام: وهذا شرط جواز وصحة عند جمهور العلماء، فلا تجوز تولية الأصم لأنه لا يسمع كلام الخصمين، ولا تجوز تولية الأعمى لأنه لا يعرف المدعى من المدعى عليه ولا المقر من المقر له ولا الشاهد من المشهود له أو عليه، ولا تجوز تولية الأخرس لأنه لا يمكنه النطق بالحكم، ولا يفهم جميع الناس إشارته .

أما سلامة باقى الأعضاء فهى هنا إنما تعتبر استجبابا لا لزوما، لأن السلامة من الآفات أهيب لذوى الولاية، والهيبة هنا مستحبة لا مستحقة ومن ثم فلا مانع من أن يكون القاضى مقعدا أو أقطع أو أعرج .

الفطنة والفراسة : لا يجوز تولية غير الكيس ولا الفطن للمقر من المنكر والحق من المبطل الذى يندع بسهولة الكلام ..

13- قال سمالك: إن أهل الجاهلية كانوا إذا كان فى الرجل ست خصال سودوه، ولا يتمكن فى الإسلام إلا بسبع. الصبر والحلم والسخاء والشجاعة والبيان والموضع ولا يتمكن فى الإسلام إلا بالعفاف ..

14- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينبغى أن يكون فى القاضى خصال ثلاث: لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع . وعن المغيرة بن محمد قال: لا ينبغى أن يكون الرجل قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: يكون عالماً قبل أن يستعمل، مستشيراً لأهل العلم، ملقياً المرثع، منصفاً للخصم، محتماً للأئمة. قال ابن قتيبة: الرثع الدناءة وتطرف النفس إلى الدون من العطية. وقال الكسائي: الرائع الذى يخادن أخدان السوء..

15- وعن الزهرى قال: ثلاث إذا كن فى القاضى فليس بقاض: إذا كره اللوائم، وأحب الخامد، وكره العزل. وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل: يشاور وإن كان عالماً، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه، ويقضى إذا علم .

قالوا: ويحتاج القاضى إلى العدل فى لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه، وألا يقضى وهو غضبان، ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفعه على الآخر ..

16- قال الحسن البصرى : ثلاث خصال [يجب أن تكون] فى القضاة: ألا يشترخوا به ثمناً، ولا يتبعوا به هوى، ولا يخشوا فيه أحداً ..

17- وعن مزاحم بن زفر قال: قدمنا على [أمير المؤمنين] عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فسألنا عن بلدنا، وعن أميرنا، وعن قاضينا، وقال لنا: خمس إذا أخطأ القاضى منهن خطئة كانت فيه وصمة: أن يكون فهما حليما عفيفا صليبا عالما سؤلا عن العلم. قوله: حليما يعنى على من يؤذيه ولا يبادر بالانتقام . وقيل: الحلم هو الطمأنينة. يعنى: يكون متحملا لسماع كلام المتحاكمين واسع الخلق غير ضجور ولا غضوب. قوله: عفيفا أى: يكف عن الحرام، فإنه إذا كان عالما ولم يكن عفيفا كان ضرره أشد من ضرر الجاهل، ويقال: العفة التزاهة عن القبائح أى: لا يأخذ الرشوة بصورة الهدية ولا يميل إلى ذى جاه ونحوه، قوله: صليبا أى: قويا شديدا يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى ويستخلص حق الحق من المبطل ولا يتهاون فيه ولا يحاميه. قوله: سؤولا، كثير السؤال عن العلم، مذاكرا مع أهل العلم، لأنه ربما يظهر له من غيره ما هو أقوى مما عنده ..

18- وقيل: صاحب الذوق السليم من القضاة لا يقبل الرشوة ويتفرق فى الدعوة، لا يسعى فى وظيفة ويتأمل ما كان عليه أبو حنيفة، ينظر فى حال المسكين ويحصل له عليه من المشقة كمن ذبح بغير سكين، رضى الخلق سيوس ضاحك غير عبوس، يساوى بين الخصمين وينظر فى حقيقة الدين، لا يميز صاحب ألف دينار على من لا يملك [دينارا]. أن يقول حكمت ورب قاتل يقول ظلمت، لا يراعى فى الحكم جار ويخشى أن يحرق بالنار، له معان وبيان وفقه وتصريف بإمكان فهو خير إنسان، نطقه وخيره يزيد وقد أقامه الله تعالى لمصالح العبيد، لا يحكم بإغراء من الأمراء لما سلك طريق العلماء، ولا يحكم بأغراض الملوك ويعلم أن كل ملك لله مملوك، فهو خائف من الله متوكل على الله لا يحكم إلا بحكم الله، لا يقبل شهادة الزور ولو كان على وزن الخردلة فى كل الأمور، فهو القاضي، لأنه تميز عن القاضيين. فرحم الله تعالى من تأمل هذه الخصال وجعل بينه وبينها اتصال [وبينه وبين الله وصال] ..

تحديدُ صلاحيةِ القاضي

إن ولاية القاضي تعميم وتخصص، فيجوز أن يكون قاضيا في جميع بلاد المسلمين، وفي كل دعوى، كما يجوز للحاكم أن يوليه القضاء في مكان معين لا يتعداه، أو في نوع معين من الدعوى كالحكم بين أهل الذمة . ولا يجوز للقاضي أن يتعدى ما رسم له، ولا أن يتجاوز حدود ولاياته. وهو ما يسمى بالاختصاص القضائي زماناً ومكاناً وموضوعاً ..

واجباتُ القاضي :

- من أهم الواجبات على القاضي التي لا بد أن يقوم بها حتى يكون حكماً عادلاً :
- (1) أن يتوجه إلى الله تعالى بطلب التوفيق منه للحكم بالعدل، وأن يحكم بما يرضى الله .
 - (2) أن يبتعد عن كل ما يؤثر في حكمه .
 - (3) أن يكون خاشعاً لله نزيهاً في سماعه لحجج المتنازعين على سواء من دون ملل .
 - (4) أن لا يميل أو يميز أحدهما ويخصه بشيء دون الآخر أو على حساب الآخر .
 - (5) أن يعطي الفرصة لكلا المتقاضيين لشرح القضية .
 - (6) أن يساوى مجتهدا بين الخصوم. فقد روت أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: "من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده". وفي رواية أخرى: "في إشارته ولحظه وكلامه". وفي الثالثة: "من ابتلى بالقضاء بين الناس، فلا يرفعن صوته على أحد ما لم يرفع على الآخر" (1).
 - (7) أن يعتمد مبدأ البينة على من ادعى واليمين على من أنكر .
 - (8) أن يستشير من بهم جدارة من أهل العلم في حالة عدم قدرته الوصول إلى حكم عادل .
 - (9) الإسراع في الحكم بعد سماع البيانات والمشاورة وظهور الحق واضحاً في القضية المطروحة أمامه، لأن الغرض من نصب القاضي فصل الخصومات وحسم المنازعات، وكلما كان الفصل سريعاً أو في وقت قصير كان ذلك أحسن للوصول الحق إلى صاحبه .

1 - سنن الدارقطني ج 4 ص 205 رقم 10، 11، 12 رواه الدارقطني والطبراني والبيهقي.

(10) أن لا يسند عملاً لأحد محاباة حتى لا ينال لعنة الله، فعن يزيد بن أبي سفيان قال لي أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمرهم أحداً محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم" (1) ..

(11) على القاضي أن يراجع نفسه ويتأكد من عدل الأحكام قبل التلفظ بها، وإن أخطأ فعليه أن يعود إلى الحق لأنه فضيلة، فالرجوع إلى الحق خير من التماذى في الباطل. قال الفخر الرازي: هو من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين كتب إلى عبدالله بن قيس في آداب القضاء، لا يمنعك قضاء قضيتته فراجعت فيه عقلك فهديت لرشدك، أن ترجع إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التماذى في الباطل (2).

(12) وينبغي للقاضي أن يدعو الخصمين إلى الصلح، وأن يعمل على التوفيق بين المتنازعين قبل السير في القضية. على أن لا يحل حراماً أو يحرم حلالاً. فإن أجابا إلى الصلح فالصلح خير، فينبغي أن يردهما إليه ولا يقضى حتى يئأس من الصلح بينهما.

(13) ويجب ألا يصدر القاضي حكمه في الدعوى إلا بعد سماع كافة حجج الخصمين ويقرر ختام المرافعة.

(14) ولا يحكم القاضي على أحد الخصمين إلا بعد أن يسأله: أبقيت لك حجة؟ فيقول : لا ..

انتهاء ولاية القاضي وأسبابها :

هناك طرق عديدة يفقد بها القاضي ولايته للقضاء ويخرج منها ويعذل من قبل ولي

الأمر، وأهمها :

أ - إذا ظهر عجزه وعدم كفاءته .

ب- إذا حكم بجور متعمدا وثبت عليه ذلك .

1- مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 6 .

2- كشف الخفاء ج 1 ص 510.

- ج - إذا شرب الخمر أو ارتكب شيئاً من الكبائر .
- د - إن تغيرت حال القاضى الصحية بزوال عقل أو مرض يمنعه من صحة القضاء، كفقدان سمع أو بصر أو نطق أو جنون وسفه، وهو ما يسمى بفقدانه لأهلية التكليف، فإنه يعزل بذلك .
- هـ - إذا ارتد عن دين الإسلام، فاستمرار إسلامه شرط فى صحة ولايته .
- و - إذا ثبت عليه تقاضى رشوة ليحكم بغير العدل .
- ز - وفى بعض الأحيان قد يكون العزل بسبب موقف سياسى ..

* * *

الفصل الخامس

حقوق الإنسان في الإسلام والسنة

حقوق الإنسان في الإسلام والسنة

ما أوردته هنا هو بعض ما جاء عن حقوق الإنسان في الدين الإسلامي مصدرها الله تعالى ورسوله عليه السلام، فهو الذي قرر الحقوق من خلال تنظيم علاقة الإنسان بغيره، ومن خلال هذه القواعد، المكفولة بنص القرآن والسنة، تفضلاً من الله تعالى على خلقه، لكنها غيبت أو غيب بها أو بالبعض منها، مما أدى إلى الصراع ما بين السلطة والإنسان المطالب بأبسط حقوقه التي شرعها الله تعالى له. في ظل فقد العلاقة الودية بين الحاكم المطلق والمحكومين ونتيجة لعدم احترام الحريات وحقوق الإنسان .

إن النظام الإسلامي أهم خصائصه العدل؛ لذا فالإسلام ينظر لحقوق الإنسان على أنها منحة إلهية، ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه إن شاء أو يسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله له وسيحاسب الحاكم عليها، لذا يجب ألا يتجرأ على انتهاكها أو الاعتداء عليها، من يخاف الله ويخشاه .

وحقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة: بل هي مقيدة، فهناك قيود وضوابط في العقيدة والعبادة والمعاملات والعلاقات الأسرية والاجتماعية، لا ينبغي له تجاوزها أو الخروج عن إطارها، وهي التي تتعارض مع أهداف الشريعة الإسلامية أو السنة النبوية، وبالتالي ضمان عدم الإضرار بمصالح الفرد والجماعة، والتي يعتبر الإنسان من مكوناتها الأساسية .

ومفهوم حقوق الإنسان في الإسلام : هي مجموع الحريات والحقوق التي تضمن للإنسان كرامته، فالحرية حق أصيل في كل إنسان مهما اختلف لونه أو جنسه أو دينه .

وأهم مبادئ حقوق الإنسان التي بنى الإسلام موقفه عليها، لذا فهي ثابتة لا تتبدل ولا تتجزأ، وإن لم يطبقها ظالم أو جحدها فاجر :

(1) حق الحياة : فلا يحق لكائن من كان بدون حكم شرعي التصرف فيه أو المس به، ولو

كان صاحبه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (١٥١)

[الأنعام]. وحرّم الإسلام كذلك الانتحار أو قتل النفس فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء). حتى وإن كان جنينا في بطن أمه. فقال تعالى: ﴿وَلَا

تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ (١٥١) [الأنعام].

(2) حق الحياة وتجريم القتل : وشرع القصاص للحفاظ على النفس البشرية والحفاظة

عليها. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ۖ﴾ [البقرة].

(3) حق الحرية : وهي حق من الحقوق الطبيعية للإنسان المتأصلة بطبعه، والتي نشأت معه

ولا يستغنى عنها في حياته، ولا يشترط لذلك اعتراف من الدولة بها. قال أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب ؓ لعمر بن العاص [في القصة المشهورة] : يا عمرو، متى استعبدتم

الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً؟⁽¹⁾..

(4) حق التعبير : لكل إنسان حق في حرية التعبير الهادف عن رأيه. إن الإسلام كفّل

للإنسان حرية الدين أفلا يكفل له حرية التعبير، لكنه لا يجوز له التعبير عن الرأي إذا

كان في ذلك ضرر على الآخرين بالدعوة إلى الفواحش، أو اعتداء على حرماهم

وأعراضهم بالهمز واللمز، وحرّم القذف والتجريح والبهتان أو الاجتراء والاستهزاء

بالدين أو بالأنبياء أو بالصحابة أو بمن يعتبرون من صالح رموز الإسلام، أو تهيج

للعمامة وإيغار صدورهم على ولاية الأمور بغير حق. بل يجب أن يكون التعبير عن

الرأي سلمياً، قائماً على الدعوة إلى الله بالحكمة والنصيحة والموعظة الحسنة.

(5) حق عدم التجسس عليه : قال تعالى: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات]. عن معاوية

ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتم أو

كدت أن تفسدهم. فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله

تعالى بها⁽²⁾. وحدثنا ابن معد يكرب وأبو أمامة عن النبي ﷺ قال: "إن الأمير إذا ابتغى

الريبة في الناس أفسدهم"⁽³⁾. وعن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود ف قيل: هذا

فلان تقطر لحيته خمرا. فقال: عبد الله، إنا قد فهمنا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا

شيء نأخذ به⁽⁴⁾.

1- ربيع الأبرار، ج 1، ص 289.

2- سنن أبي داود ج 4 ص 272 حديث رقم 4888.

3- سنن أبي داود ج 4 ص 272 حديث رقم 4889.

4- سنن أبي داود ج 4 ص 272 حديث رقم 4890.

(6) حق التملك : أقر الإسلام حرية الإنسان في التملك بدون حدود، طالما كان ذلك شرعياً فقد قال تبارك وتعالى ﴿وَأَنبَأْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ (٧٦) [القصص].

(7) حق الدفاع عن النفس : منع الاعتداء على الإنسان بدون وجه حق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُوا إِلَيَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٩) [البقرة]. وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" (1). وعن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد" .. حديث حسن صحيح (2).

(8) حرمة المسكن في الإسلام : قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (٢٧) [النور]. أخرج البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وحسنه من حديث ثوبان رفعه: "لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل". أي صار في حكم الداخل. ومن حديث أبي هريرة بسند حسن رفعه: إذا دخل البصر فلا إذن. وأخرج البخاري أيضا عن عمر من قوله: من ملأ عينه من قاع بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق (3).

(9) حق العفو والتسامح: قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢٤) [فصلت]. أما في مجال المعاملات والآداب فتتجلى صور عظيمة من السماحة، فلقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته على أساس متين فلم يضق ذرعا بالأديان السابقة، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة رقيق الجانب لين القول مع المسلمين

1 - شعب الإيمان ج 7 ص 508.

2 - سنن الترمذي ج 4 ص 30 رقم 1421.

3 - فتح الباري ج 11 ص 24.

وغير المسلمين، فيحسن جوارهم ويقبل ضيافتهم ويصاهرهم، إن كانوا من أهل الكتاب .

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود، الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعا - دون أى عائق يمنعهم - بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسه بأذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ فبطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلمونا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أى عنف. ويقول غوستاف لوبون : فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحين متسامحين مثل العرب، ولا ديننا سمحا مثل دينهم .

ويقول هنرى دى شامبون مدير مجلة ريفى بارلمنتير الفرنسية: لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجى على العرب المسلمين فى فرنسا لما وقعت بلادنا فى ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية التى دفع إليها التعصب الدينى المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشى على المسلمين فى بواتيه لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ولنجت من وصمة محاكم التفتيش، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون.

ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك، فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا فى العلم والفن والصناعة، مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشرى فى الوقت الذى كنا فيه مثال الهمجية⁽¹⁾ ..

(10) حق المساواة بين كل بنى الإنسان : قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

1 - الحيدة والاعتذار، ج 1 ص 14.

عن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت؟" قالوا: بلغ رسول الله ﷺ (1).

(11) حق الحرية الدينية لغير المسلمين : عندما تحدث القرآن الكريم عن المخالفين من أصحاب الملل الأخرى له والكافرين به، لم يجبرهم أو يرغمهم على اعتناقه لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة].
وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس].

ثم أقر الإسلام حرية الاعتقاد فقال تعالى في كتابه الكريم :
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان].
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف].
وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس].

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال: ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة (2).

1 - مسند ابن حنبل ج 5 ص 411 رقم 23536.

2 - سنن أبي داود ج 3 ص 170 رقم 3052.

وأعطى الفاروق عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه: أهل إيلياء أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تقدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبيهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم⁽¹⁾.

(12) حقوق الوالدين على الأبناء في الإسلام : قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ٨٣﴾ [البقرة].

وقال تعالى: وقد أوجب حق الوالدين وشكرهما بقوله: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان]. جعلهما سبب الإيجاد للولد وإن كان هو سبحانه الخالق.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ [الإسراء].

وعن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: "هما جنتك ونارك"⁽²⁾.

وعن أبي الدرداء سمع النبي ﷺ يقول: "الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو أحفظه"⁽³⁾.

1 - تاريخ الطبري ج 2 ص 449.

2 - سنن ابن ماجه، ج 2 ص 1208 رقم 3662.

3 - سنن ابن ماجه، ج 2 ص 1208 رقم 3663.

وعن ميمون بن أبي شبيب قال: قيل لمعاذ ما حق الوالدين على الولد؟ قال: لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما⁽¹⁾.

وحدثنا مالك قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقى عتبة قال: "آمين". ثم رقى عتبة أخرى فقال: "آمين". ثم رقى عتبة ثالثة فقال: "آمين". ثم قال: "أتاني جبريل فقال: يا محمد، من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قلت: آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله، قلت: آمين، فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله، قل: آمين؟ فقلت: آمين"⁽²⁾..

وعن أبي أسيد قال: أتى رسول الله ﷺ رجل من بني سلمة وأنا عنده فقال: يا رسول الله إن أبوي قد هلكا فهل بقي لى بعد موتهما من برهما شيء؟ قال رسول الله ﷺ: "نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهودهما من بعدهما وإكرام صديقيهما وصلة رحمهما التي لا رحم لك إلا من قبلهما". قال الرجل: ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيعيه، قال: "فاعمل به"⁽³⁾. وأكتفى بهذه الأحاديث وهي كثر، فمن أراد التوسع في الاطلاع والوقوف على مجمل حقوق الوالدين فعليه بكتابنا الجامع لذلك والمسمى العقوق والبر ..

(13) حق اليتيم : قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٢٤) [الإسراء]. ونهى تبارك وتعالى عن قهر اليتيم فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (١) [الضحى]. وحض على إكرام اليتيم ونهى عن عدم إكرامه فقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) [الفجر].

وقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ (٤) [الماعون]. أى يدفعه عن حقه ويقهره ويظلمه، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار، ويقولون: إنما يحوز المال من يطعن بالسنان، ويضرب بالحسام، فشرع لهم الإسلام حقهم بالميراث. وعن مالك بن الحارث

1 - سنن ابن ماجه، ج 2 ص 1208 رقم 349.

2 - صحيح ابن حبان، ج 2 ص 140 رقم 409.

3 - صحيح ابن حبان، ج 2 ص 162 رقم 418.

رجل منهم أنه سمع النبي ﷺ يقول: "من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة"⁽¹⁾..

(14) حق المسكين وابن السبيل : قال تعالى: حاضاً على فعل الخيرات ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ

حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ [الإسراء]. وقد خُصص جزء معلوم من أموال الأغنياء سُمي بالزكاة أوجبها الله تعالى عليهم للفقراء والمساكين، بجانب ما حض الله به ورسوله من الصدقات المضاعف أجرها عند الله لمن أتاها .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ليس المسكين بهذا الطَّوْف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمررة والتمرتان"، قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن الناس له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس"⁽²⁾..

وعن ابن بجيد الأنصاري ثم الحارثي عن جدته أن رسول الله ﷺ قال: "ردوا المسكين ولو بظلف محرق"⁽³⁾. وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن مسكينة مرضت فأخبر رسول الله ﷺ بمرضها، وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين ويسأل عنهم، فقال رسول الله ﷺ: "إذا ماتت فأذنوني بها"، فخرج بجنائزها ليلاً فكروها أن يوقظوا رسول الله ﷺ، فلما أصبح رسول الله ﷺ أخبر بالذي كان من شأنها فقال: "ألم آمركم أن تؤذنوني بها؟" فقالوا: يا رسول الله كرهنا أن نخرجك ليلاً ونوقظك. فخرج رسول الله ﷺ حتى صف بالناس على قبرها وكبر أربع تكبيرات⁽⁴⁾. وعن أسامة قال رسول الله ﷺ: "قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين"⁽⁵⁾..

1 - مسند أحمد، ج 5 ص 29 رقم 20346.

2 - موطأ مالك، ج 2 ص 923 رقم 1645.

3 - موطأ مالك ج 2 ص 923 رقم 1646.

4 - موطأ مالك ج 1 ص 227 رقم 533.

5 - مسند أحمد ج 5 ص 205 رقم 21830.

(15) حق أن يحاكم من أخطأ بالعدل: قال تبارك وتعالى: حاضاً على العدل آمرا

باتباعه ناهيا عن مجانبته ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل].
وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة]. وقال تعالى وقد ترك مجالا للعفو والتصالح طمعا في ما عند الله من خير: ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ [المائدة]..

(16) حق التعلم: عد التعلم في الإسلام فريضة على كل مسلم. وقد دعى الإسلام

إلى العلم في نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [الإنسن] ١
مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ [العلق].
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه] ١١٤. ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة] ١١. ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم] ١.

وفي الحث على طلب العلم : عن أنس قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع. رواه الترمذي⁽¹⁾. وعن كثير بن قيس : أتيت أبا الدرداء وهو جالس في مسجد دمشق، فقلت : يا أبا الدرداء إني جئت من مدينة رسول الله ﷺ في طلب حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، فقال: ما جاءت بك حاجة ولا جاءت بك تجارة ولا جاء بك إلا هذا الحديث؟

قلت: نعم. قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العالم يستغفر له

1 - كنز العمال ج 10 ص 69 رقم 28819.

من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء، ألا وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر"⁽¹⁾.
وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة تجرى له، أو ولد صالح يدعو له"⁽²⁾..

* * *

1- معجم ابن الأعرابي ج 4 ص 71.

2- سنن الدارمي ج 1 ص 148 رقم 559.

الفصل السادس

استقلال القضاء

◀ الرقابة على القضاة في النظام الإسلامي

◀ خطورة منصب القضاء

استقلال القاضي عن السلطة التنفيذية والاستعفاء من القضاء عند تدخل السلطة

استقلال القضاء المعنى به، أن يكون القضاء في مأمن من تدخل غير رجال القضاء فيه، وأن يكون القاضي آمناً حين يصدر أحكامه وأن لا يصيبه ضرر، سواء على مستقبله الوظيفي أو على نفسه أو أولاده أو ما يملك. إن الأمة الإسلامية تحتاج إلى العدل والمساواة والحكم بما أنزل الله، مهما كان الخصم ذا سلطان، وعدم مدهانة الأمراء ورجال الأعمال في الأحكام.

فالشريعة وقواعدها العامة تمنع ولاية الأمور في الأمة أو من في حكمهم، من التدخل أو التأثير في أداء القضاة بأي وجه من الوجوه، لأن هذا محرم. والنظام الإسلامي يجب أن يتقيد في كل أصوله وفروعه بصفة وبغاية عليا هي العدل، بالقول الذي يصادقه التنفيذ بالعمل، بما أمر ومنع ونهى الله عنه. وذلك على وجه التضامن بين الناس، ومن مقتضاه تنفيذ أوامره سبحانه وتعالى. فما أمر به هو معيار للحق، وما نهي عنه هو الباطل.

[كتب أمير المؤمنين عليه السلام] معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها: أن اكتبني إلى كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي؟ فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام عليك" ⁽¹⁾. إن الإسلام تحرياً للعدل فرض استقلال القضاء على ولاية الأمر فرضاً، ولا يزال الإسلام منيعاً، ما اشتد السلطان في تنفيذ أوامر الله. وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط أو سجنًا للعباد، ولكن قضاء بحق وأخذاً بعدل وعدم التدخل في أحكام القضاء ..

إن الإسلام لم يكتف بمنع ولاية الأمر من التدخل في عمل القاضي، حفاظاً على استقلاله في الأحكام التي يصدرها فحسب، بل إنه فرض ضمانات أخرى لتثبيت استقلال القضاء وتوطيده، لأن القاضي ينبغي أن يكون محل ثقة واحترام ليطمئن الناس على عدالته في الحكم.

من أجل ذلك، أحاط بعض الخلفاء وأولى الأمر من المتقين لله الطائعين له المنفذين لأوامره جل وعلا، نظام القضاء بكل مظاهر التقى والإجلال والتكريم، وصانوه عن التدخل

1 - سنن الترمذي ج 4 ص 609 رقم 2414.

فيه، اتقاء لله وضمانا للحق وإرساء للعدل فلم يسعوا إلى تحويل الأحكام لصالحهم أو لصالح بطانتهم، أو لصالح أحد من أهل الدنيا ..

26 - لقد كان بعض قضاة الدولة الإسلامية يعتزلون القضاء مباشرة، إذا حال الوالى أو أى شخص له نفوذ دون تنفيذ حكم أصدره القاضي، لأن ذلك ظلم، والقضاء وجد لإنصاف مختلف أفراد الرعية. بل إن بعض القضاة كانوا يبتعدون عن مجالسة الأمراء على الرغم من إلحاحهم فى طلبهم لحضور مجالسهم! وعلى الرغم من تبعية القاضي إلى أمير المدينة، إلا أنه لم يكن يتأثر بأية ضغوط، وكان لا يبالي لمن يكون الحق، بل أصدر بعضهم أحكاما أغضبت الأمراء أنفسهم وأضرت بمصالحهم ..

27 - يقول أبو حامد الغزالي: ومهما كان السلاطين ظلمة، ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم، إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه . فليس له أن يتقلد القضاء . وإن تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق، ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له فى الإهمال أصلا . بل إذا عزل سقطت العهدة عنه. فينبغى أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله. فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان، فكيف يرتقب عليه ثوابا [وبأخذ عليه أجراً] ! وهو مع الظلمة فى الدرك الأسفل من النار ..

وفى قول منسوب للمستشار أحمد مكى نائب رئيس محكمة النقض بمصر يقول: إن أصل عموم القضاة من تتحقق التزاهة لديهم ومشهود لهم بالتقدير، بينما لا يخلو الأمر من بعض القضاة الذين يستجيبون للضغوط. ولا بد من تفعيل ما يحقق استقلال السلطة القضائية بسد منافذ التأثير على القضاء، بالإضافة إلى وضع ضوابط لاختيار القيادات. وأشار إلى أن القضاة فى إمكانهم فضح أى تدخل، ولكن لا يستطيعون أن يمنعوه ! موضحاً أن القضاء سيطر جزءاً من سلطات الدولة، إلى أن يتحقق له الاستقلال فى ظل كيان قوى قادر على مواجهة السلطة التنفيذية ..

28- ويقول نصر فريد محمد واصل : إذا لجأ بعض ولاة الأمور إلى التدخل من وراء ستار [أو من خلال رجل يعين باسم قاضى يلفظ بالأحكام التى أعدوها له مسبقا، ذرا للمراد

في العيون، فهؤلاء القضاة إنما نصبهم أهل الاستبداد في مناصبهم، ليكونوا قضاة على الضعفاء دون الأقوياء، والفقراء دون الأغنياء، والعامة دون المقربين].

إن القاضي الذي ينتظر تلقى الوحي من السلطات العليا فليس بقاض على التحقيق، وإنما هو كما قال ابن أبي حمزة: من كان لا يقضى إلا بما أمره به من ولاة، فليس بقاض على الحقيقة وإنما هو خادم رسالة، أى مبلغ أو بوق . ومن هنا ذهب جمهور الفقهاء ، إلى أن الله تعالى أمر الرعية بطاعة الولاة ، لا مطلقا وإنما ضمن طاعته وطاعة رسوله. حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ﴾ [النساء]. والسياق يدل على أن المراد بأولى الأمر أمراء الحق .

(عن معمر قال: خطبنا أبو بكر [الصدیق رضی الله تعالى عنه خليفة رسول الله] فقال: يا أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني وإن أحسنت فأعينوني. الصدق أمانة والكذب خيانة. الضعيف فيكم قوى عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) ⁽¹⁾.

وقال [أمير المؤمنين بحق] عمر بن الخطاب ؓ: من رأى منكم في أعوجاجا عن الحق فليذكرني. فقام إليه بلال أو سلمان فقال: لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بسيوفنا ! فقال [ولم يغضب]: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا رأى في أعوجاجا قومني بسيفه ⁽²⁾!!

إن القضاء في معظم الدساتير الدولية يجعل التدخل في شؤونه جريمة، إلا أن الواقع في كثير من الدول محزن، أما في الإسلام فالقضاء مستقل تماما، وأول من جعله سلطة مستقلة هو [أمير المؤمنين] عمر بن الخطاب ؓ، حيث جعل لكل ولاية قاضيا لا يخضع لسلطة الوالى حتى إنه قال لمعاوية بن أبي سفيان ؓ: عندما حاول التدخل في عمل عبادة بن الصامت، وقت أن كان معاوية واليا على فلسطين وعبادة قاضيا: لا إمرة لك على القاضي .

1- الجامع ج 11 ص 336.

2- كفاية الطالب ج 1 ص 153.

وقال لعبادة - الذى كان فى طريقه راجعا للمدينة - : ارجع قبح الله أرضا لست بها.

بل إنه كان ﷺ حريصا على مهابة القاضي، وإعطائه كل ما يحتاج إليه حتى يكون حكمه متزاها عن كل نقص وليقيم العدالة. [ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب].

إن المساواة بين جميع الناس أمام القضاء وحققهم فى اللجوء إليه، والنماذج على ذلك فى الإسلام أكثر من أن تحصى، حيث كان الفقراء يقاضون الحكام والأمراء، وينالون أحكاما عادلة من قضاة لا يخشون فى الله لومة لائم..

— قال زعيم بريطاني كافر بالله مشرك به، لم يسجد لله سجدة واحدة، فى دولة عظمى دامت إمبراطوريتها قرونًا، أعتقد جازما أنه ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا. فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، حين اجتمع بوزرائه، وقد أتت الحرب على كل شيء من مقادير الدولة، فلا مصانع ولا معامل ولا مال ولا شيء، فالحرب لم تبقى ولم تذر.

فسأل هذا الزعيم وزراءه وقد اجتمع بهم: كيف الصناعة عندك يا فلان؟ قال: المصانع والمعامل كلها مدمرة، كم فى حوزتك من المال يا وزير المالية؟ قال: لا شيء!

سأل كل وزير بحسب اختصاصه، فظهر له أن البلاد مدمرة اقتصاديا عن آخرها. فلما وصل إلى وزير العدل قال: يا فلان كيف العدل عندك؟ قال: بخير .

قال : كلنا إذاً بخير . نحن بخير إذا أخذ العدل مجراه !! أى أن كل شيء من الممكن تعويضه وإعادة بنائه من مصانع وطرق ومنازل، فكل أمور يستطيع توفر المال أن يعيدها كسابق عهدها أو أفضل مما كانت. إلا العدل إذا فقد، فليس فى الإمكان إعادته؛ فهو جوهر النفس البشرية إن هدم اختلت بسببه ركائز أمور الحياة .

إن فقدان العدالة من أهم عوامل سقوط وانحيار الدول، وإن طال الزمن، فانظر إلى ما خطه التاريخ واحتفظ لنا به من أخبارهم وزوال إمبراطورياتهم وحضاراتهم، استعاضوا بالعدل ظلماً استوطن بقلوبهم، فصدق الله العظيم الجليل حين يقول: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ

﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ [المطففين].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ما نصه: إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة. ولهذا يروى أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة. ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة⁽¹⁾. [فهل من متعظ ساعٍ لإقامة عدل ناهٍ عن دوام ظلم] ؟

29- ولقد اختلف في قبول ولاية القضاء من الأمير غير العدل: ففي رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية لأبي محمد عبد الله بن محمد المالكي، قال سحنون: اختلف أبو محمد عبد الله بن فروخ، وابن غانم قاضي أفريقية، وهما من رواة مالك، فقال ابن فروخ: لا ينبغي للقاضي إذا ولاه أمير غير عدل أن يلي القضاء ..

الرقابة على القضاة في النظام الإسلامي

اهتمت مؤسسة الحكم والخلافة الإسلامية بالقضاء والقضاة. وتطور الأمر بعد ذلك، فعين قاضي للقضاة بميزة المفتش على الأحكام والقضاة، وهو مثل محكمة النقض في زماننا الحاضر، وأصبح مختصا بالتحقيق مع قضاة الأقاليم الذين كانت ترفع بهم الشكاوى، فيعزل من استحق العزل ويبقى من ثبتت براءته أو ينبه ويوعظ إن كانت الشكاوى كيدية في حقه.

وشددت الرقابة على القضاة منعاً للمحاباة في أحكامهم وتلافياً للظلم، وحرصت على عزل القاضي الظالم المتحامل أو من لم يحكم بالعدل إذا رابه منه أمر ..

30 - عن ابن طاووس عن أبيه أن [أمير المؤمنين] عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم وأمرته بالعدل أقضيت ما على؟ قالوا: نعم .

قال : لا، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا ..

خطورة منصب القضاء

لما كان العدل دعامة ثبات الممالك والأمم الراشدة، حرص الإسلام على تأكيد أهمية دور القضاء وعظمة موقعه في الأمة الإسلامية. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء].

1 - فتاوى ابن تيمية رساله في الحسبة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص يبلغ به [عن] النبي ﷺ: "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"⁽¹⁾. لذا فإن منصب القضاء من أعلى المراتب في الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر]. فكان القاضي ينوب عن الله في إقامة العدل والحكم به، فعلى يديه يرى الناس آثار العدل ساريا بينهم، فيطمئنون على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم، التي إن كانت قد خرجت من بين أيديهم بغير حق، إلا أنها قد عادت إليهم عن طريق عدالة القضاء التي يمثلها القاضي المطبق لشرع الله بنفسه .

إن بريق منصب القاضي وعلو قدره واحترام الناس له، جعل الأنفس الضعيفة تهفو إليه لتحوز الشرف والمكانة وترفع من خساستها في الدنيا متغافلة عن عبء القيام بحقه من واجبات العدل وتبعاته، فكان في ذلك المنصب هلاكها يوم القيامة. فمن حرص على الشرف يطلب الولاية كان أشد إهلاكاً لنفسه، فالعلو في الأرض ضرره عظيم والزهد فيه أصعب، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٨٣] [القصص].

إن طباع البشر مجبولة على الظلم، وقل من ينصف من نفسه. وقل من يحرص على رياسة الدنيا لطلب الآخرة فيوفق. عن عبد الرحمن بن سمرة قال لى النبي ﷺ: "يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك، وأت الذي هو خير"⁽²⁾..

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة"⁽³⁾.

1- مسند أحمد، ج 2 ص 160 رقم 6492.

2- صحيح البخارى ج 6 ص 2443 رقم 6248.

3- صحيح البخارى ج 6 ص 2613 رقم 6729.

وعن أبي موسى قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين: أَمَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وقال الآخر: مثله. فقال ﷺ: "إنا لا نولى هذا من سألناه ولا من حَرَصَ عليه"⁽¹⁾.

31 - وقيل: الناس في القضاء على ثلاثة أضرب: منهم من لا يجوز له الدخول فيه، وهو من لا يحسنه ولم تجتمع فيه شروطه. فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: القضاء ثلاثة: ذكر منهم رجلا قضى بين الناس بجهل فهو في النار، لأن من لا يحسنه لا يقدر على العدل فيه فيأخذ الحق من مستحقه ويدفعه إلى غيره⁽²⁾.

ومنهم من يجوز له ولا يجب عليه، وهو من كان من أهل العدالة والاجتهاد ويوجد غيره مثله، فله أن يلي القضاء بحكم حاله وصلاحيته ولا يجب عليه لأنه لم يتعين له، فظاهر كلام أحمد [بن حنبل] أنه لا يستحب له الدخول فيه لما فيه من الخطر والغرر، وفي تركه السلامة لما ورد فيه من التشديد والذم ولأن طريقة السلف الامتناع منه والتوقي.

والثالث من يجب عليه وهو من يصلح للقضاء ولا يوجد سواه، فهذا يتعين عليه لأنه فرض كفاية لا يقدر على القيام به غيره، فيتعين عليه كغسل الميت وتكفينه. وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه لا يتعين عليه، فإنه سئل هل يأثم القاضي إذا لم يوجد غيره؟ قال: لا يأثم، فهذا يحتمل أن يحمل على ظاهره في أنه لا يجب عليه لما فيه من الخطر، فلا يلزمه الإضرار بنفسه لنفع غيره. ولذلك امتنع أبو قلابة منه وقد قيل له: ليس هاهنا غيرك، ويحتمل أن يحمل على من لم يمكنه القيام بالواجب لظلم السلطان أو غيره [أو لعدم استقلال القضاء]. وقال أحمد: لا بد للناس من حاكم. أتذهب حقوق الناس؟

32 - لذا كانت وظيفة القاضي من شأنها، تمكين سيادة القوانين التي تحكم المجتمعات وتدعم السلام بين الناس، بما يصدره القاضي من أحكام لصيانة الحقوق وتوقيع العقاب، ولهذا كان أول ما قرره الإسلام حفاظا على كيان المجتمع البشري، مبدأ العدل بين الناس، فقد غنى به القرآن الكريم دستور الإسلام ومصدر تشريعه وحذر في المقابل من الظلم حتى من الأعداء

1- صحيح البخارى ج 6 ص 2614 رقم 6730.

2- الشرح الكبير لابن قدامة ج 11 ص 375.

الذين يحملون لنا ونحمل لهم من الشنآن والبغض ما تنوء بحمله القلوب. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

33 - قال المسور بن مخرمة: سمعت عمر رضي الله عنه وإن إحدى إصبعي لفي جرحه وهو يقول: يا معشر المسلمين إني لا أخاف الناس عليكم إنما أخافكم على الناس، إني قد تركت فيكم اثنتين لن تبرحوا بخير ما لزمتموهما العدل في الحكم والعدل في القسم، وإني قد تركتكم على مثل مخرفة النعم إلا أن يعوج قوم فيعوج ...

* * *

الفصل السابع

نصائح رسول الله ﷺ وآخرين
وتحذيرهم لكل من تولى أمراً من أمور
القضاء

نصائحُ رسولِ الله ﷺ وآخرين وتحذيرهم لكل من تولى القضاء

34 - عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار . فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقاضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار .. قال أبو داود : وهذا أصح شيء فيه يعني حديث ابن بريدة: القضاة ثلاثة⁽¹⁾ ..

35 - وقال النبي ﷺ: من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين. قال الترمذى هذا حديث حسن⁽²⁾ . جاء في النهاية: ذبح بغير سكين معناه التحذير من طلب القضاء والحرص عليه، أى من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح فليحذر، والذبح هنا مجاز عن الهلاك فإنه من أسرع أسبابه. وقوله بغير سكين يحتمل وجهين: أحدهما الذبح في العرف إنما يكون بالسكين، فعدل عنه ليعلم أن الذى أراد به ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه. والثاني أن الذى يقع به راحة للذبيحة وخلاصها من الألم، إنما يكون بالسكين [الحادة] فإذا ذبح بغير سكين كان ذبحه تعذيبا له، فضرب به المثل ليكون أبلغ في الحذر وأشد في التوقى منه .

وفى مصباح الزجاجة قال الطيبي: ويمكن أن يقال : أراد أنه من جعل قاضيا فينبغى أن يموت جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الردية. وعليه فالقضاء مرغوب فيه وعلى الأولين مرهوب عنه فإن خطره كثير، لأنه قلما عدل القاضى لأن النفس مائلة إلى من يحبه ويخدمه أو من له منصبه يتوقع جاهه ..

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "من سأل القضاء وُكِّل إليه، ومن أجبر عليه نزل عليه ملك فيسدده"⁽³⁾ ..

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: "من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء وُكِّل إلى نفسه، ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدِّدُه". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وهو أصح من حديث إسرائيل عن عبد الأعلى⁽⁴⁾ ..

1 - سنن أبى داود ج 3 ص 299 رقم 3573.

2 - المغنى ج 10 ص 89، شرح سنن ابن ماجه ج 1 ص 167 رقم 2308.

3 - مسند ابن حنبل ج 3 ص 118 رقم 12205.

4 - سنن الترمذى ج 3 ص 614 رقم 1324.

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوروه فله الجنة. ومن غلب جوروه عدله فله النار"⁽¹⁾..

وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال : جاء أناس من قومي فقالوا: إن لنا إلى رسول الله ﷺ حاجة فاذهب معنا؟ فذهبت معهم فقالوا: يا رسول الله استعن بنا في عملك؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنا لا نستعمل في عملنا من سألناه". قال أبو موسى: فاعتذرت مما قالوا وإني لم أعلم حاجتهم⁽²⁾..

36 - وحدثنا العلاء بن بشير أن فتى شابا كان قد أعجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أراد الفتى الخروج إلى بلده قال : يا أمير المؤمنين أدخلني فإن لي حاجة؟ فأدخله فقال: إني أردت الانصراف إلى بلدي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوليئني القضاء؟ فقال عمر رضي الله عنه: لقد كدت تغرني. إن هذا الأمر لا يقوم به من أحبه ..

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: "من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين". هذا حديث صحيح الإسناد⁽³⁾..

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "إنكم ستحرصون على الإمارة وستصير حسرة وندامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة"⁽⁴⁾..

عن ابن مسعود قال النبي ﷺ: ما من عبد يحكم بين الناس إلا جاء يوم القيامة ومملك آخذ بقفاه ثم يرفع رأسه إلى السماء، فإن قال الله ألقه ألقاه في مهواة أربعين خريفا⁽⁵⁾..

1 - رواه أبو داود مشكاة ج 2 ص 614 رقم 3736.

2 - مسند أبي عوانة ج 4 ص 379 رقم 7019.

3 - المستدرک علی الصحیحین ج 4 ص 104 رقم 7023.

4 - أحمد والبخاري والنسائي وشيخ ج 6 ص 419 رقم 32542.

5 - جامع الأحاديث ج 6 ص 291 رقم 18839.

عن أبي هريرة : أبعد الناس عند الله يوم القيامة القاضى الذى يخالف إلى غير ما أمر به⁽¹⁾ ..
وعن معقل بن يسار: أن الله تعالى مع القاضى مالم يحف⁽²⁾ ..
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: شرار أمتى من يلى القضاء، إن اشتبه عليه لم يشاور، وإن
أصاب بطر وإن غضب عنف. وكاتب السوء كالعامل به⁽³⁾ ..
وفى الحديث أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: إني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تتأمرن
على اثنين ولا تتولين مال يتيم⁽⁴⁾ ..
عن سالم الجيشاني عن أبي ذر: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، إني لأراك ضعيفا وإني
لأحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تتولين مال يتيم⁽⁵⁾ ..
عن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : إن القاضى ليزل فى حكمه فى مزلة أبعد من
عدن أبين فى جهنم⁽⁶⁾ ..
عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : ما من أمير ثلاثة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلوله يده
إلى عنقه، أطلقه الحق أو أوثقه⁽⁷⁾ ..
عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : ويل للأمرء وويل للعرفاء وويل للأمناء،
ليتمنين أقوام يوم القيامة أن نواصيههم معلقة بالثريا يتخلخلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا
عمالا⁽⁸⁾ ..

1 - كنز العمال ج 6 ص 37 رقم 14984.

2 - كنز العمال ج 6 ص 37 رقم 14986 الحيف: الجور والظلم.

3 - رواه الديلمي، كشف الخفاء ج 2 ص 7 رقم 1536.

4 - معالم القربة، ج 1 ص 284.

5 - أخبار القضاة، ابن حبان ج 1 ص 21.

6 - مسند عبد بن حميد ج 1 ص 67 رقم 108.

7 - مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 420 رقم 32554.

8 - سنن البيهقي الكبرى ج 10 ص 48 رقم 20011.

عن أبي أوفى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "إن الله مع القاضى ما لم يجز، فإذا جار تبرأ الله عز وجل منه". الإسناد صحيح ولم يخرجاه⁽¹⁾..

عن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: "من كان قاضيا ففقضى بجور كان من أهل النار، ومن كان قاضيا ففقضى بجهل كان من أهل النار، ومن كان قاضيا ففقضى بعدل فبالحرى أن ينفلت كفافا"⁽²⁾..

عن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "لسان القاضى بين جمرتين إما إلى جنة وإما إلى نار". أى يقوده إلى الجنة إن عمل بالحق وإلى النار إن جار أو قضى على جهل. وإسناده ضعيف⁽³⁾..

عن عمران بن حطان رضي الله عنه قال: سمعت عائشة رضى الله عنها وذكر عندها القضاة فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب، ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط". كذا فى كتابى عمر بن العلاء⁽⁴⁾..

وعن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس من والٍ ولا قاضٍ إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط، ثم تنشر سيرته فتقرأ على رؤوس الخلائق، فإن كان عدلا نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضا، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينحرق به الجسر إلى جهنم"⁽⁵⁾..

عن ابن عباس مرفوعا أن النبي ﷺ قال: "من ولى عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو بما كرهوا، جيء به مغلوله يده، فإن عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه، وإن حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه، شددت يساره إلى يمينه ثم رمى به فى جهنم فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام"⁽⁶⁾..

1 - المستدرک على الصحیحین ج 4 ص 105 رقم 7026.

2 - مسند أبی یعلی ج 10 ص 93 رقم 5727.

3 - التیسیر بشرح الجامع الصغیر ج 2 ص 291.

4 - سنن البیهقی الکبرى ج 10 ص 96 رقم 20008 .

5 - الکبائر ج 1 ص 130.

6 - الترغیب والترہیب ج 3 ص 126 رقم 3353.

"من ولى عملا وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل أهل، فليتبوأ مقعده من النار"⁽¹⁾.

عن أبي بكر رضي الله عنه: من ولى ذا قرابة محاباة وهو يجد خيرا منه لم يجد رائحة الجنة⁽²⁾.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليمن قاضياً ووالياً قال له: "إياك والتنعيم"⁽³⁾. فإن عباد الله المخلصين ليسوا بالمتنعمين، بل التنعيم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تبارك تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا وَيَلْعَبُوا فِي مَوَاقِعِهِمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٢٠]. وقال: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى فِيهِمْ﴾ [محمد: ١٣]. وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤٥]⁽⁴⁾.

عن أبي بكر رضي الله عنه: من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم. ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئا بغير حقه، فعليه لعنة الله، أو قال: تبرأت منه ذمة الله⁽⁵⁾..

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه"⁽⁶⁾..

عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنه قال: استسلف رسول الله ﷺ بكرا فجاءته إبل من الصدقة، فأمرني رسول الله ﷺ أن أقضى الرجل بكرهه فقلت: لم أجد في الإبل إلا جملا خيرا رباعيا، فقال رسول الله ﷺ: "أعطه إياه فإن خيار الناس أحسنهم قضاء"⁽⁷⁾..

1 - مسند الروياني، كنز العمال ج 6 ص 16 رقم 14750.

2 - ابن عساکر، كنز العمال ج 6 ص 16 رقم 14752.

3 - هو المبالغة في تحصيل الشهوات والحرص على النعمة.

4 - سورة الواقعة آية 45، رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان، مرقاة المفاتيح ج 9 ص 448 رقم 5262.

5 - كنز العمال ج 6 ص 16 رقم 14749.

6 - أخبار القضاة ابن حيان ج 1 ص 63.

7 - موطأ مالك ج 2 ص 680.

عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: "من أرضى سلطانا بسخط ربه عز وجل، خرج من دين الله تبارك وتعالى". تفرد به علاق بن أبي مسلم والرواة إليه كلهم ثقات⁽¹⁾..

عن يحيى بن راشد قال: جلسنا لعبد الله بن عمر فخرج إلينا فجلس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله. ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى يترع عنه. ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال"⁽²⁾..

عن ابن عمر عن النبي ﷺ بمعناه قال: "ومن أعان على خصومة بظلم، فقد باء بغضب من الله عز وجل"⁽³⁾..

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "من أعان على خصومة بظلم أو يعين على ظلم، لم يزل في سخط الله حتى يترع"⁽⁴⁾..

وقوله ﷺ: "من أعان ظالما عند خصومة ظلما وهو يعلم، فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله"⁽⁵⁾..

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: "من منع بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ"⁽⁶⁾..

عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: "من أعان ظالما سلطه الله عليه"⁽⁷⁾..

وعن عقبة بن عامر قال: جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله ﷺ فقال: اقض بينهما قلت: أنت أولى بذلك، قال: وإن كان، قلت: علام أقضي؟ قال: "اقض فإن أصبت فلك

1- كتاب الأحكام، المستدرك على الصحيحين ج 4 ص 116 رقم 7071.

2- سنن أبي داود ج 3 ص 305 رقم 3597.

3- سنن أبي داود ج 3 ص 305 رقم 3598.

4- سنن ابن ماجه ج 2 ص 778 رقم 2320.

5- كنز العمال ج 6 رقم 14948.

6- مساوي الأخلاق ج 2 ص 135.

7- ابن عساکر، الفتح الكبير ج 3 ص 155 رقم 11437.

عشرة أجور وإن أخطأت فلك أجر واحد". رواه سعيد في سننه فصل وفيه خطر عظيم ووزر كبير لمن لم يؤد الحق فيه، ولذلك كان السلف رحمة الله عليهم يمتنعون منه أشد الامتناع ويخشون على أنفسهم خطره. وقيل: في هذا الحديث إنه لم يخرج مخرج الدم للقضاء وإنما وصفه بالمشقة فكان من وليه قد حمل على مشقة⁽¹⁾..

عن ابن حجر أنه سأل القاسم بن البرحى كيف سمعت عبدالله بن عمر يخبر؟ قال: سمعته يقول: إن خصمين اختصما إلى عمر فقضى بينهما، فسخط المقضى عليه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: "إذا قضى القاضى فاجتهد فأصاب كان له عشرة أجور، وإن اجتهد وأخطأ كان له أجر أو أجران"⁽²⁾..

37- قال عطاء: لا يحل لأحد أن يعين ظالما ولا يكتب له ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئا من ذلك فقد صار معينا للظالمين. وفي الحديث: "ينادى مناد يوم القيامة، أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة، حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما!! فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم".

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: "من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلومته، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة يوم تزل فيه الأقدام. ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه، أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الأقدام". وفي الحديث: "من مشى مع ظالم فقد أجرم"⁽³⁾. فالمشى مع الظالم لا يكون جرما إلا إذا مشى معه ليعينه، لأنه ارتكب ما نهى الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة]. فاحذر أيها القاضى أن تكون ظالما في قضائك، واحذر أن تكون عوناً للظالمين فيما يصدر عنه من أحكام جاهزة لك لتقضى بها، واتق الله في نفسك ولا تبع آخرتك لدنيا غيرك، وتذكر قول رسولنا الكريم [من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله، أى إن استحل ذلك. وأخرج ابن سعد عن ابن مسعود قال: إن الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه ! قيل: كيف؟

1- المغنى ج 10 ص 89.

2- فتوح مصر وأخبارها ج 1 ص 380.

3- تفسير القرطبي ج 13 ص 263.

قال: يرضيه بما يسخط الله . في الأحكام عن جابر بن عبد الله قال الذهبي: تبعاً للحاكم. تفرد به علاق عن جابر والرواة إليه ثقات⁽¹⁾ ..

عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: "من سود مع قوم فهو منهم . ومن روع مسلماً لرضا سلطان جيء به يوم القيامة معه"⁽²⁾ ..

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إذا هلك الحكم عرض عليه في قبره كل قضية قضى بها، فإن كان في شيء منها خلاف ضرب بمرزبة من حديد ضربة يسعل منها قبره⁽³⁾ ..

قال النبي ﷺ: "ما من رجل يكون على الناس فيقوم على رأسه الرجال، يحب أن يكثر الخصوم عنده فيدخل الجنة"⁽⁴⁾ ..

وقال ﷺ: "السلطان ظل الله في الأرض، يأوى إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر"⁽⁵⁾ ..

وقال عليه الصلاة والسلام: "عدل ساعة في الحكومة خير من عبادة ستين سنة"⁽⁶⁾ ..

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها، وجور ساعة في حكم أشد وأعظم من معصية ستين سنة"⁽⁷⁾ ..

عن عطاء بن يسار عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: "إذا ابتلى أحدكم بالقضاء بين المسلمين، فلا يقض وهو غضبان، فليسو بينهم بالنظر والمجلس والإشارة ولا يرفع صوته على أحد الخصمين"⁽⁸⁾ ..

1- فيض القدير ج 6 ص 51.

2- الفتح الكبير 3 / 200 كنز العمال ج 6 ص 34 رقم 14952.

3- أخبار القضاة بن حبان ج 1 ص 32.

4- جامع الأحاديث ج 6 ص 376 رقم 19398.

5- أمالي ابن سمعون ج 1 ص 98.

6- حياة الحيوان الكبرى ج 1 ص 149.

7- فضيلة العادلين ج 1 ص 117.

8- مسند أبي يعلى ج 10 ص 264 رقم 5867.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء⁽¹⁾..

عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: "رحم الله عبدا سمحا قاضيا وسمحا مقتضيا"⁽²⁾..

عن أنس قال رسول الله ﷺ "الظلم ثلاثة : فظلم لا يتركه الله. وظلم يغفر. وظلم لا يغفر. فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذى يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذى لا يتركه فيقتص الله بعضهم من بعض"⁽³⁾..

وعن أنس رضي الله عنه، يرفعه: القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة⁽⁴⁾..

عن أبي سعيد الخدري قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه دينا كان عليه، فاشتد عليه حتى قال له : أخرج عليك إلا قضيتني؟ فانتهره أصحابه وقالوا: ويحك تدرى من تكلم؟ قال: إني أطلب حقى !!

فقال النبي ﷺ: "هلا مع صاحب الحق كنتم". ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك؟ فقالت: نعم بأبي أنت يا رسول الله، فأقرضته.

فقضى الأعرابي وأطعمه فقال: أوفيت أوفى الله لك.

فقال: "أولئك خيار الناس إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع"⁽⁵⁾..

عن خولة الأنصارية قالت : كان على عهد رسول الله ﷺ صاع لرجل من تمر لرجل من بنى غفار، فقال النبي ﷺ: لرجل من الأنصار: اقضه. فأعطاه تمرا دون تمره! فردده ! فقال

1- مسند الحميدى ج 2 ص 429 رقم 972.

2- مسند الشهاب ج 2 ص 253 رقم 1300.

3- مسند الطيالسى ج 1 ص 282 رقم 2109.

4- ربيع الأبرار ج 1 ص 374.

5- سنن ابن ماجه ج 2 ص 810 رقم 2429.

الأنصاري: أترده على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ؟! فاحتلت عينا رسول الله ﷺ دموعا وقال: صدق، ومن أحق بالعدل مني، إنه لا يقدر الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قوتها وهو لا يتعتع . ثم قال: يا خولة عديهِ وأذهبهِ واقضيه فإنه ليس من غريم يخرج من عند غريمه وهو راض، إلا صلت عليه دواب الأرض وحيتان البحور، وليس من غريم يلوى غريمه وهو يجد إلا كتب عليه في كل يوم وليلة إثم⁽¹⁾.

38- حكى بعض القضاة وهو يبكى أنه رأى مناما مهولا، رأى القيامة قد قامت والناس يحشرون على ما وصف في الأحاديث في صعيد واحد عرايا خائفين حائرين، يموج بعضهم في بعض، فإذا شخص مما له أمر قد أشار بسوط معه وخط به في الأرض فقسّمهم قسّمين فقال: هؤلاء مطيعون [بالأقوال] وهؤلاء عصاة الأفعال ! قال : فكنت في عصاة الأفعال ، ثم غاب في الحال عنا عصاة الأقوال ، فلم نر منهم أحدا وبقينا نحن ونحن قليل بالنسبة إلى عصاة الأقوال، فبينما نحن كذلك إذ جاء آتٍ إلى شخص إلى جانبي فأخذه من كعبه، ثم نشطه فأخرج جلده بكرة واحدة كأنه جراب نزع عن شيء فيه يابس ! فحصل لي من ذلك دعر شديد، فبينما أنا كذلك إذ آتٍ جاءني من ورائي، فألقى عليّ جوخة⁽²⁾. فجعلها على أكتافي وأدارها على أفخاذي فسترني بها ولكن على غير هيئة لبس المخيط ، واستيقظت وأنا على ذلك فقصصته على بعض الصالحين فقال: احمد الله على كونك من عصاة الأفعال، وأخذ من سترى بالجوخة على تلك الهيئة أنى أحج، فبشرني بذلك فحججت في ذلك العام. والله تعالى المسؤول في التوبة ..

39 - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان رجل من بنى إسرائيل يعمل بمسحاة له فأصاب أباه فشججه فقال: لا تصحبنى من فعل بأبي ما فعل فقطع يده ! فبلغ ذلك بنى إسرائيل، فمات قاض لهم فقالوا: من نجعل مكانه؟ قالوا: فلان، فأبى، فلم يزالوا به حتى قال: دعوني حتى أنظر في أمري، فكحل عينيه بشيء حتى ذهب بصره، ثم جلس على القضاء، فقام ليلة فدعا الله فقال: اللهم إن كان هذا الذى صنعت لك رضى، فاردد عليّ خلقى أحسن ما كان! فأصبح وقد رد الله عليه بصره ومقلتيه أحسن ما كانتا ويده ..

1- شرح مشكل الآثار، ج 11 ص 104 رقم 4329.

2- الجوخة: ضرب من الثياب الخضر.

40 - عن طلحة النامي قال: كان قاض في بني إسرائيل فقضى سنة فقال: يا رب أرني عملي؟ ثم أرى في المنام سواداً قد صعد في رجليه، ثم قضى سنةً أخرى فقال: اللهم أرني عملي؟ فرأى في المنام السواد، وقد زاد وصعد في رجليه، فلما رأى ذلك ترك القضاء، وذهب وقال: لأذهبن قبل أن يغمرنى هذا السواد ..

41 - عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: كان القضاة في بني إسرائيل إذا كان لا تأخذه في الله لومة لائم، لم يسلط على جسده البلى ولا دابة تأكله، وثيابه قد ييست عليه لا تبلى، وكان عابد منهم على ذلك. وكانوا في ذلك الزمان يجعل بعضهم على بعض في البيوت وبعضهم في الصناديق، [فمات قاض] له أخ قال لعابد: ادعوا به تصلى عليه. فأتى به، فإذا بدابة قد خرقت الكفن حتى خرجت من أذنه ! فأحزنه ذلك . فلما نام لقيه روح صاحبه فقال: يا أخي رأيت حزنك على الدابة التي خرجت من أذني، ولم يكن بحمد الله لشيء نكرهه، جلس إلى رجلان أحدهما لى فيه هوى والآخر لا هوى لى فيه. فكان إصغائي إلى ذى الهوى ولم يكن إصغائي إلى الآخر، و[مع] ذلك بنعمة الله لقد حملتهما على مجلود الحق في القضاء ..

42- وروى أن قاضيا في بني إسرائيل بلغ اجتهاده أن طلب إلى ربه أن يجعل بينه وبينه علما، إذا هو قضى بالحق عرف ذلك، وإذا قصر عن الحق عرف ذلك، فقبل له: ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك ثم انظر كيف تبلغ أصابعك من الجدار فاخطط عندها خطا، وكلما قمت من مجلس القضاء فامدد يدك إليه، فإنك متى كنت على الحق ستبلغه وإن قصرت عن الحق قصر بك.

وكان يجتهد ولا يقضى إلا بالحق، وإذا قام من مجلسه يأتي ذلك الخط فإذا بلغه حمد الله وأفضى إلى كل ما أحل الله له من أهل ومطعم ومشرب، فلما كان ذات يوم وهو في مجلس القضاء أقبل إليه رجلان يريدان أن يختصما إليه، وكان أحدهما له صديق فتحرك قلبه عليه محبة أن يكون الحق له فيقضى له به، فلما أن تكلموا دار الحق على صاحبه فقضى عليه. فقام من مجلسه وذهب إلى خطه ومد يده إليه، فإذا الخط قد شمر إلى السقف وإذا هو لا يبلغه ! فخر ساجدا وهو يقول: يا رب شيئا لم أتعمد به ولم أرد به فيننه لى. فقبل له: أتحسب أن الله تعالى لم يطلع على جور قلبك، حيث أحببت أن يكون الحق لصديقك فتقضى له، قد أردته وأحببته، ولكن الله قد رد الحق إلى أهله وأنت لذلك كاره ..

43 - قال عطاء الخراساني : استقضى رجل من بنى إسرائيل أربعين سنة، فلما حضرته الوفاة قال: إني أرى أني هالك في مرضى هذا، فإن هلكت فاحبسوني عندكم أربعة أيام أو خمسة أيام، فإن رابكم مني شيء فلينادني رجل منكم، فلما قضى جعل في تابوت فلما كان ثلاثة أيام آذاهم ريحه، فناده رجل منهم يا فلان ما هذه الريح؟ فأذن له فتكلم فقال: قد وليت القضاء فيكم أربعين سنة، فما رابني شيء إلا رجلين أتياي فكان لي في أحدهما هوى، فكنت أسمع منه بأذني التي تليه أكثر مما أسمع بالأخرى، فهذه الريح منها وضرب الله على أذنه فمات ..

44- عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إذا هلك الحكم، عرض عليه في قبره كل قضية قضى بها، فإن كان في شيء منها خلاف ضرب بمرزبة من حديد ضربة يسعل منها قبره ..

45- عن معاذ بن جبل قال: إن من أبغض عباد الله إلى الله عبداً لهج برواية القضاء، حتى سماه جهال الناس عالماً، فإذا أكثر من غير طائل أجلس قاضياً بين الناس، ضامناً لتلخيص ما التبس على غيره، فمثله كمثل غزل العنكبوت، إن أخطئ به لا يعلم، لا يعتذر مما لا يعلم فيعذر، ولا يقول لما لا يعلم: لا أعلم، تبكى منه المواريث، وتضرج منه الدماء، وتستحل بقضائه الفروج الحرام، فمن يعد في هذا البصر وصفه، كان محقوقاً بدر البكاء، وطول النياحة على نفسه ..

46- عن معاذ بن جبل قال: أقرب الناس من درجة النبوة أهل الجهاد وأهل العلم، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الأنبياء، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا ففهم على ما جاءت به الرسل، وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلاطين.

وقد قال بعض السلف: العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين ..

47- عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال عبد الله [بن عمر رضي الله عنه] : من كان منكم قاضياً فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قال رسول الله، فإن جاءه ما لم يقل رسول الله فليجتهد فإن لم يفعل فليفر ولا يستحي ..

48- حدثني عبد الصمد بن معقل: قيل لوهب بن منبه: يا أبا عبد الله كنت ترى الرؤيا تحدثنا بها فلا نلبث أن نراها كما رأيت ! قال : هيهات ذهب ذلك عني منذ وليت القضاء ..

49 - قال حفص بن عتاب قاضي الكوفة: مررت بعليان وهو جالس في السوق فلما رأيته [أشار إليّ] وقال : من أراد أن يتعجل سرور الدنيا والنار في الآخرة، فليتمن ما هذا فيه! قال ابن عتاب: والله لقد تمنيت لما سمعت كلامه، أن أمتي لم تلدني أو أني مت قبل أن ألي القضاء ..

50 - قال يحيى بن أكثم : سياسة القضاء أشد من القضاء ..

51 - قال شريح : القضاء جمر، فارفع الجمر عنك بعودين، يعني: الشاهدين ..

52 - وحكى أن عثمان بن عبد الله وقف على محمد بن سماعة القاضي وهو في مجلس قضائه يحكم بين الناس فقال [ناصحا له]: اسمع يا ابن سماعة ثم أنشأ يقول :

لقد كلفت يا مسكين أمرا تضيق له قلوب الخائضين

أتعلم أن رب العرش قاض وتقصى أنت بين العالمين

فقام ابن سماعة من مجلسه ودموعه جارية على خده. وليس أحد أولى بالحذر والإشفاق وأحرى بالنصب والاجتهاد ممن تقلد أمور الرعية، لانقيادهم لحكمه وتصرفهم بين أمره ونهيه، وصلاح جماعتهم بصلاحه وفساد أمورهم بفساده ..

53 - قال عبدالعزيز بن يوسف: أردت الخروج من البصرة فبدأت بيحيى بن سعيد

فودعته ثم ودعت عبد الرحمن بن مهدي ثم ودعت زهيرا فقلت: هل من حاجة؟

قال: نعم، إلا أنها مهمة مهمة. اتق الله، فوالله لأن يتقيه عبد أحب إليّ من أن تتحول لي هذه السوارى كلها ذهباً، فلما وليت ردت فقال: وحاجة أخرى، لا تدخل على قاض ولا على من يدخل على القاضي ! فإني في هذا المصر منذ خمسين سنة، ما نظرت إلى وجه قاض ولا وال!!

54 - وجاء في التوراة : ولا تقسم باسم ربك كذبا، لأن الرب لا يزكى من يحلف باسمه كذبا. أنصفوا بين إخوتكم واحكموا بالحق ولا تحيفوا في القضاء، واسمعوا من الصغير كما تسمعون من الكبير، ولا تقابوا الرجل ولو عظم شأنه وكثرت أمواله، لأن القضاء لله ..

55- ويكفى من التنفير [من القضاء]، ما حكى أن بعض القضاة كان إذا جلس للأحكام جلس إلى جانبه رجل أسود الوجه أبيض البدن، فكان إذا أراد أن يفصل الحكم بين الخصمين نظر إلى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك! فسئل عن موجب ذلك فقال: أسألوه، فسألوه فأخبرهم أنه كان ينبش القبور، فمات قاضى البلد فذهبت إليه ليلا فنبشت حتى وصلت إليه وجئت آخذ الكفن، وإذا بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت الى ناحية من القبر، فقال أحدهما للآخر: تقدم، فجاء إلى قدميه فشمهما فقال: هاتان قدمان ما عصتا الله قط. فقال له: تقدم، فجاء إلى فرجه فشمه فقال: هذا فرج ما عصى الله قط. فقال له: تقدم، فجاء إلى بطنه فشمهما فقال: هذه بطن ما أكلت الحرام قط. فقال له: تقدم، فجاء إلى يديه فشمهما فقال: هاتان يدان ما عصتا الله قط. فقال له: تقدم، فجاء إلى فيه فشمه فقال : هذا لسان ما عصى الله قط . فقال له: تقدم، فجاء إلى عينيه فشمهما فقال: هاتان عينان ما عصتا الله قط. فقال له: تقدم، فجاء إلى أذنيه فشمهما فسكت؟! فقال له: ما بالك؟ فقال له: هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى إلى أحدهما أكثر من الآخر، فارتفعا يضربانه فهربت، فحصل لى هذا من هول المقمعة، فأصبح وجهى كما ترى .

فانظر رحمنا الله وإياك، إلى هذه الحكاية ما أعجبها، وأين [حاليا القاضى] الذى يكون على مثل ما كان عليه هذا، هو والله أعز شيء يكون. من له عقل ينظر إلى كل موضع بعده من باب الابتلاء، وإلى الغالب من أحوالنا اليوم فى تولية المناصب والعمل عليها بل يبدل بعضنا المال فى تحصيلها ..

56 - قال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الثعلبي، كان عندنا رجل يتكفف الناس أعمى وكان يقول: من يعطينى شيئا فأخبره بالعجب، من يزيدنى فأريه العجب؟ فأعطى شيئا وأنا إلى جانبه أنظره فكشف عن عينيه فإذا بهما قد نفذتا إلى قفاه كالأنبوبتين النافذتين يرى من قبل وجهه ما وراء قفاه!

ثم قال: إني كنت في بلدي نباشا حتى شاع أمرى فأخفت الناس حتى ما أبالي بهم، وإن قاضى البلد مرض مرضا خاف منه الموت فأرسل إليّ وقال: أنا أشتري هتكى في قبري منك وهذه مائة دينار، فأخذتها فعوفى من ذلك المرض ثم مرض بعد ذلك ثم مات. وتوهمت أن العطية للمرض الأول فجئت فنبشته، فإذا في القبر حس عقوبة والقاضى جالس نائر الرأس محمرة عيناه، فوجدت زمعا في ركبتي وإذا بضربة في عيني من أصبعين وقائل يقول: يا عبد الله أطلع على أسرار الله عز وجل ..

57 - إسماعيل بن علي النيسابوري الزاهد القدوة الواعظ قال: كان والدي دعا بمكة:

اللهم ارزقني ولدا لا يكون وصيا ولا صاحب وقف ولا خطيبا ولا قاضيا !!

58 - ومن غريب ما يحكى عن مسلمة بن زرعة، وقد تكلم في تبعات القضاء أنه قال: رأيت في الأندلس قاضياً يدعى مهاجر بن نوفل القرشي، ما رأيت مثله في العبادة والورع. ولقد بلغني في موته أعظم العجب. أخبرني به ثقات من أهل بلده. أنه لما مات دفن في مقبرته ليلاً، فلما أهيل التراب عليه، سمعوا من القبر كلاماً فاستمعوا له فسمعوه ينادي: أنذركم ضيق القبر وعاقبة القضاء! فكشفوا عنه وظنوه حياً فوجدوه مكشوف الوجه ميتاً، بحالته التي قبر بها..

59 - قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة ..

60 - أنبأنا إبراهيم بن مهدي قال: سمعت حفص بن غياث، وهو قاض بالشرقية، يقول لرجل يسأل عن مسائل القضاء: لعلك تريد أن تكون قاضياً؟ لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه فيقتلعها فيرمى بها، خير له من أن يكون قاضياً ..

61 - قال الفضيل بن عياض : إذا ولى الرجل القضاء فليجعل للقضاء يوماً وللبراءة يوماً. وعن ابن شبرمة قال: لا تجترئ على القضاء حتى تجترئ على السيف ..

62 - دخل يوما على المهدي ، أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك فقال له: لا بد أن تجيئني إلى خصلة من ثلاث خصال : إما أن تلي القضاء، أو تحدث ولدي وتعلمهم، أو تأكل عندي أكلة؟ وذلك قبل أن يلي القضاء. فقال : الأكلة أخفها على نفسي، فاحتبس وأمر الطباخ أن يصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر والعسل وغير ذلك، فعمل وقدم إليه فأكل،

فلما فرغ من الأكل قال الطباخ: والله يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبدا! فحدثهم شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولى القضاء!! وكتب له برزقه على الصير في فضايقه في النقد وقال: إنك لن تبيع به بزا؟ فقال: والله بعث به أكثر من البر بعث به ديني!!

[وقال أحمد بن حنبل في رواية ابنه عبد الله. قال: لى حجاج بن محمد: كتبت عن شريك نحواً من خمسين حديثاً عن سالم قبل أن يلى القضاء كانوا يأخذون عنه أما بعد أن تولى فلا] ⁽¹⁾ ..

63 - قال محمد بن شجاع : بعث معروف الكرخي - وكان موصوفاً بالعبادة - رجلاً من أصحابه إلى دار أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري القاضي وكان عليلاً فقال له: أظنه قد مات، فإن أخرج ليدفن فأعلمني لأحضر جنازته؟

فذهب الرجل فاستقبلته جنازة أبي يوسف على باب داره وصلى عليه في مسجده ودفن بقرب داره، فلم يلحق الرجل إلى معروف قبل أن يصلى عليه، فلما فرغ من وقته صار إلى معروف فأخبره الخبر، فجعل معروف يتوجع لما فاتته من الصلاة عليه ويظهر الغم لذلك .

فقال له الرجل [متعجباً]: يا أبا محفوظ أتأسف على رجل من أصحاب السلطان يلى القضاء ويرغب في الدنيا إن لم تحضر جنازته !!

64 - روى أن رجلاً كان يخدم موسى فجعل يقول: حدثني موسى صلى الله عليه وسلم موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله، ففقدته موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثراً، حتى جاءه ذات يوم رجل وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود، فقال له موسى: أتعرف فلاناً؟

قال : نعم، هو هذا الخنزير!

فقال موسى: يا رب، أسألك أن تردده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين ..

1 - شرح علل الترمذی ج 2 ص 760.

65 - كان محمد بن عباس من فقهاء تعز، كان صالحا ورعا زاهدا وأعاضه الله بتدريس فدرس بالوزيرية وانتفع به جمع، وأخبر عنه الفقيه عثمان أيضا أنه قال: بلغني فضل مسجد الجند فجعلت أختلف وأصلي فيه أياما ، فكنت إذا أحرم الإمام وبلغ المبلغ وأحرم الناس سمعت في الهوى تكبير جماعة لا أعلمهم يصلون بصلاة الإمام، وكان كثيرا ما يرى النبي ﷺ في المنام وولى القضاء بتعز وكان يقول: حججت فدعوت الله عند الحجر الأسود أن يعصمني من القضاء والفتوى، فلما صرت بين المدينتين مكة والمدينة، أمسيت مع القافلة في محطة فلما نمت رأيت في المنام حلقة عظيمة من الناس فهرولت نحوها لأنظر ما موجبها، وإذا وسط هالتها شخص كأنه القمر ليلة تمامة، فقلت لبعض الحاضرين: من هذا؟ فقال: رسول الله ﷺ. ورأيت رجلا سألته عن مسألة بورقة قد ناوله إياها ويده ﷺ جزء من المذهب وهو ينظر تارة بالجزء وتارة بالمسألة، فجعلت أتعجب واستيقظت فلم أكره الفتوى بعد ذلك اقتداء به ﷺ وبقيت على كراهة القضاء وعوفيت منه فله الحمد [فانظر مع صلاحه كيف اعتبر تولى القضاء بلاء يستحق حمد الله على خلاصه وتخلصه منه] !!

66 - رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري في القضاء :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل، الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي ﷺ. اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى، واجعل للمدعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجريا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة، فإن الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات، ثم إياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر،

فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه، يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله، لا تستقصين إلا ذا مال وذا حسب، فإن ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس والسلام ..

67 - عن الشعبي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه وهو أمير بالشام : أما بعد، فإني كتبت إليك في القضاء بكتاب لم آلك فيه ونفسي خيراً، فالزم خصالاً يسلم دينك، وتأخذ بأفضل حظك عليك، إذا حضر الخصمان فالبينة العدول، والأيمان القاطعة، أدن الضعيف حتى يجترئ قلبه وينبسط لسانه، ويعاهد الغريب، فإنه إن طال حبسه ترك حقه ، وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقه من لم يرفع به رأساً، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبين لك القضاء .

وعن عمر بن قيس قال : كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدى بن أرطاة: أما بعد، فإن رأس القضاء اتباع ما في كتاب الله ثم القضاء بسنة رسول الله، ثم حكم الأئمة الهداة، ثم استشارة ذوى الرأي والعلم، وألا تؤثر أحداً على أحد، وأن تحكم بين الناس وأنت تعلم ما تحكم به، ولا تقس، فإن القاييس في الحكم بغير العلم كالأعمى الذى يعيش في الطريق ولا يبصر، فإن أصاب الطريق أصاب بغير علم، وإن أخطأه فقد نزل بمزلة ذاك حين أتى بما لا علم له فهلك وأهلك من معه، فما أتاك من أمر تحكم فيه بين الناس لا علم لك به فسل عنه من تعلم، فإن السائل عما لا يعلم من يعلم أحد العالمين ..

68 - وقال عيسى بن مسكين : سحنون زاهد هذه الأمة، ولم يكن [بعد] مالك أفاقه من سحنون، إليه انتهت الرئاسة في العلم، وعلى قوله المعول بالمغرب، وصنف المدونة وعليها يعتمد أهل القيروان، وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك، وعنه انتشر علم مالك بالمغرب. قال أبو على ابن البصير: سحنون فقيه أهل زمانه وشيخ عصره وعالم وقته . قال ابن حارث : كان سحنون أفضل الناس صاحباً وأعقل الناس صاحباً وأفاقه الناس صاحباً، ولى قضاء أفريقية فلم يزل قاضياً إلى أن مات، ولما ولى القضاء دخل على ابنته خديجة وكانت من خيار النساء فقال لها: اليوم ذبح أبوك بغير سكين! فعلم الناس قبوله القضاء ..

* * *

الفصل الثامن

ذكر كراهية العمل على القضاء
ومن رفض توليه فأكره أو عذب عليه

مقدمة :

القضاء خطر عظيم ووزر كبير لمن لم يؤده حقه، ولذا كان الصالح من السلف مع علمهم به وإتقانهم لأحكام الشرع وسنة الرسول ﷺ، يبتعدون عنه ويتجنبونه بل ويجشونه، فهو مركب وعمر المسالك خطر، فكيف لبشر لا يعرف إلا ظواهر أمور خفيت عنه بواطنها وحجبت عنه أسرارها، أن يصل إلى إقامة العدل وإحقاق الحق؟!!

لذلك فر الصالحون من البشر من القضاء، ورضى البعض منهم بالسجن ولم يرتضوا أن يتولوه، وتحمل آخرون الجلد والإهانة ولم يقبلوه. وهدمت دور البعض منهم ورفضوه ! وعرض على البعض منهم الإغراء بالأموال فلم يخضعوا وأبوه . ورحل البعض عن وطنه، تاركا بيته وأهله مخافة أن يجبروه. وعرض على أبي حنيفة ثلاثا وهو الإمام فأباه، فضرب على إباته تسعين سوطا وظل على الإباء.

في هذا الفصل نماذج مشرفة خلدها التاريخ بسطور من نور، لبعض من هرب منه وتحمل الأذى وصنوف العذاب لرفضه، وعزف عن هذا المنصب، اتقاء لوجه الله، وخوفا من عدم قدرته على تطبيق العدل وإحقاق الحق ..

69 - قال الطيبي : القضاء مرغوب فيه ومحثوث عليه، وعلى الوجهين الأولين تحذير على الحرص عليه، وتنبيه على التوقي منه لما تضمن من الأخطار المردية. وقال المظهر: خطر القضاء كثير وضرره عظيم، لأنه قلما عدل القاضى بين الخصمين، لأن النفس مائلة إلى من يحبه أو يخدمه، أو من له منصب يتوقى جأهه أو يخاف سلطنته، وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العضال. من أجل هذا هاب الصالحون منصب القضاء وتبعاته وحرصوا على دفعه عن أنفسهم، ويروى لنا تاريخ الإسلام في ذلك مواقف مضيئة ..

70 - قال شمس الأئمة السرخسى في شرح أدب القاضى للخصاف : دخل في القضاء قوم صالحون واجتنبه قوم صالحون. وترك الدخول فيه أصلح وأسلم لدينه، لأنه يلتزم أن يقضى بحق ولا يدري أيقدر على الوفاء به أو لا. وفي ترك الدخول صيانة نفسه، هذا إذا كان في البلد غيره يصلح للقضاء ..

71- إن القاضى عرض نفسه بقبوله القضاء، إلى حصول مشقة لا تطاق في العادة وهى ما يلحقه من عذاب الله وغضبه، ومن ثم نفر السلف عن ذلك نفورا عظيما، ولم يفسق الممتنع عن قبوله وإن تعين عليه، لعذره بخوفه من وقوعه في ورطاته وغوائله الكثيرة القبيحة الغالب حصولها لمن دخل فيه ..

72 - وقد شدد بعض العلماء على الفار منه، إذا كان ممن توفرت فيه دواعيه:

فنقل عن سحنون والشعبي أنه قال: إذا كان الرجل أهلا لخطئة القضاء فاستعفى منها، عوفى منها إن وجد لها عوض منه، وإن لم يوجد أجبر عليها فإن أبي، سجن فإن أبي ضرب !!
والذى يظهر من كلام مالك، الأخذ بالترك والتحذير من الولاية على كل تقدير، فقد روى عنه ابن وهب في الرجل يدعى للعمل فيكره أن يجيب إليه، وخاف على دمه، وجلد ظهره، وهدم داره. كيف ترى في ذلك؟

فقال: أما هدم داره وجلد ظهره وسجنه، فإنه يصبر على ذلك، وترك العمل خير له، وأما أن يباح دمه لا أدرى ما حد ذلك، ولعله في سعة من ذلك إن عمل .

وقال الأهمري: إن دعى إلى العمل فأبى وخشى ضرب ظهره أو على دمه أو سجنه، فأما الضرب والسجن فإن صبر هو أفضل، وأما دمه، فإن عمل، فلعله في سعة أن يجرى العدل والإنصاف، وإن لم يمكنه، لم يجز له أن يتعدى الحق، ويصبر على ما يلحقه من المكروه، إذ لا يجوز له أن يبطل حق المسلمين ..

73- ومما يلاحظ في العصر العباسي كثرة العزوف عن القضاء، فتذكر المصادر حشدا كبيرا ممن عرض عليه القضاء ورفض وأصر على رفضه على الرغم من تعذيبه، ولعل سبب ذلك بالإضافة للتقى والورع، هو نفس السبب الذى من أجله عزف القضاة عنه في [العصور التالية]. لقد كان بعض الفقهاء يرون أن توليهم للقضاء في ظل هذه الدول لا يمكنهم من إقامة العدل، لأن بعض حكامها في نظرهم غير حريصين على إقامته .

ولم يكن العزوف عن القضاء يقتصر على من ذكرنا، بل كان هناك عدد كبير ممن عرض عليهم القضاء مع مبالغ طائلة من المال فرفضوا . فيذكر ابن حزم أن المهدي، دعا المنذر

بن عبدالله بن المنذر بن المغيرة ليوليه القضاء على أن يصله بمائة ألف ! فأبى وقال: إني عاهدت الله أن لا ألى شيئا، وأعيد أمير المؤمنين بالله أن أخيس بعهدى [كما ذكرنا سابقا] .

والذى يلفت الانتباه، كثرة العزوف عن القضاء من قبل علماء، إذ نجد عددا كبيرا منهم يفر منه، وعددا يتعرضون لصنوف العذاب، ومع ذلك يبقى مصرا على رفضه، وآخرون عندما يعلمون أنه وقع عليهم الاختيار يتظاهرون بالحمق والجنون من أجل أن لا يتولوا هذا المنصب !!

74 - حدثنا حماد بن زيد قال أيوب: وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدهم منه فرارا، وأشدهم منه فرقا، وأشدهم له كراهة ! ثم قال : وما أدركت أحدا كان أعلم بالقضاء من أبي قلابة ..

75 - وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى على القضاء ..

76 - قال المعلى بن ربيعة التميمي: كانت لى حاجة عند رجاء بن حيوة، وكان عند سليمان فلقيته فى الطريق فقال : ولى أمير المؤمنين اليوم عبد الله بن موهب القضاء، ولو خيرت بين أن أحمل إلى حفرتى وبين ما ولى ابن موهب لاخترت أن أحمل إلى حفرتى . قلت له: إن الناس يزعمون أنك الذى أشرت به ! قال : صدقوا. إني إنما نظرت للعامة ولم أنظر له ..

77 - عن يحيى بن سعيد: استعمل أبو الدرداء على القضاء فأصبح يهنتونه، فقال: أتهنتونى بالقضاء وقد جعلت على رأس مهواة منزلة أبعده من عدن أبين، ولو علم الناس ما فى القضاء لا أخذوه رغبة وكراهية له ..

78 - كان عثمان بن أيوب بن أبي الصلت من أهل العلم بقرطبة، وكان ممن بسطت له الدنيا فأبى أن يقبلها وأعرض عنها. قال ابنه إسماعيل: عرضت على أبي ولاية القضاء فأبى أن يقبلها واستعفى منها ..

79 - ومن عرض عليه القضاء من الفقهاء بالأندلس فأبى من قبله، إبراهيم بن محمد ابن بار، دعاه إليه الأمير محمد بن عبد الرحمن لقصة رفعت من قدره عنده، فأباه. فأرسل إليه هاشم بن عبد العزيز صاحبه، فامتنع عليه ولم يجد فيه حيلة، فأعاد إليه الأمير هاشماً بوصية

يقول: إذا لم تقبل قضاءنا فاحضر مجلسنا وكن أحد الداخلين علينا الذين نشاورهم في أمورنا ونسمع منهم في رعيتنا. فلما استمع رسالته قال: يا أبا خالد، إن ألح عليّ الأمير في هذا ومثله، هربت والله بنفسى من بلده فما لى وله؟ فأعرض عنه الأمير عند ذلك وعلم أنه ليس من صيده ..

- ومنهم أبان بن عيسى بن دينار، ولاء الأمير محمد بن عبد الرحمن قضاء كورة جيان، فأبى ولح. فأمر الأمير بإكراهه على العمل وأن يوكل به نفرًا من الحرس يحملونه إلى حضرة جيان، فيجلسونه هناك مجلس القضاء، وبأخذونه بالحكم بين الناس ! فأنفذ الوزراء أمره وسار به الحرس فأقعدوه بجيان، فحكم بين الناس يوماً واحداً. فلما أتى الليل هرب على وجهه، فأصبح الناس يقولون: هرب القاضي. فرفع الخبر إلى الأمير محمد فقال: هذا رجل صالح فر بدينه فليستل عن مكانه ويؤمن مما أكره ..

- وذكر أن هشاماً لما ولي، قيل له: لا يتعدل ما تريد إلا بولاية زياد بن عبد الرحمن على القضاء فبعث إليه، فتمنع، فألح عليه هشام وأحضر الوزراء، وكلموه في ذلك عن الأمير وعرفوه عزمه . فقال لهم: أما إذ عزمتم وأكرهتموني على القضاء، فأخبركم ما أبدأ به، على المشى إلى مكة، إن وليتموني وجاءني أحد متظلماً منكم، إلا أخرجت من أيديكم ما يدعيه ورددته عليه، وكلفتكم البينة لما أعرف من ظلمكم ! فلما سمعوا ذلك، عرفوا صدقه فعملوا عند الأمير في معافاته !! فقال هشام عند ذلك : ليت الناس كلهم كزياد ..

- استشار الأمير عبد الرحمن بن معاوية - أول الخلفاء بالأندلس من بنى أمية أصحابه - في قاض يوليه على قرطبة، فأشار عليه ولده هشام وحاجبه ابن مغيث، بالمصعب بن عمران، فوقع بنفس الأمير وأمر بالإرسال إليه، فلما قدم مصعب أدخل بحضرة هشام وحاجبه وخاصة أصحابه، فعرض عليه القضاء.

فأبى من قبوله وذكر أعذاراً تعوقه عنه، فردها الأمير وحمله على العزيمة، وأصر مصعب على الإجابة البتة، فأغضب الأمير وهاج غضبه، وأطال الإطراق ثم رفع رأسه إلى مصعب وقال: اذهب عليك العفا وعلى الذين أشاروا بك ..

80 - قال خاقان بن عبد الله: أريد أبو قلابة [هو عبد الله بن زيد بن عمرو] على قضاء البصرة فهرب إلى اليمامة، فأريد على قضائها فهرب إلى الشام، فأقام زمانا فأريد على قضائها وقيل له: ليس هاهنا غيرك، قال: فانزلوا الأمر على ما قلتم، فإنما مثلى مثل سابح وقع في البحر فسيح يومه ثم سيح اليوم الثاني فمضى أيضا، فلما كان اليوم الثالث فترت يده.

قال أيوب: فقلت له: لو أنك وليت القضاء وعدلت بين الناس رجوت لك في ذلك أجرا، قال: يا أيوب، السابح إذا وقع في البحر كم عسى أن يسبح؟

81 - ودعا مالك بن المنذر، محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة، فأبى، فعاوده وقال: لتجلسن وإلا جلدتك ! فقال: إن تفعل فإنك سلطان، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة ..

82 - عن غالب قال: لما ذهب بيكر بن عبد الله المزني إلى القضاء قال: إني سأخبرك عنى الآن بخبر فتتظر، والله الذى لا إله إلا هو ما لى علم بالقضاء، فإن كنت صادقا فما ينبغى لك أن تستعلمني، وإن كنت كاذبا فما ينبغى لك أن تستعمل كاذبا ..

83 - إبراهيم بن المنذر قال: استشار زياد بن عبيد الله الحارثي، عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليّه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لى أن ألى القضاء؟ قال: اللهم لا ! قال زياد: سبحان الله استشرتك فأشرت علىّ به ثم تنهاه؟! قال: أيها الأمير، استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته ..

84 - قال سفيان : كان قعنب قد دعاه وال فولاه القضاء، فأبى عليه، فلم يزل به حتى قبل ، فلما خرج من عنده بعهدده رمى به وتواری. فأرسل الوالى في طلبه، فبينما هم يطلبونه إذ سقط عليه البيت الذى كان فيه متواريا، فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم بجنازته ..

85 - حدثنا أبو عبد الله العسكري: [أن] الحسين بن صالح بن خيران، كان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء مع حسن المذهب وقوة الورع، أراداه السلطان أن يلى القضاء وصعب عليه في ذلك، فلم يفعل وامتنع فوكل أبو الحسن على بن عيسى الوزير ببابه . قال ابن

العسكري: فشاهدت الموكلين على بابه. فختم على دوره وطينوا الباب عليه عشرين يوما !
حتى احتاج إلى الماء فلم يقدر عليه إلا من عند الجيران !

فبلغ الوزير ابن الفرات ذلك فأمر بإزالة التوكيل عنه، وقال في مجلسه والناس حضور: ما أردنا بالشيخ أبي علي بن خيران إلا خيرا، أردنا أن نعلم أن في مملكتنا رجلا يعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وهو لا يقبل. فقال لى أبي : يا بنى انظر حتى تحدث إن عشت، أن انسانا فعل به هذا ليلى القضاء فامتنع !!

86 - وعن محمد بن عبد الله الأنصارى قال: أكره زفر على أن يلي القضاء فأبى، فاختفى مدة فهدم منزله، ثم خرج وأصلح منزله. ثم هدم ثانيا واختفى كذلك حتى عفى عنه ..

87 - حدثنا عبد الله بن مسعود، عن كعب قال: بعث عمر إلى كعب إلى جاعلك قاضياً قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين. قال: لم يا كعب؟ قال: إن القضاة ثلاثة، فقاضيان في النار وقاض في الجنة، قاض علم وترك علمه فقضى بجزور، وقاض لم يعلم فقضى بجهالة فهو معه في النار، وقاض قضى بعلمه ومضى عليه فهو من أهل الجنة. فقال: يا كعب فإنك قد علمت، تقضى بعلم وتمضى عليه، قال: يا أمير المؤمنين أختار لنفسي أحب إلى من أن أخاطر بها ..

88 - [وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه]: إلى عمرو بن العاص أن يجعل كعب بن ضنة على القضاء، فأرسل إليه عمرو فأقرأه كتاب أمير المؤمنين فقال كعب: قضيت في الجاهلية ولا أعود إليه في الإسلام، والله لا ينجينى الله من أمر الجاهلية وما كان فيها من الهلكة ثم أعود فيها أبدا إذ أنجاني الله منها، فأبى أن يقبل القضاء ..

89 - وقال محمد بن حريث: بلغني أن نصر بن علي، راودوه على قضاء البصرة واجتمع الناس إليه، فكان لا يجيبهم. فلما ألحوا عليه ، دخل بيته ونام على ظهره ، وألقى ملاءة على وجهه وقال: اللهم إن كنت تعلم أنى لهذا الأمر كاره فاقبضى إليك فقبض !!

90 - حدثنا مصعب قال: أخبرني الفضل بن الربيع: دعاه أمير المؤمنين المهدي إلى قضاء المدينة، وعرض عليه مئة ألف درهم على أن يلي له القضاء، فقال لأمر المؤمنين: إني كنت وليت ولاية، فخشيت أن لا أكون سلمت منها، فأعطيت الله عهدا أن لا ألى ولاية أبدا، وأنا أعيد أمير المؤمنين بالله ونفسي أن يحملني على أن أخيس بعهد الله. قال له المهدي: فوالله

لقد أعطيت هذا من نفسك قبل أن أدعوك؟ قال: والله لقد أعطيت هذا من نفسي قبل أن تدعوني. قال: فقد أعفيتك ..

91 - عن جعفر بن مصعب الزبيري قال: جلد إسحاق بن سليمان والى المدينة، ابن الدراوردي خمسة وثمانين سوطا وذلك أنه دعاه أن يلى له [القضاء] فأبى!!

92 - عن أبي هريرة أن [أمير المؤمنين] عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استعمل بشر بن عاصم الجشمي على صنعاء، فتخلف ! فلقبه على باب المسجد فقال له: يا بشر ألم أستعملك على صدقة من صدقات المسلمين وقد علمت أنما هذه الصدقات للفقراء والمساكين؟

فقال له بشر: بلى. ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يلى أحد من أمر الناس شيئا إلا وقفه الله على جسر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة، ناج أو غير ناج، لا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج ذهب به في جب⁽¹⁾. مظلم كالقبر في جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريفا⁽²⁾.

فأقبل عمر رضي الله عنه راجعا حتى وقف على سلمان، وأبى ذر فقالا له: يا أمير المؤمنين، ما شأن وجهك متغيرا؟ قال: ذكر بشر بن عاصم كذا وكذا، فهل سمعتم ذلك من رسول الله؟ قالوا: نعم. قال: فأيكما يلى هذا الأمر فأجعله إليه؟ قالوا: من ترب الله وجهه وألصق خده بالأرض، ولم نر منك يا أمير المؤمنين بعد إلا خيرا، ولكننا نخاف أن تولى هذا الأمر من ليس له بأهل فيهلكك ذلك ..

93 - عن يزيد بن عبد الله بن موهب، أن [أمير المؤمنين] عثمان رضي الله عنه قال لابن عمر رضي الله عنه: اقض بين الناس؟ فقال: لا أقضى بين رجلين ولا أؤمهما، قال: فإن أباك قد كان يقضي! فقال: إن أبي كان يقضي فإن أشكل عليه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أشكل على النبي صلى الله عليه وسلم شيء سأل جبريل ، وإنى لا أجد من أسأله وإنى لست مثل أبي . وإنه بلغنى أن القضاة ثلاثة: رجل جاف فمال به الهوى فهو في النار، ورجل تكلف القضاء فقضى بجهل فهو في النار،

1- جب : واد في جهنم تستعبد جهنم مما فيه من العذاب .

2- الخريف : الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء ويطلق على العام كله.

ورجل اجتهد فأصاب ، فذلك ينجو كفافا لا له ولا عليه . وسمعت رسول الله ﷺ يقول : من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ؟ قال: بلى، قال: فإن أعوذ بالله منك أن تجعلني قاضيا؟ فأعفاه وقال: لا تخبرن أحدا ..

94 - قال محمد بن سيرين: كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له، وبين يديه كانون فيه نار، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه فساره بشيء لا ندري ما هو، فقال له أبو عبيدة: فإن أسألك أن تضع إصبعك في هذه النار! فقال له الرجل: سبحان الله تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار؟! فقال له أبو عبيدة: أتدخل عليّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا، وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم؟! قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء ..

95 - عن المسيب بن رافع، أن عمر بن هبيرة دعاه ليوليه القضاء فقال: ما يسرني أنى وليت القضاء وأن لي سوارى مسجدكم هذا ذهابا ..

96 - عن عبد الله بن بريدة قال: أراد يزيد بن المهلب أن يستعملني على قضاء خراسان، فألح عليّ فقلت: لا والله. قد حدثني أبي عن رسول الله ﷺ في القضاة ثلاثة، اثنان في النار وواحد في الجنة، قاض علم فقضى به فهو من أهل الجنة، وقاض علم الحق فجار متعمدا فهو من أهل النار، وقاض قضى بغير علم واستحيا أن يقول: لا أعلم فهو من أهل النار ..

97 - وعن عبد الرحمن بن مالك بن مغول : أن المنصور أرسل إليه وهو في الحبس : إنك إن أجبت وقلت ما طلبت منك لأخرجتك من السجن ولأكرمك، فأبى عليه أشد الإباء . فأمر أن يخرج كل يوم ويضرب عشرة أسواط ! وكان يخرج كل يوم ويضرب، فلما تتابع عليه الضرب في تلك الأيام بكى وأكثر الدعاء، فما لبث إلا يسيراً حتى مات في الحبس مبطوناً مجهوداً، فأخرجت جنازته وكثر بكاء الناس عليه ودفن. ويقال: ضيقوا عليه الأمر في الطعام والشراب والحبس، ودسوا إليه فسموه وقتلوه ..

98 - عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد القرشي: من كبار أهل مصر في العلم والزهد والورع ، صنف الكتب ونشر العلم ولزم النسك . سمع عمرو بن الحارث وابن جريج ومالكا والثوري والليث وحيوة وغيرهم ، روى عنه الليث وسعيد بن أبي مريم وإسماعيل بن أبي أويس وسعيد بن منصور وغيرهم ، وكثر أصحابه من أهل مصر وغيرها . عرض عليه يحيى بن

خالد القضاء، فكتب إليه: إني لم أكتب العلم أريد أن أحشر به في زمرة القضاة، ولكني كتبت العلم أريد أن أحشر به في زمرة العلماء. ثم طلبه لولاية القضاء، أمير مصر من قبل المأمون عباد بن محمد واجتهد. وقال أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: فتغيب في منزل يحيى بن حرملة، فأمر عباد بهدم داره، فهُدمت وبعض دارنا!! فبلغ ذلك العيلاني فجاء إلى عباد فقال: متى طمع هذا الكندي في القضاء حتى يتغيب؟ فبلغ قوله ابن وهب، فدعا عليه فعمرى بعد جمعة! فسمع وهو يقول: يا رب، يقدم عليك إخواني غدا علماء حكماء فقهاء وأقدم عليك قاضيا، لا يا رب ولو قرضت بالمقاريض. وقال: إنه لما طلب للقضاء جمع آخاء وأهله فشاورهم، فقال له أهله: لعل الله يحيى الحق على يديك. فقال لهم: لأجل أكلة في بطونكم أردتم أن يؤكل ديني. وقال لبعضهم: ألم تعلم أن القضاة يحشرون يوم القيامة مع السلاطين، ويحشر العلماء مع الأنبياء. وقال ابن رشد بن: أشرفت على ابن وهب من غرفتي فرآني فقال لي: يا أبا الحسن بينا أنا أرجو أن أحشر في زمرة العلماء أحشر في زمرة القضاة؟!

99 - وقال يونس بن عبد الأعلى: عُرض على ابن وهب القضاء فجنن نفسه ولزم بيته، فاطلع عليه رشدين بن سعد، وهو يتوضأ في صحن داره، فقال له: يا أبا محمد لم لا تخرج إلى الناس تقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله؟ فرفع رأسه وقال: إلى هاهنا انتهى عقلك؟ أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء، وأن القضاة يحشرون مع السلاطين..

100 - وقال خلف بن تميم: أخذ يوسف ابن عمر عامل الكوفة منصور ابن المعتمر يريد على القضاء فامتنع وأبي، فدخلت عليه وقد جيء بالقيد ليقيده، فجاءه خصمان فقعدا بين يديه، فلم يسألهما ولم يكلمهما وقال: لا علم لي بأمركما، فقيل ليوسف ابن عمر: إنك لو نثرت لحمه لم يل القضاء. فخلى عنه.

عن زائدة بن قدامة: صام منصور ابن المعتمر أربعين سنة، صام نهارها وقام ليلها. وكان يبكي الليل كله، فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلا؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس.

101- وقال أبو عوانة: أراد ابن هبيرة، منصور بن المعتمر على القضاء فامتنع عليه فأكرهه، فلما أكرهه قعد وكان الخصمان يجلسان بين يديه فيتكلمان بحجتهما فإذا فرغا قال لهما: قد سمعت ما قلتما وما أحسن أن أجيبكما، ولا علم لي بالقضاء بينكما، ففعل ذلك مرة

أو مرتين، فلما رأى ذلك عزله . قال أبو بكر بن عياش: كتب معى منصور بن المعتمر من السواد إلى أمه فخرجت إلـىّ وكان هارباً طُلب للقضاء فقالت لي: يطلب للقضاء ويهرب؟! قلت: ابنك أعلم منك اسكتي. وكانت أمه فظة غليظة فتصيح به، فيأتى وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع رأسه إليها ..

102 - أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن عرفة قال: أشخص محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، فلما حضر لدار المتوكل أمر بإدخاله، فلما أدخل عليه قال: إني أريدك للقضاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا أصلح له، قال: تأبون يا بنى أمية إلا كبرا، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي كبر ولكنى لا أصلح للحكم. فأمر بإخراجه ..

103 - عن الزبير بن أبي بكر، أن عمر بن عثمان بن موسى بن عبيد الله بن معمر، كان من وجوه قریش وبلغائها وفصحائها وعلماؤها، ولى قضاء البصرة فخرج حاجا ثم لم يرجع إلى القضاء وأقام بالمدينة، فأعفاه هارون من القضاء ولم يزل بالمدينة حتى مات ..

- وولى أحمد بن يعقوب بن أبي الربيع قضاء مكة، فلم يخرج إليها ..

104 - ولما قيل لإبراهيم النخعي: تكون قاضياً؟ لبس قميصاً أحمر وجلس في السوق! فقالوا: لا يصلح ..

105 - لما توفى يحيى بن معن، بقى الناس بلا قاض نحواً من ستة أشهر، فقلق الناس لذلك، فقال الأمير عبد الرحمن: والله ما يمنعنى من التعجيل إلا النظر لهم، فإنى لا أجد رجلاً أرضاه، غير واحد وهو لا يجيئنى فقال له أحد جلسائه : فإذا أرضيته للقضاء وأباه فألزمه أن يدللك على سواه .

فأحضر يحيى بن يحيى وألزمه أن يشير عليه إذ لم يجبه. فامتنع من الوجهين معاً الولاية والدلالة ! وقال: قد صدقت عن نفسى لمعرفتى بها، ولن أقلد الدلالة على غيرى فإنه إن جار شاركته فى جورهِ .

فأغضب ذلك الأمير، ولح فى أن لا يعفيه، وألزمه صاحب رسائل غدا به إلى المسجد الجامع، فأجلسه مجلس الحكم وقال للخصوم : هذا قاضيكُم.

فلبت يحيى على تلك الحال ثلاثاً وهو لا يمد يده لكتاب ولا يتكلم مع أحد إلى أن ضاق صدره، فكتب إلى الأمير يشير إبراهيم بن العباس، فقلده وكف عن يحيى ..

106- قال أحمد بن خالد: لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلت الإسلام من الخطوة، وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى. كان الأمير عبد الرحمن بن الحكم يبجله ولا يرجع عن قوله ويستشير في جميع أمره، وفيمن يوليه ويعزله، فلذلك كثر القضاة في مدته. وكان يفضل بالعقل على علمه، [روى أنه قال للأمير: بعد رفضه تولى القضاء]، إن المكان الذى أنا فيه أنفع وخير لك مما تريد. إنا إذا تظلم الناس من قاض أجلسني، فنظرت لك في أحكامه. وإن كنت قاضياً فتظلم مني كما يتظلم من القضاة من تقعد ينظر في أحكامي؟ فكف عنه ..

107- قالت عاتكة بنت أحمد سمعت أبي يقول: جاء أخى عثمان بن عمرو بن أبي عاصم عهده بالقضاء على سامراء فقال: أأقعد بين يدي الله تعالى قاضياً؟! فانشقت مرارته فمات ..

108- عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تولى تدريس الصلاحية الناصرية بالقدس الشريف، ثم ولاة العادل تدريس التقوية، وكان عنده أعيان الفضلاء، ثم تفرغ فلزم الجاورة في الجامع في البيت الصغير إلى جانب محراب الصحابة، يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى وكانت تفد إليه [الناس] من الأقطار وكان كثير الذكر حسن السمات، يجلس في كل اثنين وخميس لإسماع الحديث بعد العصر، فيقرأ دلائل النبوة وغيره. استدعاه الملك العادل وسأله أن يلي قضاء دمشق فقال: حتى أستخير الله تعالى. ثم امتنع من ذلك، فشق على السلطان امتناعه وهم أن يؤذيه، ف قيل له: احمد الله الذى فيه [في زماننا] مثل هذا ..

109 - فقيه المغرب أبو ميسرة أحمد بن نزار القيرواني من العلماء العاملين، وقع في ذهن المنصور بن إسماعيل أن أبا ميسرة لا يرى الخروج عليه، فأراد له لوليه القضاء فأبى وقال [له]: كيف يلي القضاء رجل أعمى؟! فما علم أحد بضرره [أى بعماه] إلا يؤمئذ! فقال: اللهم إنك تعلم أنى انقطعت إليك وأنا شاب فلا تمكنهم مني، فما جاءت العصر إلا وهو من أهل الآخرة ..

110 - [وفي رواية أخرى] ومن عرض عليه القضاء بإفريقية فامتنع منه، أبو ميسرة أحمد بن نزار . فلما عرض عليه قال: اللهم إنك تعلم أني انقطعت إليك، وأنا ابن ثمان عشرة سنة فلا تمكنهم مني، فما جاء العصر إلا وقد توفي. فغسل وكفن وخرج به، فوجه إليه الأمير إسماعيل العبدى كفنًا وطيباً في الأطباق، فوفاه الرسول على النعش فجعل عليه الكفن من فوق. ومن غريب ما حُكي عنه أنه بينما هو يتهجّد ليلة من الليالي ويبكي ويدعو إذا بنور عظيم خرج له من حائط الخراب ووجه كأنه البدر ! فقال: تملّ يا أبا ميسرة من وجهي فإن ربك الأعلى ! فبصق في وجهه وقال له: اذهب يا شيطان لعنك الله ..

111 - حدثنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال: كان أبو بكر الأبهري معظماً عند سائر علماء وقته لا يشهد محضراً إلا كان هو المقدم فيه، وإذا جلس قاضى القضاة أبو الحسن بن أم شيان أقعده عن يمينه، والخلق كلهم من القضاة والشهود والفقهاء وغيرهم دونه، وسئل أن يلى القضاء فامتنع، فاستشير فيمن يصلح لذلك فقال: أبو بكر أحمد بن علي الرازي، وكان الرازي تزيد حاله على منزلة الرهبان في العبادة، فأريد للقضاء فامتنع، وأشار بأن يولى الأبهري، فلم يجب واحد منهما للقضاء ..

112 - ومن عرض عليه القضاء في عصرنا هذا المستأخر فأباه وامتنع من قبوله، الفقيه أبو عيسى أحمد بن عبد الملك الإشبيلي، عرضه عليه المنصور محمد بن أبي عامر مدبر أمر الخليفة هشام المؤيد بالله، عن أمر الخليفة مرتين فلم يجد فيه حيلة. أحضره وخاطبه مشافهة بمحضر الوزراء فقال له: إن أمير المؤمنين المؤيد بالله اختارك للقضاء، ورأى تقديمك مباركاً لك فيه.

فقال: أعوذ بالله من ذلك، لست والله الذى لا إله إلا هو أقبله البتة فإنى لا أستطيع ولا أصلح، وما أفنى الناس في ذلك إلا وأنا مضطجع أكثر أوقاتي لكبرى وضعفي، والله لقد صدقتك فانظر للمسلمين وانصح لإمامك وفقه الله فتركه ..

- ومن جاهر بالإصرار على الإبابة من القضاء، محمد بن عبد السلام الخشني، أرادته الأمير محمد لتقليد القضاء بجيان، وأمر الوزراء أن يجلسوه ويلزموه ذلك، ففعلوا وأدوا إليه

رسالة الأمير. فأبى عليهم ونفر نفوراً شديداً، فلاطفوه وخوفوه بادرة السلطان فلم يزد إلا إباءً ونفوراً.

فكتبوا إلى الأمير محمد بلجاجة وإعياء الحيلة عليهم في إجابته. فوقع الأمير توقيعاً غليظاً معناه: إن من عصانا فقد أحل بنفسه ودمه !

فلما قرأوه على الحشنى نزع قلنسوته من رأسه ومد عنقه وجعل يقول: أبيت كما أبت السموات والأرض إباية إشفاق، لا إباية نفاق. فكتبوا إلى الأمير بلفظه، فكتب إليهم أن سلموا أمره وأخرجوه عن أنفسكم فقالوا له: انصرف فانطلق عنهم ولم يهيجوه بعد ..

113 - قاسم بن ثابت بن حزم العوفى [وقيل: قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الفهرى]
من أهل سرقسطة رحل مع أبيه، فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي وأحمد بن عمرو البزار، وسمع بمكة من عبد الله بن علي الجارود ومحمد بن علي الجوهري وغيرهما وعنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه، فأدخلا الأندلس علما كثيرا ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب العين، وألف قاسم كتابا في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل في شرح غريب الحديث، بلغ فيه الغاية من الإتقان، ومات قبل إكماله فأكماله أبوه بعده.

وكان قاسم عالما بالحديث والفقه متقدما في معرفة الغريب والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا .

أريد على أن يلى القضاء بسرقسطة فامتنع من ذلك، فلما اضطره الأمير وعزم عليه، استمهله ثلاثة أيام يستخير فيها الله عز وجل، وأراد أبوه إكراهه عليه، فسأله أن يتركه يتراء في أمره ثلاثة أيام يستخير الله فيها، فمات في هذه الثلاثة الأيام !! فيروون أنه دعا لنفسه بالموت فقبضه الله، وصار حديثه موعظة في زمانه وكان يقال إنه محاب الدعوة ..

114 - أراد الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرثد القضاء فبلغ ذلك يزيد، فلبس فروة قد قلبها فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا، وأخذ بيده رغيفين وعرق لحم وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، وجعل يمشى في الأسواق ويأكل الخبز واللحم ! فقليل للوليد : إن يزيد بن مرثد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ..

115 - حدثنا أبو إبراهيم المزني قال الشافعي: لما دخلت على هارون الرشيد قلت بعد المخاطبة: إني خلفت اليمن ضائعة تحتاج إلى حاكم، قال: فانظر رجلاً ممن يجلس إليك حتى توليه قضاءها، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل أقبل إليه فقال: إني كلمت أمير المؤمنين أن يولى قاضياً باليمن وإنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إلي، وإني قد اخترتك فتهاً حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليك قضاء اليمن، فأقبل عليه أحمد بن حنبل وقال: إنما جئت إليك أقتبس منك العلم، تأمرني أن أدخل لهم في القضاء؟! ولامه فاستحيا الشافعي ..

116 - وقد روى أن أبا حنيفة: دعى للقضاء ثلاث مرات فأبى حتى حبس وجلد كل مرة ثلاثين سوطاً ! حتى قال له أبو يوسف: لو تقلدت لنفعت الناس، فنظر إليه شبه المغضب فقال: لو أمرت أن أقطع البحر سباحة لكنت أقدر عليه. فكأني بك قاضياً ونكس رأسه ولم ينظر إليه بعد. وهذا يدل على كراهة الدخول فيه ..

117 - أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه: أكره على تولية القضاء وضرب على رأسه ضرباً شديداً فلم يل . ولما أطلق قال : كان غم والدتي أشد من الضرب. وأخرجه المنصور مرات من الحبس يتوعده، وهو يقول: يا منصور، اتق الله ولا تول إلا من يخاف الله تعالى، والله ما أنا مأمون في الرضا فكيف أكون مأموناً في الغضب. ثم أكرهه بعد ذلك وأشخصه من الكوفة إلى بغداد فأبى وقال: لا أكون قاضياً، فحبسه وتوفي في السجن. ويقال: إنه تولى القضاء يومين أو ثلاثة ثم مرض ستة أيام ثم مات .

118 - وحكى الخطيب في بعض الروايات أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة، أرسل إلى أبي حنيفة فجاء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى، فقال له: إن لم تفعل ضربتك بالسياط ! قال: أو تفعل؟ قال: نعم .

فقعد في القضاء يومين فلم يأت أحد، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار: لي على هذا درهمان وأربعة دنانير ثمن تور صفر، فقال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفار، قال: ليس له على شيء، فقال أبو حنيفة للصفار: ما تقول؟

فقال: استحلّفه لي؟ فقال أبو حنيفة للرجل: قل والله الذي لا إله إلا هو. فجعل يقول! فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على أن يقول قطع عليه [يمينه] وضرب بيده إلى كفه، فحل صرة وأخرج درهمين وقال للصفار: هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك، فنظر الصفار إليهما وقال: نعم فأخذ الدرهمين. فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات..

119 - حدثنا بشر بن الوليد الكندي قال: أشخص أبو جعفر أمير المؤمنين أبا حنيفة، فأرادته على أن يوليه القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فحلف المنصور ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل. فقال الربيع الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف، فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة أيماني، وأبى أن يلي. فأمر به إلى الحبس في الوقت وتوفي وهو في السجن!

قال الربيع بن يونس: رأيت أمير المؤمنين المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، وهو يقول: اتق الله ولا ترعى أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب، ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تغرقني في الفرات أو أن تلي الحكم لا خترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك فلا أصلح لذلك . فقال له: كذبت أنت تصلح.

فقال: قد حكمت لي على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك وهو كذاب ..

120 - وذكر المسعودي في مروج الذهب ما مثاله قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي وقد أتى بسفيان الثوري، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه متكئا على سيفه يرقب أمره، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال له: يا سفيان تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟

قال سفيان: إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل. فقال له الربيع: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ! ائذن لي أن أضرب عنقه؟

فقال له المهدي: اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتكم،
اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم .

فكتب عهده ودفع إليه فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب ! فطلب في كل بلد
فلم يوجد! ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر:

تحرز سفيان وفربدينه وأمسى شريك مرصدا للدرهم

121 - حدثني صقر صاحب النجائب قال: والله إني لعند محمد بن سليمان يكلمني
في أمر النجائب، إذ دخل عليه محمد بن منصور فقال: هذا عبد الرحمن المخزومي، قال: أدخله.
فأدخله وجلس فقال له محمد: إني قد أردت أن أرفعك وأشرفك فقد وليتك القضاء، قال: إني
والله ما أحسنه وما أصلح له، فقال محمد: هذا كلام قد تعلمتموه ولا بد من أن تقولوه. انفض
فإني غير معفيك. فقال: إذن والله لأفتضحن، فقال محمد بن منصور: انظر منذرا على الباب
فقال: قد انصرف فقال: لو كان حاضرا لأمرته أن يأخذ بيدك فيقعده في مقعدك، فقال: إني
أسألك بحق أبي أيوب إلا أعفيتني؟ فقال: والله لا أعفيتك .

فقام وانصرف فأتى أباه وكان شيخا سهلا سمحا في أخلاق قريش يجلس على بابه، فإذا
حضر وقت غذائه دعا بخوانه، فإن كان عنده لحم أكل وإلا اجتزى بما حضر، فأكل ويأكل معه
الرجل والرجلان من جلسائه، فأتاه ابنه فقال: يا أبه أرانا والله قد افتضحنا.

قال: وما ذاك يا بني نعوذ بالله من الفضيحة؟ قال: قد عزم هذا على توليتي القضاء،
والله لئن وليته لأفتضحن. قال: فهناك الله ما ولاك ركب البغلة الشهباء وتساندت إلى
الاسطوانة ووضعت إحدى رجليك على الأخرى وقلت: قال أبو حنيفة وقال زفر طلبا لهذا
الأمر وقد بلغت، فهناك الله .

قال: يا أبه أنا أعلم بنفسى، والله لئن وليت لأفتضحن فقال: يا بني أعوذ بالله من
الفضيحة والله ما قلت لك ما قلت إلا مازحا، فأما إذا كان هذا منك الجد فسأبلغ جهدى إن
شاء الله، قال صقر: فوالله إني لعند محمد بن منصور وهو يلقي الباب بوجهه إذ قال: هذا
المخزومي، فدخل عليه فقال: استأذن لى على الأمير فقال: إن الأمير يريد الدخول فقال: والله
إن مؤنتى عليه لخفيفة فتدغم منه وقام فاستأذن له فأذن له فقال: أصلح الله الأمير. ظهر لنا أنك

وليته القضاء وإني لأعلم أنك لم ترد إلا خيرا، وقد حلف لى أنه لا يضبط ما وليته ولئن تمت على رأيك فيه ليفتضح، فإني رأيت ألا تكتك أستاذنا فافعل، فقال : والله ما أردت إلا تشريفكم ورفعكم فإذا كان هذا رأيك ورأى ابنك قد أعفيته ..

122 - وقال الزبير بن بكار: كان المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي فقيه أهل المدينة وكان مدار الفتوى بعد مالك بن أنس، عرض عليه أمير المؤمنين الرشيد القضاء بالمدينة على جائزة أربعة آلاف دينار، فامتنع، فأبى الرشيد إلا أن يلزمه ذلك، فقال: والله يا أمير المؤمنين لأن يخنقني الشيطان أحب إلى من أن ألى القضاء. فقال الرشيد: ما بعد هذا شيء وأعفاه ..

123 - أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام الكبير الشأن المعروف بالخصاص، سكن بغداد وعنه أخذ فقهاؤها وإليه انتهت رئاسة الأصحاب، قال الخطيب: كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، وكان مشهورا بالزهد، خوطب في أن يلي القضاء فامتنع، وأعيد عليه الخطاب فلم يقبل ..

124 - بقى بن مخلد الشيخ الصالح: عرض عليه القضاء فأباه، وكانت له خاصة بالأمر المنذر بن محمد بن عبد الرحمن قبل ولايته الملك، وكان قد قدم إليه في حياة والده البشرية بالخلافة، لرؤيا قصصها عليه . فلما ولى الخلافة ضاعف البر والكرامة والإعظام له وأحضره وأراد له لولاية القضاء، فأبى عليه فذهب إلى استكراهه. فقال الشيخ: ما هذا جزاء محبتي وانقطاعي [إليك فتركه] ..

- أبو غالب عبد الرؤوف بن الفرغ: كان الأمير عبد الله بن محمد به معجبا وله مفضلا، وكان قد انتهى رأيه من غير أن يستدعيه، فرآه عند رواجه إلى المسجد الجامع يوم الجمعة، وأعجبه سمته وأحب اجتذابه إليه وقال: لابد أن أضمه إلى الوزارة أو القضاء، فذاكر بشأنه الوزير أبي عبدة وكان صديقا لأبي غالب فقال: ينبغي للأمير أن لا يهجم على الرجل بالاستدعاء حتى يعرف ما عنده من ذلك، فقال له: فكن أنت الذى يتعرف ذلك . قال الكاتب المدعو بسكن بن إبراهيم: فأرسلنى الوزير إليه، فعرضت عليه مراد الأمير، فتلقى ذلك منى بالنطق والتضحك، حتى أطمعنى فى نفسه، وجعل يقول : كيف كان تنبهكم لنا بعد طول الغفلة؟ وما نرى ذلك منكم عن صحة نية، فأنتم أشح بدنياكم من أن تعطوا منها أحدا شيئا،

وتشركوا فيها صديقا، قال سكن : فلما صرت به إلى الجدد تنمر لي وقال آخر قوله: بالله الذي لا إله إلا هو لنن عاودتنى أو غيرك أو بلغتني فيه عن الأمير عزيمة لأخرجن عن الأندلس فلا أعودن إليها آخر الدهر فترك عن ذلك ..

- عبد الله بن أحمد الجزامي: قدمه للقضاء شيخه أبو القاسم بن إبراهيم الزهرى أيام ولاية محمد بن عبد الرحمن المستكفى فأبى القبول، ووقع العزم عليه في العمل من الأمير، فنفر، وقصد الوزير وخلا به. وكان من جملة مقاله له: سألتك بالله ! أتعلم أن الولاية لمثلنى أولى من الإيابة؟ فأقف عن إشارتك؟ أم تعلم أن الأمر بخلاف ذلك؟ فقال له: يا ابن أخى حاصل ما أراه أن الولاية في الوقت كرامة وترك العمل سلامة ..

125 - لما قدم أبو عون مصر واستولى على البلد، أرسل إلى حيوة بن شريح فجاء فقال: إنا معشر الملوك لا نُعصى فمن عصانا قتلناه. قد وليتك القضاء، قال: أوامر أهلي؟ قال: اذهب. فجاء إلى أهله فغسل رأسه ولحيته ونال شيئا من الطيب، وليس أنظف ما قدر عليه من الثياب ثم جاء فدخل عليه فقال: من جعل السحرة أولى بما قالوا منا [يشير إلى الآية الكريمة التى تقول]: ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه]. فلست أتولى لك شيئا. قال : فأذن له فرجع ..

126 - عن جابر بن زيد قال: كتب الحكم بن أيوب نفرا على القضاء فكتبني فيهم، فلو ابتليت بذلك لركبت راحلتى ثم ذهبت في الأرض [وقيل: ما كان] يملك إلا حمرا .

حدثنا عن حريش بن أبي الحريش، قال: طلب رجل للقضاء، فتجان وتحامق وقال: إن هؤلاء أرادوني على ذهاب ديني فاخترت ذهاب عقلى .

وحدثنا أبو عمر الخطابي قال: عرض سوار بن عبد الله، على عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي أن يوليه قضاء الأبله، فأبى، فقال له سوار: أترفع نفسك عن قضاء الأبله؟ قال: لا ولكن أرفع علمي عن القضاء .

وعن أبي عاصم قال: جيء بخالد بن عمران إلى أبي جعفر ليوليه القضاء، فامتنع عليه، فتهدهد وأشمعه، وقال: أنت عاص، فقال له خالد: إن الله يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيَّتْ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴿٧٢﴾ . فلم يسمهن عصاةً حيث بين حمل الأمانة وقال ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ [الأحزاب]. فقال: اخرج فلا ترى مني خيراً. فلما أصبح، إذا هو برجل حسن الوجه والثوب طيب الريح، فقال لخالد: ساءك ما خاطبك به هذا؟ قال: نعم. قال: أما علمت أن العبد إذا لم يكن لله فيه حاجة نبذه إليهم !!

نضحى على وجل نمسى على وجل كل التراب، ولا تعمل لهم عملاً

وحدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، روى أن عمر بن عبد العزيز وجه رجلاً إلى البصرة، فأمره بالمسألة عن إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني ويفتشهما عن أنفسهما ليولى أولاًهما بذلك، فجمع بينهما، فقال إياس للرجل: سل عنى وعنه فقيهى المصر، الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك بتوليته وليته .

وكان القاسم يجالسهما، وكان إياس لا يفعل.

فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال للرجل: أيها الرجل ليس بك حاجة إلى أن تسأل عنى وعنه، اسمع ما أقول لك وأحلف عليه، والله الذى لا إله إلا هو ما أنا بصاحب ما تريدنى عليه وإياس أعلم به وأقوى عليه، فإن كنت عندك صادقاً فما ينبغى أن تتركه وتوليى، وإن كنت عندك كاذباً فما ينبغى أن تولى كذاباً . فوقف الرجل ودخله شك، وهم بتولية إياس فقال: إنك وقفته بين الجنة والنار، فخاف على نفسه ففداها بيمين يتوب منها ويستغفر ربه وينجو بها من هول ما أردته عليه، فقال الرجل: أما إذ فطنت لهذا فأنت أفهم منه، وعزم على توليته .

وأخبرنا حميد بن الربيع الجزار: جىء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووکیع بن الجراح إلى هارون يوليهم القضاء، فأما ابن إدريس فدخل يمشى مشية المفلوج ثم قال : السلام عليكم وطرح نفسه كأنه مفلوج، فقال هارون: خذوا بيد الشيخ، لا فضل فى هذا وأخرجه. وأما وکیع فإنه قال له: تلى لى القضاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين وأشار بسبابته إلى عينه: ما أبصرت بها منذ سنة، ووضع إصبعه على عينه وعنى إصبعه! فظن هارون أنه يعنى عينه، فقال: هذا عذر فأعفاه. وأما حفص فقال: لولا غلبة الدين والعيال ماوليت، على دين ولى عيال، فإن

كفيتني وأعفيتني وليت، قال: بلى، فولاه القضاء. وعن يحيى بن آدم قال: رأيت حفص بن غياث بعد أن ولى القضاء يبكي وقال: [بعد أن] جعلت في هذا الأمر ما ظننت أحداً يقربني، ودفع إليّ دراهم وقال لي: أقسمها وانظر فلاناً وأعطه ورده، فإنه لم يأتنا منذ دخلنا في هذا الأمر وما أظنه تركنا إلا لله .

وقال محمد بن عمار: كنت بالكوفة وحج هارون وقد بكرت إلى حفص ابن غياث فركب بغلته ومضيت معه، حتى أقبل هارون ونزل حفص عن بغلته فقبل يده ثم ركب وسائره، فشكا إليه تخلف أرزاقه، ثم انصرف فما أمسى حتى بعث إليه بخمسين ألف درهم. قال محمد بن يزيد: سمعت حفص بن غياث يقول: إن من صنع الله للقاضي أن يموت على غير قضاء، فمات حفص وهو على غير القضاء ..

127 - حدثني أبو الموفق سيف بن حاتم قال: كان خالد القسري يجب أن يولى قضاء الكوفة رجلاً من المدينة، فقال لعيسى بن المسيب: قد وليتك، قال: ليس لي به علم، قال: إنما هو مدع ومدعى عليه، فعلى المدعى البينة وعلى المدعى عليه اليمين، فولى فكان إذا جاءه رجلان قال: أيكما المدعى؟ هات بينة، فجاءه رجلان قال: كل واحد منهما أنا المدعى! فقام من المجلس فدخل على خالد فقال: أيها الأمير قد أعلمتك أنه لا علم لي بالقضاء، فدعى خالد بعض المتفهمة وقال: ارجع إلى مجلسك فليس كل وقت يأتيك مثل هذا، قال: لا والله لا أراجع ..

128 - عن مصعب بن عثمان قال: دعا الحسن بن زيد إذ كان يلي المدينة، إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله إلى القضاء عليها، فأبى ذلك، فحبسه وجاء بنو طلحة فأسجنوا معه وحلف ألا يخلّيه أو يلي القضاء، فكلم فيه فدعا به وقال: إنك تلاحت عليّ وقد حلفت ألا أرسلك حتى تعمل، فأبر يميني، ففعل، فأرسل معه جنداً، حتى جلس مجلس القضاء، والجند على رأسه! فجاء رجل من مواليهم فوقف على رأسه فقال :

طلبوا الفقه والمروءة والفضل وفيك اجتمعن يا إسحاق

فوقف عليه [الحسن بن زيد] فقال : ادفعوه فدفع وقام من مجلسه، وعزله. فلما صار إلى منزله أعطى الذي أنشده البيت خمسين ديناراً وقال: استعن بما على أمرك ..

129- روى أن إبراهيم بن الأغلب أراد أن يولى أبا محرز الكنانى الفقيه فقال له: يا أبا محرز، إني عزمت على توليتك القضاء. قال: لست أصلح. فقال: لو كان الأغلب سالم حياً لم أكن أنا والياً، ولو كان عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وابن فروخ حين لم تكن أنت قاضياً. ولكن لكل زمان رجال. فولاه القضاء فامتنع، فأمر قائداً من قواده فأخذ بضبعيه حتى أجلسه مجالس الحكم، حتى حكم بين الناس ..

130- [وفى قول آخر روى] أن روح بن حاتم أرسل إلى ابن فروخ عبد الله بن فروخ، فقيه القيروان في وقته ليؤليه القضاء فامتنع، فأمر به أن يربط ويصعد به على سقف الجامع، فقبل له: تقبل؟ فقال: لا، فأخذ ليطح، فلما رأى العزم قال: قبلت. فأجلس في الجامع ومعه حرس، فتقدم إليه خصمان، فنظر إليهما وبكى طويلاً، ثم رفع رأسه فقال لهما: سألتكما بالله ألا أعفيتما من أنفسكما، ولا تكونا أول مشوش على؟ فرحماهما وقاما عنه. فأعلم الحرس بذلك روحاً فقال: اذهبوا إليه، فقولوا له يشير علينا بمن نولي. فقال: إن يكن، فعبد الله بن غانم، فإني رأيته شاباً له صباة يعنى بمسائل القضاة فعليك به فإنه يعرف مقدار القضاء. فولى ابن غانم فكان يشاوره في كثير من أموره وأحكامه، فأشفق ابن فروخ من ذلك وقال له: يا ابن أخى لم أقبلها أميراً أقبلها وزيراً! وخرج إلى مصر هرباً من ذلك وورعاً ومات هنالك. وقال القاضى عياض بن موسى بن عياض، وقد ذكر بن فروخ: كان أكره الناس في القضاء. وكان يقول: قلت لأبي حنيفة ما منعك أن تلى القضاء فقال لي: يا ابن فروخ القضاة ثلاثة: رجل يحسن العوم فأخذ البحر طولا فما عساه أن يعوم يوشك أن يكل فيغرق، ورجل بعومه عام يسيرا فغرق، ورجل لا يحسن العوم ألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته..

131 - علي بن أحمد بن علي بن فتح بن لبال: استقضى بشرى فتقلد القضاء مكرها. وكان من أفاضل قضاة زمنه صدعاً للحق في قضائه وقياماً بالعدل في أحكامه لا تأخذه في الله لومة لائم، ومن نظم قوله حين قلد القضاء يتبرم منه:

كنت منذ كنت لم أزل كارهاً خطاة القضاء

لم أرد هـ وانمـ ساقتها نحوى القضاء

حكى قصه توليه القضاء فقال: إن والى إشبيلية كتب إلى أهل شريش أن يجتمعوا على رجل منهم يولى القضاء بها، فجمعهم والى البلد فاجتمعوا عليه ولم يختلف أحد منهم، فحلف ألا يكون قاضياً ورجا أن يبروا قسمه، فلم يفعلوا وكتبوا مكتوباً باتفاقهم عليه إلى والى إشبيلية، فوصل أمره إليها بولايته. فهم بالمشى إليه ليستعفى فمنعوه واتفقوا على المشى في طلبه إن أبي، وتأدى لوالى إشبيلية المذكور أنه ضعيف الحال فأجرى له جراية من بيت المال مشاهرة، فاشترى منها عبداً فأعتقه كفارة ليمينه ..

132 - أخبرنا محمد بن كناسة عن القاسم بن معن قال: دعاني عيسى ابن موسى ليوليني القضاء فدخلت عليه وأنا هائب له، فسلمت عليه بالإمرة، فأشار إلى موضع فجلست فيه، فقال لي: دعوتك خير، قال: فهان والله علىّ حتى صار في عيني أدق من شعرة لما رأيت من لحنه فاحتببت فقال: تحتبى في مجلسي، يا غلام أطلق حبوته، ففعل الغلام فقلت: لا عدنا تأديب الأمير. فقال: إني أريد أن أوليك القضاء، فقلت: لا أستقيم له. قال: إن أبيت ضربتك خمسة وسبعين سوطاً ! فقلت في نفسي ما يجيء بعد الخير إلا شر منه قلت: وتفعل إن لم نفعل؟! قال: نعم، قلت: فإني قبلت، فوليت القضاء ..

133 - حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه، أن يزيد بن المهلب لما ولى خراسان قال: دلوني على رجل كامل لخصال الخير؟ فدل على أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلما جاءه رجلا فائقا فلما كلمه رأى مخبرته أفضل من مرآته قال: إني وليتك كذا وكذا من عملي فاستعفاه، فأبى أن يعفيه. فقال: أيها الأمير ألا أخبرك بشيء حدثني أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ قال: هاته، قال: إنه سمع النبي ﷺ يقول: "من تولى عملاً وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل فليتبوأ مقعده من النار". وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه.

فقال له يزيد : ما زدت على أن حرضتني على نفسك ورغبنا فيك فأخرج إلى عهدك فإني غير معفيك. فخرج ثم أقام فيه ما شاء الله أن يقيم فاستأذنه بالقدوم عليه، فأذن له فقال له: أيها الأمير ألا أحدثك بشيء حدثني أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ قال: هاته، قال: "ملعون من سأل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأله هجراً". وأنا أسألك بوجه الله ألا ما أعفيتني من عملك. فأعفاه ..

134 - عن سلام بن مسكين قال: كنا ننتظر الحسن، وهو عند عدى ابن أوطاة، فخرج علينا وهو كئيب حزين النفس فقال: إن عدى بن أوطاة، عامل عمر بن عبد العزيز، أجلسني للناس قاضياً فأعلمته كبر سني وضعفى وإنه لا طاقة لى بالقضاء، فقال: أعنى أياماً حتى أقعد مكانك رجلاً .

عن منصور بن زاذان، قال: لما ولى الحسن القضاء، أتاه خصمان فجلسا بين يديه، فرفع أحدهما صوته على الآخر، فبكى الحسن، وقال: ارحماني، فإني شيخ كبير، يعني: إن رضيت فهو جور في الحكم ..

135 - قال: حدثنا غسان بن مضر، قال: حدثنا بعض أشياخنا وسعيد بن يزيد فيهم قالوا: استعمل عدى بن أوطاة، الحسن على القضاء فبعث إليه برزقه فردده الحسن ، فزاد عدى عليه فرددها إلى الحسن ، فقال الحسن: إني لم أستقل ما بعثت إلي، ولكنى أكره أن آخذ على القضاء أجراً ! قال سوار بن عبد الله: لما استعمل الحسن [البصري] على القضاء رأيت يبكى في مجلس الحكم ..

136 - عن الغضبان بن يزيد البجلي أن رجلاً من أمرائهم، ولى رجلاً منهم القضاء فاستعفى فأبى عليه، فلبث شيئاً ثم تخلص إليه فقام بين يديه فقال: هذا مقام العائد [بك] من النار ! فقال الأمير: ويحك وهل أملك من النار شيئاً؟! قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحكام ثلاثة فرجل حكم فحسر فأهلك أموال الناس وأهلك نفسه، وحكم علم فأهلك أموال الناس وأهلك نفسه ففي النار، وحكم علم فعدل فأحرز أموال الناس وأحرز نفسه ففي الجنة ..

137 - كان أبو عون شاور في رجل يوليه القضاء، فأشير عليه بثلاثة نفر: حيوة بن شريح وأبي خزيمة وعبد الله بن عباس الغساني فأتى بهم إليه. فكان أول من نوّطر حيوة بن شريح فامتنع فدعى له بالسيف والنطع فلما رأى ذلك حيوة أخرج مفتاحاً كان معه فقال: هذا مفتاح بيتي ولقد اشتقت إلى معادي، فلما رأوا عزمه تركوه، فقال لهم حيوة: لا تظهروا ما كان من إبانى إلى أصحابي فيفعلوا مثل ما فعلت !.

وقال ابن المبارك: ما ذكر لي أحد بفضل فرأيته إلا رأيتُه دون ما ذكر لي عنه، إلا حيوة بن شريح وابن عون ورجع الحديث. قال: ثم دُعي بأبي خزيمة فعرض عليه القضاء فامتنع، فدعى له بالسيف والنطع، فضعف قلب الشيخ ولم يحتمل ذلك فأجاب إلى القضاء، فاستقضى فأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير وكان لا يأخذ ليوم الجمعة رزقاً، ويقول: إنما أنا أجير المسلمين، فإذا لم أعمل لهم لم آخذ متاعهم !

وقال الحرث بن مسكين: أنكر أصحاب أبو خزيمة عليه دخوله في القضاء، فلما رأوا استقامته قالوا : هو خير منا اختير ولم نختَر.

وبلغني أنه قيل لحيوة بن شريح: ولي أبو خزيمة القضاء! قال حيوة: أبو خزيمة خير مني اختير فصح. وقال : كان أبو خزيمة يعمل الأرسان ويبيعها قبل أن يلي القضاء، فمر به رجل من أهل الإسكندرية وهو في مجلس الحكم فقال: لأختبرن أبا خزيمة، فوقف عليه فقال: يا أبا خزيمة احتجت إلى رسن لفرسي، فقام أبو خزيمة إلى منزله فأخرج رسناً فباعه ثم جلس. واستعفى أبو خزيمة فأعفى ..

138- عن إياس بن معاوية قال: أرسل إلى ابن هبيرة فساكتني وساكته حتى فهمت ثم أعادني من القابلة ففعل مثلاً، ثم قال: إيه، قلت: سل عما شئت، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من الشعر شيئاً؟ قلت: نعم، قال: هل تعلم من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بذاك أعلم، قال: إني أريد أن أستعين بك، قلت: في ثلاث لا أصلح معهن لولاية أنا دميم وأنا عى وأنا سبيى الخلق، قال: أما دميم فأني لا أحاسن بك الناس، وأما عى فإنك تعبر عن نفسك، وأما سبيى الخلق فالسوط يقومك. وأمر لي بألفى درهم فهو أول مال تأثلته ..

- حدثنا حميد، أن إياس بن معاوية لما استقضى أياه الحسن [البصري] فبكى إياس، فقال له الحسن: ما يبكيك؟

قال: يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة، رجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة، قال الحسن: إن فيما قص الله مرييا داوود وسليمان صلى الله عليهما ما يرد قول هؤلاء، يقول الله عز من قائل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا ﴿٧٩﴾ [الأنبياء].

فأثنى الله على سليمان ولم يذم داوود، ثم قال الحسن: إن الله عز وجل أخذ على العلماء ثلاثاً، لا يشتركون به ثمناً قليلاً ولا يتبعون فيه الهوى ولا يخشون فيه أحداً.

وقرأ هذه الآية: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّسُولُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة].

139- وحدثني عبد الله بن صالح العجلي قال: دعى سفيان الثوري وشريك إلى ولاية القضاء فامتنعا فحبسا. فأما سفيان، فسأل الموكل بهما أن يأذن له في إتيان منزله لحاجة له وحلف له ليعود، فخلف نعليه ومضى فلم يبعد حتى عاد فأخذ نعليه، ثم مضى فاستخفى، وأجاب شريك إلى القضاء فوليه ..

140- حدثنا محمد بن يحيى البصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعرا وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فابتجان ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله: أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى، ومع ذلك فإني لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقا في قولي فلا أصلح له، وإن كنت كاذبا فلا يجوز لك أن تولى كاذبا دماء المسلمين وفروضهم .

وأما سفيان فأدركه المشخص في طريق ذاهب لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه، فبصر سفيان سفينة فقال للملاح: إن مكنتني من سفينتك وإلا ذبحت بغير سكين. تأول قول النبي ﷺ من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين، فأخفاه الملاح تحت السارية .

وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون. وأما شريك فقال المنصور: تقلد؟ فقال: أنا رجل خفيف

الدماغ، فقال: تقلد وعليك بالعصيد والنبيد الشديد حتى يرجح عقلك، فتقلد، فهجره الثوري، وقال: أمكنك الهرب فلم تقرب ..

141 - أخبرنا الفضل بن دكين قال: كان شريك من رجال أهل الكوفة فدعاه أبو جعفر المنصور فقال: إني أريد أن أوليك قضاء الكوفة؟ فقال: اعفني يا أمير المؤمنين فقال: لست أعفيك، قال: أنصرف يومى هذا وأعود فإرى أمير المؤمنين رأيه، قال: إنما تريد أن تخرج فتغيب عني، والله لئن فعلت لأقدمن على خمسين من قومك بما تكره، فلما سمع شريك يمينه عاد إليه ولم يتغيب، فولاه قضاء الكوفة، فلم يزل عليها حتى مات أبو جعفر وولى المهدي فأقره على القضاء ثم عزله ..

142 - أبو عبد الله محمد بن عياش الأنصارى: من الفقهاء المتأخرين المتقدمين في العلم شيخ مالقة وفريد عصره بما عقلا وفضلا وورعا وزهدا، استدعاه أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر لحضرته، فقلده بما قضاء الجماعة والخطبة أيام الجمعة بمسجد حمرائها، فخطب جمعة واحدة وأقام رسم القضاء ثلاثة أيام حسبة، إذ كان أولا قد عزم على تركه والخروج من عهده، فلم يقبل كسوة ولا أخذ جراية وأفصح رابع يومه بالاستعفاء عن خطة القضاء، وكان أعلم قضاة زمانه بالأحكام وأحفظهم للمسائل وأبصرهم بالنوازل لكنه هاب الله وآثر راحة بدنه وخلّص نفسه من تبعاته، وعلم الأمير صدق مقالته فأعفاه، وتقدم للخطبة والصلاة بالجامع إلى وفاته ولم يأخذ عليه مرتبا مدة حياته ..

موسى بن محمد بن زياد: ولاه الأمير عبد الله القضاء بقرطبة والصرة معا بأهلها، فصلى بالناس جمعة واحدة واستعفى في الثانية، والتزم القعود بداره والتقوت من فائدة عقاره ..

143 - حدثنا يزيد بن أبي مالك : أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يقضى على أهل دمشق، وإنه لما احتضر، أتاه معاوية [أمير المؤمنين رضي الله عنه] عائدا فقال له: من ترى لهذا الأمر بعدك؟ قال: فضالة بن عبيد، فلما توفى أبو الدرداء قال معاوية لفضالة: إني وليتك القضاء فاستعفا منه، فقال له معاوية: والله ما حابيتك بما ولكن استترت بك من النار، فاستتر بما ما استطعت ..

144 - عن الحسن بن عبد الله الضبي قال: لما ولى محارب بن دثار [القضاء] أتيته وقد دخل المسجد فصلى قبل أن يجلس أربع ركعات، ثم رفع يديه يدعو فقال: اللهم إن هذا مجلس

لم أجنه قط ولم أسلكه ، اللهم فكما ابتليتني به فسلمني منه وأعني عليه، ثم بكى حتى بل بدموعه خرقة كانت في يده ثم قال لي: أشامتاً جئت أم معزياً؟ قلت: بل جئت مسلماً. قال الأعمش: قال محارب بن دثار: وليت القضاء فبكيت وبكى أهلي وعزلت عن القضاء فبكيت وبكى أهلي ..

145- وقيل: جاء من مصر ثلاث عهود لثلاثة من القضاة: شمس الدين بن عطاء الأذري، وشمس الدين عبد الرحمن أبي عمر الحنبلي، وشمس الدين عبد السلام الزراوي المالكي. وكان قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان قاضي الشافعية فلم يقبل [هو و] المالكي، وقبل الحنفي. فورد المرسوم بالزامهما بذلك، وأخذ ما بأيديهما من الأوقاف إن لم يفعلا فأجابا!! ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والأوقاف. ثم ورد الأمر بالزامه واستمر الجميع لكن امتنع المالكي والحنبلي من الحاكمية. قال بعض ظرفاء أهل دمشق لما رأى اجتماع ثلاثة قضاة وكل واحد منهم لقبه شمس الدين :

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحكام إذ هم جميعاً شمس وحالهم في الظلام
بدمشق آية قد ظهرت للناس عاماً لما ولى شمس قاضياً زادت ظلاماً

146- [صرف المعتضد القاضي أبا جعفر أحمد بن أزهر عن قضاء المدينة ثم رغب في إعادته] فامتنع من قبوله، ورفع يده عن النظر في جميع ما كان إليه وقال: أحب أن يكون بين الصرف والقبر فرجة، ولا أنزل من القلنسوة إلى الحفرة. وقال في ذلك :

تركت القضاء لأهل القضاء وأقبلت أسمو إلى الآخره
فإن يك فخراً جليل الثناء فقد نلت منه يداً فآخره
وإن كان وزراً فأبعد به فلا خير في إمرة وازره

147 - وقال الخطيب: [عن الحارث بن مسكين] كان فقيهاً على مذهب مالك، وكان ثقة في الحديث ثبتاً، حمل في أيام المأمون في محنة القرآن إلى العراق فلم يجب. فسجن إلى أن ولى المتوكل وأطلقه. وحدث ببغداد ورجع إلى مصر وولى القضاء من قبل المتوكل. قال

الخطيب: إنه حمل في محنة القرآن. والذي حكاه غيره أن حُمل بسبب غيره قال: لما قدم المأمون مصر تلقاه الناس بالفَرَمَا يرفعون على عمال أهل مصر.

فدس الفضل بن مروان وهو يومئذ وزير المأمون قوما يشنون عليهم ليقع التعارض. جلس الفضل بن مروان في الجامع، وحضر مجلسه يحيى بن أكثم القاضي، وأحمد بن أبي دوواد [القاضي]، وإسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد، وهو يومئذ على المظالم بمصر. وطلب الحارث ابن مسكين ليوليه القضاء فحضر. فبينما هو يكلمه إذ قال له المتظلم: سل أصلحك الله الحارث عن ابن أسباط وابن تميم، وكان قد تظلم منهما. فقال الفضل: ليس لهذا أحضرناه. فألح عليه فسأله: ما تقول في هذين الرجلين؟ فقال: ظالمين غاشقين. فقال: ليس لهذا أحضرناك. فاضطرب أهل المسجد. فقام الفضل فدخل على المأمون فقال: لقد خشيت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث. فأرسل المأمون [له فقال]: هل ظلماك في شيء؟ قال: لا. قال: فعاملتهما؟ قال: لا. قال: كيف شهدت عليهما؟ فقال: كما أشهد أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط إلا الساعة. وكما أشهد أنك غزوت ولم أحضر غزوك فقال: اخرج من هذه البلاد فليست بلادك. وبع قليلك وكثيرك فإنك لا تبقى فيها أبداً. وحبسه في قبة ابن هرثمة في رأس الجبل في خيمة! ثم انحدر المأمون وأحدره معه. فلما فتح البلد التي قصدها أحضر الحارث، فلما دخل عليه سأله عن المسألة بعينها، فأعاد الجواب بعينه ثم قال له: ما تقول في خروجنا هذا؟

قال: أخبرني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك، أن الرشيد كتب إليه يسأله عن قتال أهل دَهْلَك فقال: إن كان خروجهم عن ظلم من السلطان فلا يحلّ قتالهم، وإن كانوا إنما شقوا العصا فقتالهم حلال. فأجابه المأمون بجواب قبيح سبه فيه وسبّ مالكا. فقال: لقد تيسّت فيها وتيسّ مالك، قال الحارثُ بن مسكين: فالسامع يا أمير المؤمنين من التيسين أتيس. فتغيّر وجه المأمون، وتندم الحارث على ما كان من قوله. [فقال المأمون له]: ارحل عن مصر. فقال: إلى الثغر؟ قال: لا، الحق بمدينة السلام. فشفع فيه أبو صالح الحرائي فقال له: يا شيخ شفعت فارتمع. وانحرف المأمون على الحارث، واشتد غضبه منه وأسمعه المكروه، وعد له ذنباً من جملتها امتناعه عن القضاء. وكان الفضل لما عرض عليه القضاء امتنع، وكان المأمون أيضاً حرد على المالكيين فزاداد عليهم حنقاً بقصة الحارث، وذلك أن الحارث كان شكس الخلق منحرفاً عن الدولة العباسية موالي بني أمية. فارتحل إلى العراق فأقام ببغداد إلى خلافة الواثق. وكان من

ابن أبي داود ذكره للوائح فقال: ما ظننت أنه حي. فقال: هو باق، فأمر بحمله إلى سُر من رأي. فقال: هو شيخ، وكثرة الحركة تثقل عليه وتتعبه وأخاف أن يموت. قال: فاكتب إليه يتوجه حيث شاء، فتوجه إلى بلده ..

148 - الحارث بن مسكين: ولى القضاء من قبل أبي الفضل المتوكل بن المعتصم وأتاه كتابه وهو بالإسكندرية فلما قرأه امتنع من الولاية فأجبره أصحابه على ذلك وشرطوا عوفهم له. قال بعضهم: رأى أحد أشياخه بمصر كأن الحارث ذبح فلم يكن [إلا أياما] حتى جاءه قضاء مصر على يد ابن أكنم قاضى القضاة حينئذ .

وحكى القاضى يونس قال: ولى المتوكل الحارث قضاء مصر بعد أن سجنه على إباته ذلك زمانا، قال محمد بن عبد الوارث: كنا عند الحارث، فأتاه على بن القاسم الكوفى فقال له: رأيت فى النوم الناس مجتمعين فى المسجد الحرام فقلت: ما اجتماعكم؟ فقالوا: عمر بن الخطاب جاء ليقعد الحارث بن مسكين للقضاء ! فرأيت أنه أخذ وسمر مقعده فى الحائط وانصرف فتبعته، فلما أحس بى قال: ما تريد؟ قلت: أنظر إليك. قال: اذهب إلى الحارث وأقرنه منى السلام وقل له : يقضى بين الناس ، بأمانة أنك كنت بالعراق فقامت من الليل فتعشرت فنكبت إصبعك ودعوت بذلك الدعاء. فجئت من الغد فقال الحارث: صدقت وهذا شيء ما اطلع عليه أحد إلا الله. فسألته عن الدعاء فقال: يا صاحبي عند كل شدة ويا غياثي عند كل كربة ويا مؤنسي فى كل وحشة صلّ على محمد واجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا ..

149 - ذكر القاضى عيسى بن مسكين بن منصور: وكان رجلاً صالحاً فاضلاً طويلاً الصمت رقيق القلب متفنناً فى العلوم. وكيفية ولايته القضاء أن الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب كان قد اضطر يحيى بن عمر إلى ولاية القضاء. فقال له: إن دلتك على من هو أفضل منى تعفيني؟ فقال له: نعم، فدلّه [على] عيسى بن مسكين، وكان بالحضرة حمديس فقال: إنه، والله أيها الأمير، صاحبنا عند سحنون. جمع الله فيه خلال الخير بأسرها.

فأرسل فيه إبراهيم إلى كورة الساحل، وأوصله إلى نفسه وقال: تدرى لم بعثت لك؟ قال: لا. قال: لأشاورك فى رجل قد جمع الله فيه خلال الخير. أردت أن أوليه القضاء وألم به شعث هذه الأمة فامتنع. قال: يلزمه أن يلي. قال: تمتنع. قال: يجبر على ذلك، قال: تمتنع. قال: يجلد، قال: قم فأنت هو.

قال: ما أنا الذى وصفت وتمنّع. فأخذ الأمير بمجامع ثيابه وقرب السيف من نحره !

قال حمديس: وكنت فى المجلس فقممت من مكاني لئلا يصيبني من دمه. فلم يزل به حتى ولى على شروط منها قال له: أستعفيك فى كل شهر؟ قال: نعم، قال: وأجعلك وبنى عمك وجندك وفقراء الناس وأغنياءهم فى درجة واحدة. قال: نعم، قال: ولم توجه ورائي، وكذا وكذا. فمتى لم تف لى بشرط، عزلت نفسي. قال: نعم، وعرض عليه عند ذلك الكسوة والصلة. فامتنع وقال له: أنا رجل طويل الصمت قليل الكلام غير نشيط فى أمور ولا أعرف أهل البلد.

فقال له الأمير: عندى مولى نشيط قد تدرب فى الأحكام أنا أضمه إليك يكون عنك كاتباً يصدر عنك فى القول. فما رضيت منه أمضيت وما سخطت رددت. فضم إليه عبد الله بن محمد بن مفرج. فكثيراً ما كنت آتى مجلسه وهو صامت لا يتكلم وابن مفرج يقضى. وسئل عن فرط انقباضه فى قضائه. فقال: ابتليت بجبار عنيد خفت أن يبعث إلى من طعامه أو يدعوني إليه، ولا آتيه، فحملت نفسي على ذلك ليقطع طمعه مني.

ومن كلامه رحمه الله: من قاس الأمور علم المستور. من حصن شهوته صان قدره. فى تقلب الأحوال علم جواهر الرجال. الحسن النية يصحبه التوفيق. المعاش مذل لأهل العلم. كفاك أدباً لنفسك ما كرهته لغيرك. قارب الناس فى عقولهم تسلم من غوائلهم. وكان إذا تحدث عن أيام قضائه يقول: كنت فى بليتي وكنت أيام تلك الحنة. ولما تاب الأمير وتخلّى عن الملك وتوجه للجهاد ، أتاه عيسى بن مسكين فقال له : إن الله عافاك مما كنت فيه. فشاركنى فى الخروج عما أدخلتنى فيه فقد كبر سنى وضعف بدنى. وعلى الأثر وقع انفصالي. وكانت ولايته ثمانية أعوام ونصف عام ..

الفصلُ التاسعُ

من نَبَذَهُمُ أَهْلُهُمْ
وَأَصْدَقَاؤُهُمْ لَدُخُولِهِمْ فِي
الْقَضَاءِ

من نبذهم أهلهم وأصدقائهم لدخولهم في القضاء

150 - قال سفیان الثوري : كان محمد بن عبد الرحمن الأوقص المخزومي، إلينا منقطعاً، فلما ولى القضاء أراد أن نكون له على ما كنا فتركناه ..

151 - قال أبو جعفر محمد بن العباس: لما ولى محارب بن دثار القضاء، قيل للحكم بن عتيبة: ألا تأتيه؟ قال: والله ما نال عندي غنيمة فأهنيه عليها، ولا أصيب عند نفسه بمصيبة فأعزيه عليها، وما كنت زواراً له قبل اليوم فأزوره اليوم ..

152 - قال الأحوص بن الفضل: حدثني أبي عن أبيه قال لي وكيع: أدخل معاذ بن معاذ في القضاء؟! قلت: نعم . قال : لقد كنت أذهب به عن ذلك ..

153 - وقال غوث بن سليمان : لما ولى عبد الله بن عبد الرحمن بن حجرية الخولاني، القصص، بلغ ذلك أباه وهو بيت المقدس فقال: الحمد لله ذكر ابني وذكر. ولما بلغه أنه ولى القضاء قال: إنا لله هلك ابني وأهلك ..

154 - عن إبراهيم بن عبد الله قال: لقي سفیان الثوري شريكاً بعدما ولى القضاء فقال له: يا أبا عبد الله بعد الإسلام والخير صرت إلى الدخول في القضاء؟! فقال له شريك: يا أبا عبد الله لا بد للناس من قاضي، فقال له سفیان: يا أبا عبد الله لا بد للناس من شرطى ..

155 - قال أبو طالب المكي: كان إسماعيل بن إسحاق من علماء أهل الدنيا ومن سادة القضاة وعلمائهم وعقلائهم، وكان مواخياً لأبي الحسن بن أبي الورد، وكان هذا من أهل المعرفة وعلماء الباطن، فلما ولى إسماعيل القضاء هجره ابن أبي الورد، ثم إنه اضطر إلى أن دخل عليه في شهادة، فضرب ابن أبي الورد يده على كتف إسماعيل القاضي وقال: يا إسماعيل إن علماً أجلسك هذا المجلس، لقد كان الجهل خيراً منه ! فوضع إسماعيل رداءه على وجهه وجعل يبكي حتى بله ..

156 - قال أبو الحسن علي بن هارون: سمعت الجنيد بن محمد أبا القاسم يقول: ورأى رويماً وقد تولى القضاء فقال: من أراد أن ينظر إلى من خبأ في سره حب الدنيا عشرين سنة، فلينظر إلى هذا !

157 - إسماعيل بن عليّة : من أئمة العلماء والحدثين الرفعاء روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل، ولى المظالم ببغداد وكان ناظر الصدقات بالبصرة، وكان ثقة نبيلًا جليلًا كبيرًا، وكان قليل التبسم وكن يتجر في البز وينفق على عياله منه ويحج منه ويبر أصحابه منه، ولاء الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك أنه تولى القضاء، كتب إليه يلومه نظمًا ونثرًا، فاستغفى ابن عليّة من القضاء فأعفاه ..

158 - وقال محمد بن عامر المصيصي : سألت أحمد بن حنبل، وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع أحب إليّ. فقلت له: كيف فضلت وكيعا على يحيى بن سعيد، ويحيى بن سعيد ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمت؟ فقال: وكيع كان صديقًا لحفص بن غياث، فلما ولى القضاء حفص بن غياث هجره وكيع ولم يكلمه بعد ذلك. وأن يحيى بن سعيد كان صديقًا لمعاذ بن معاذ، فلما تولى القضاء معاذ بن معاذ لم يهجره يحيى ابن سعيد !

وقال محمد بن عليّ الوراق: سألت أحمد بن حنبل، فقلت: أيما أحب إليك وكيع بن الجراح أو عبد الرحمن بن مهدي؟ قال: أما وكيع فصديقه حفص بن غياث، لما ولى القضاء ما كلمه وكيع حتى مات، وأما عبد الرحمن فصديقه معاذ بن معاذ لما ولى القضاء ما زال عبد الرحمن صديقه حتى مات ..

159 - ولى سويد بن عبد العزيز قضاء بعلبك وكان محتاجًا، فلقيه داوود بن أبي شيبان الدمشقي فقال له: يا أبا محمد وليت القضاء بعد العلم والحديث ! قال: نعم، نشدتك الله أتحت جبتك شعار؟ فقال داوود: نعم، فرفع سويد جبته وقال: لكن جبتى ليس تحتها شعار، ثم قال: أنشدك الله هل هذا الطيلسان لك؟ قال داوود: نعم، قال سويد: فوالله ما هذا الطيلسان الذى ترى علىّ لى وإنه لعارية، أفلا ألى القضاء بعد هذا؟ فوالله لو ولونى بيت المال [وهو] شر من القضاء لوليتته ..

160 - حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل عن عاصم قال: كان شقيق بن سلمة أبو وائل يقول لجاريته: يا بركة، إذا جاء يحيى - يعنى ابنه - بشيء فلا تقبله، وإذا جاءك أصحابي بشيء فخذيه ! وكان يحيى ابنه قاضيا على الكناسة !!

* * *

الفصلُ العاشرُ

قضاةُ زينوا ساحات القضاء بعدلهم

ومواقفهم فزين التاريخ سيرهم

قضاة زينوا ساحات القضاء بعدلهم ومواقفهم فزين التاريخ سيرهم

مقدمة :

القضاء في الإسلام مواقف عدل ناصعة لا تعرف الميل، بفضل قضاة تصدوا لطغيان وظلم الحكام والسلاطين وبطاناتهم، فقد حوت لنا كتب السير والتاريخ ذكراً لبعض من لا يعصون الخالق في طاعة المخلوق، وهؤلاء وأمثالهم هم من تحتاج الأمة إليهم لتنهض ويسودها العدل، إذ أن الأمة لا تحتاج إلى شيء من الأخلاق احتياجها إلى العدل، وعدم الإغضاء على تعدى حدود الله رهبة من السلطان أو أتباعهم إذا ما وقفوا أمام القضاة. نذكر هنا بعضاً منهم ممن وقف بحزم، سعيًا لإقامة عدل الله على الأرض، ممن يفتخر بمجدارة بهم على مر العصور. ستظل أي دولة بخير، طالما كان فيها قضاء عدول لا يخشون إلا الله، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم مهما كلفهم ذلك. فالقاضي نائب عن الله في حكمه، فحكمه نافذ واجب لازم بعكس المفتي، ونتيجة لهذه المواقف احترم ذوو السلطان وهم المفروض أن يكونوا رقباء، القضاة أيما احترام، ولم يجدوا غضاضة في المثول بين يدي القضاة تقليلاً لشأنهم، فمن اتقى الله هداه إلى الحق. قال ابن شبرمة :

ما في القضاء شفعة لمخاصم عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على إذا قضيت بسنة أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به بنظر مائر معروفة ومعالم

- عن أبي هريرة قال: كان لرجل على النبي ﷺ : سن من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال ﷺ : أعطوه، فطلبوا سنه فلم يجدوا له إلا سنا فوقها، فقال: أعطوه، فقال [الرجل] : أوفيتني أوفى الله بك، فقال النبي ﷺ : "إن خياركم أحسنكم قضاء" (1) ..

161 - وعن محمد قال: كان شريح مما يقول للخصم: يا عبد الله، والله إنى لأقضى لك وإنى لأظنك ظالماً، ولكنى لست أقضى بالظن ولكن أقضى بما أحضرتني، وإن قضائي لا يحل لك ما حرم [الله] عليك ..

1 - صحيح البخارى ج 2 ص 843 رقم 2263.

162- عن مسروق: قال أبي بن كعب لعمر: يا أمير المؤمنين أنصفني من نفسك، اجعل بيني وبينك حكما؟ فقال: بيني وبينك زيد بن ثابت، فانطلقا إلى زيد بن ثابت، فقال عمر: في بيته يؤتى الحكم، فتنحى له زيد عن صدر فراشه وأخرج لعمر وسادة فألقاها له وقال: ها هنا يا أمير المؤمنين، فقال عمر: هذا أول جورك بدأت بالجور، جرت في حكمك. أجلسني وخصمي إلى جنت محاصما، قال: فها هنا، فقعدا بين يديه، فقضا عليه القصة فادعى أبي، وأنكر عمر، فقال أبي بن كعب: ليست لي بيعة، فقال زيد: اليمين على أمير المؤمنين وإن شئت أعفيتك ثم أقبل على أبي فقال: أعف أمير المؤمنين وما كنت لأسألك لأحد غيره، فقال عمر: تقضى باليمين ثم لا أحلف؟ أهكذا يقضى بين الناس كلهم؟! قال: لا، قال: فاقض بيننا كما تقضى بين الناس، قال: احلف يا أمير المؤمنين؟ فحلف عمر، فقال عمر: لا أخرج من شيء أن أحلف عليه، ثم قال: والله الذي لا إله إلا هو، ما لأبي في أرضي هذه حق. ثم حلف عمر: لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء ..

163- حدثني عبد الله بن أحمد بن زكريا قال: سمعت أن محمد بن إبراهيم أمير مكة أراد أن يستقضى على مكة قاضيا، فأراد أن يبعث إلى المدينة يؤتى برجل يستقضيه، فبلغ ذلك عمر بن قيس فأناه فقال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى المدينة فتستقضى علينا منها إنسانا فكيف تفعل هذا وعندنا من يصلح للقضاء! قال: ومن هذا؟ قال: كل من بها من قريش يصلح، فإن شئت فاجلس في المسجد فأول فتى يطلع عليك فاستقضه فهو يصلح، فقال له: تعال العشية حتى تجلس معي، فلما كان بالعشى جلس محمد بن إبراهيم في المسجد وجلس معه عمر بن قيس، فطلع من باب بني جمح عمرو بن حسن الجمحي وهو شاب عليه ثوبان ممصران وله جمة قد رطلها وعليه نعلان لكل واحد منها رأس فقال له: هذا؟! قال: نعم هذا يصلح، قال: فأستقضيه في دينك وفي رقبتك إثمه؟

قال: نعم. فأرسل إليه فقال: قد رأيت أن أوليك القضاء، قال: قد قبلت، ثم ذهب إلى أبويه وهما حيان فقال لهما: إن الأمير قد ولاني القضاء وليس يستقيم أمرى إلا بخصلة إن أجبتاني إليها وليت وإلا تركت الولاية، قالوا: وما هي؟ قال: لا تسألني عن شيء من أمري، ولا تذكرني لي إنسانا يخاصم عندي، ولا تشفعان عندي في شيء، فإن ضمنتما لي هذا دخلت. فأوثقاه أن لا يكلماه في شيء فولى وجلس فكان أهل مكة يقولون لم نر قاضيا مثله ..

164- قال محمد بن عثمان: حدثني أبي قال: سمعت عمر بن حفص بن غياث يقول: لما حضرت أبي الوفاة أغمى عليه، فبكيت عند رأسه فأفاق فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر يعنى القضاء، فقال: لا تبك فإنى ما حللت سراويلي على حرام قط، ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم منهما. وقال حفص: مرض أبي خمسة عشر يوما، فرد معي مائة درهم إلى العامل وقال: هذه لا حظ لي فيها، لم أحكم هذه الأيام!

165 - عن عامر أن ابنا لشريح قال لأبيه: إن بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم وإن لم يكن لي لم أخاصم، فقص قصته عليه فقال: انطلق فخاصمهم، فانطلق فخاصمهم فقضى على ابنه، فقال له لما رجع إلى أهله: ألم أتقدم إليك لم فضحتني؟ فقال: يا بني، والله لأنت أحب إلى من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز على منك، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم ..

- حدثنا الجراح بن عبد الله الحكمي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز ونفر من قریش يختصمون إليه فقضى بينهم، فقال المقضى عليه: أصلحك الله إن لي بينة غائبة، فقال عمر: إني لا أؤخر القضاء بعد أن رأيت الحق لصاحبه، ولكن انطلق أنت فإن أتيتني ببينة وحق هو أحق من حقهم، فأنا أول من رد قضاءه على نفسه ..

166- عن الحسن [البصري] قال: استقضى عبيد الله بن زياد عمران بن حصين على القضاء، فاختصم إليه رجلان قامت عليهما البينة فقضى عليه، فاستقبله وهو خارج من المقصورة فقال: قضيت على بالجور ولم تأل عن الحق، قال: الله، قال: فوالله الذي لا إله إلا هو إنها لباطل. فوثب فدخل على عبيد الله بن زياد فاستعفاه وقال: اعزلى عن القضاء؟ قال: مهلا يا أبا النجيد، قال: لا والله الذي لا إله إلا هو، لا أقضى بين رجلين ما عبدت الله بعد يومى هذا ..

167- عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال: هلك قاض لبني إسرائيل [فوقع اختيارهم] على فتى من علمائهم فسألوه أن يقعد على القضاء فأبى عليهم، فأتى في منامه فقيل له: ما يمنعك أن تقعد على القضاء؟ قال: خفت أن أجور، فقيل له: نجعل بينك وبين الجور علما، فلان

إذا قمت [كن] معه، [فإن] كان أطول منك فقد جرت، فأصبح فقعد على القضاء، وكان يرسل إلى ذلك الرجل فيقوم معه في اليوم مرارا إذا أشكل عليه الشيء أو شك فيه. فقام معه ذات يوم فكان أطول منه !

فقام عن القضاء حزينا خبيث النفس، فأتى في منامه فقييل له: [لم] قمت عن القضاء؟ قال: العلم الذي جعلتموه بيني وبينكم، أرسلت إليه فقمت معه فكان أطول مني، فقييل له: إما أن ذلك ليس من جور جرت، ولكنه انتهى إليك خصمان فأحببت أن يكون الحق لأحدهما فتقضى له . فقال: لا تراني أجور في نفسي قبل أن أتكلم. لا أقعد على القضاء بعدها أبدا ..

168- أخبرنا عمر بن السكن عن رجل حضر محارب بن دثار وهو يومئذ قاض، جاءه رسول خالد بن عبد الله فساره بشيء ثم ذهب، ثم سمعت صرير باب المقصورة قال: فإذا الرسول قد عاد إليه فساره بشيء أمره به خالد، فسمعت محاربا يقول للرسول: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ..

169- وقال حوسر: كنا عند محارب بن دثار فسقطت حية من السقف في حجره فنفّر أصحاب الحديث حتى كسروا درابزين المسجد، وما زاد على أن نفّضها من حجره فرماها. قال أبو حنيفة: كنت عند محارب بن دثار فتقدم إليه خصمان فادعى أحدهما على الآخر ثم أحضر شاهدين فشهدا، فالتفت الخصم إلى محارب فقال في أحد الشاهدين: والله إنه لرجل صالح وإنه وإنه! فقال له محارب: تتنى عليه وقد شهد عليك! قال: والله ما كانت منه هفوة مثل هذه. فقال محارب: حدثني ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إن الطير لتزكى مناقيرها وتخفق بأجنحتها يوم القيامة من هول ما ترى، وإن رسول الله قال: شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يتبوأ مقعده من النار. قال: فرجع الشاهدان عن شهادتهما. حدثت عن جرير قال: قال محارب بن دثار ما عقدت عقدة قط فقدر أحد أن يحلها، ولا حللت عقدة قط فقدر أحد أن يشدها. عن مسلمة قال: لقي محارب بن دثار خيشمة فقال له خيشمة: أيا محارب كيف حبك للموت؟ قال: ما أحبه، قال: إن ذاك بك نقص كبير ..

170- قال عبيد بن ثابت: كتبت إلى علي بن طبيان وهو قاض ببغداد، بلغني أنك تجلس على بارية⁽¹⁾، وقد كان من قبلك من القضاة يجلسون على الوطاء ويتكئون، فكتب إليّ إنني لأستحي أن يجلس بين يدي رجلان حران مسلمان على بارية وأنا على وطاء، لست أجلس إلا على ما يجلس عليه الخصوم ..

171- ولي المأمون القضاء ببغداد في الجانبين جميعاً أبا الوليد بشر بن الوليد الكندي، وكان يحدث ويفتي الناس ببغداد، وكان علماً من أعلام المسلمين عالماً ديناً خشناً في باب الحكم واسع الفقه وهو صاحب أبي يوسف ومن المقدمين عنده، وحمل الناس عنه من الفقه والمسائل ما لا يمكن جمعه. وقال عبد الباقي بن قانع عن بعض شيوخه، أن يحيى بن أكثم [القاضي] شكى بشر بن الوليد إلى المأمون وقال: إنه لا ينفذ قضائي، وكان يحيى قد غلب على المأمون حتى كان عنده أكبر من ولده! فأقعدته المأمون معه على سريره ودعا بشر بن الوليد فقال له: ما ليحيى يشكوك ويقول إنك لا تنفذ أحكامه؟ قال: يا أمير المؤمنين، سألت عنه بخراسان فلم يحمده في بلده ولا في جواره. فصاح به المأمون وقال: اخرج، فخرج بشر. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين قد سمعت فاصرفه، فقال: ويحك هذا لم يراقبني فيك كيف أصرفه! حدثنا أحمد بن الصلت قال: سمعت بشر بن الوليد القاضي يقول: كنا نكون عند ابن عيينة فكان إذا وردت عليه مسألة مشكلة يقول: هاهنا أحد من أصحاب أبي حنيفة؟ فيقال: بشر، فيقول: أجب فيها؟ فأجيب فيقول: التسليم للفقهاء سلامة في الدين ..

172 - قال: عمر بن عيسى الأنيسي القاضي: كنا يوماً في دار المأمون فمر بنا إبراهيم بن غياث حيث اشترى ولاء المأمون وأعدده للقضاء! فقال بشر: قد رأينا قاضياً زناً، وقاضياً مأبوناً، وقاضياً لوطياً، أفترانا نرى قاضياً مؤاجراً؟!

173 - كان بشر بن الوليد الكندي قاضياً المأمون ببغداد قد ضرب رجلاً [من روافض الشيعة] قرف بأنه شتم [الشيخين رضي الله تعالى عنهما] أبا بكر وعمر. وأطافه على جمل. فلما قدم المأمون [ولم تك تأخذه غيرة على سب أبي بكر وعمر، وهو الراي بأحضان الفرس وروافض الشيعة، المنادى والداعي بخلق القرآن والمعاقب بالقتل والتعذيب والسجن

1 - البارية: الحصير المعمول من القصب.

على من لا يقر له بذلك]. أحضر الفقهاء فقال: إني قد نظرت في قضيتك يا بشر فوجدتك قد أخطأت، لا يراني الله أبوء بإثمك وأشارك في جرمك!! خذوا عنه ثيابه واحضروا الحدود ليأخذ حقه منه! فقال له من حضر من الفقهاء: يا أمير المؤمنين، حاكم أجد برأيه فأخطأ فلا تفضح به الحكام وتنتك به القضاء!

ورفع جماعة من ولد الحسن والحسين إلى المأمون، يذكرون أن فذك كان وهبها رسول الله لفاطمة، وأنما سألت أبا بكر دفعها إليها بعد وفاة رسول الله ﷺ، فسألها أن تحضر على ما ادعت شهودا، فأحضرت عليا والحسن والحسين وأم أيمن. فأحضر المأمون الفقهاء فسألهم هل روى أن فاطمة قد كانت قالت هذا وشهد لها هؤلاء، وأن أبا بكر لم يجز شهادتهم، وما تقولون في أم أيمن؟

قالوا : امرأة شهد لها رسول الله بالجنة، فقال: إن عليا والحسن والحسين لم يشهدوا إلا بحق. [ونفى صدق من سمى بالصديق لصدقه ! وتطبيقه لقوله ﷺ "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة"⁽¹⁾. وما ذكرت هذه القصة هنا، إلا للوقوف على بعض ما في قلوب روافض الشيعة على الشيخين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم] فردها على ولد فاطمة!! فقال بعضهم :

يا أيها الملك الموحد ربه قاضيك بشربن الوليد حمار
ينفى شهادة من يدين بما به نطق الكتاب وجاءت الأخبار
ويعد عدلا من يقول بأنه شيخ يحيط بجسمه الأقطار

174 - وسعى ببشر بن الوليد الكندى رجل فقال: إنه لا يقول القرآن مخلوق، فأمر به أمير المؤمنين أن يجلس في منزله، ووكل ببابه الشرط ونهى أن يفتى أحدا بشيء!! فلما ولى جعفر بن أبي إسحاق الخلافة، أمر بإطلاقه وأن يفتى الناس ويحدثهم ..

175- [عن حامان بن الأهتمام قال]: لما ولى ابن شيرمة [القضاء] أتته فلما دخل المسجد صلى أربع ركعات قبل أن يجلس فلما سلم قال: اللهم إن هذا مجلس كنت أشتهيه

1 - تفسير ابن كثير ج 3 ص 359 خ 4033 م 1758.

وأتمناه عليك، اللهم فكما ابتليتني به فأعني عليه وسلمني منه . ثم بكى حتى بل خرقة كانت في يده ..

176- حدثني محمد بن أبي مالك قال: اعتل ابن شبرمة فدخل عليه هذيل الأشجعي

يعوده فقال:

إذا مرض القاضى مرضنا بأسرنا وإن صح لم يسمع لنا بمريض

- كان سبب صرف عبد الرحمن بن سالم بن أبي سالم الجيشاني [القاضي] أن رجلا من الجند قذف رجلا، فخاصمه إليه وثبت عليه شاهدا واحدا، فأمر بحبس الجندی إلى أن يثبت الرجل شاهدا آخر، فأرسل [الأمير] أبو عون عبد الملك بن يزيد فأخرج الجندی من الحبس، فاعتزل وجلس في بيته وترك الحكم، فأرسل إليه أبو عون، فقال: لا، حتى ترد الجندی إلى مكانه. فلم يرده ولم يحل عزمه ..

177- ودخل الأشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة فقال: مرحبا

وأهلا بشيخنا وسيدنا وأجلسه معه، فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث، فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك؟ قال: بل أكلمه من مجلسي، فقال له: لتقومن أو لآمرن من يقيمك ! فقال له الأشعث: لشد ما ارتفعت! قال: فهل رأيت ذلك ضرك؟ قال: لا، قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك ..

178- عن الحسن [البصري]: أن ذا القرنين كان يتفقد أمور ملوكه وعماله بنفسه،

وكان لا يطلع على أحد منهم خيانة إلا أنكر ذلك عليه وكان لا يقبل ذلك حتى يطلع هو عليه بنفسه، فبينما هو يسير متنكرا في بعض المدائن، جلس إلى قاض من قضاته أياما لا يختلف إليه أحد في خصومه! فلما أن طال ذلك بذي القرنين ولم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضي وهم بالانصراف، إذ هو برجلين قد اختصما إليه فادعى أحدهما، فقال: أيها القاضي إني اشتريت من هذا دارا عمرتها ووجدت فيها كترا وإني دعوته إلى أخذه فأبي ! فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: ما دفنت ولا علمت به فليس هو لي ولا أقبضه منه !! قال المدعي: أيها القاضي مر من يقبضه فيضعه حيث أحببت، فقال القاضي: تفر من الشر وتدخلي فيه، ما أنصفتني وما أظن هذا في قضاء الملك!

فهل لكما في أمر أنصف مما دعوتماي إليه؟ قالوا: نعم، قال للمدعي: ألك ابن؟ قال: نعم، وقال للآخر: ألك ابنة؟ قال: نعم، قال: اذهب فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزوها من هذا المال، وادفعوا فضل ما بقي إليهما يعيشان به، فتكونا قد صليتما بخيره وشره. فعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضي: ما ظننت أن في الأرض أحدا يفعل مثل هذا أو قاضي يقضى بمثل هذا؟! فقال القاضي وهو لا يعرفه: فهل أحد يفعل غير هذا؟! قال ذو القرنين: نعم، قال القاضي: فهل يمطرون في بلادهم؟ فعجب ذو القرنين من ذلك وقال: بمثل هذا قامت السموات والأرض .. [فانظر رحمنا الله وإياك إلى ما كان عليه بعض نواذر فضلاء الدنيا من القضاة، وانظر إلى بعض ما آلت إليه أمور البعض الآخر، مع تحذير رب السماوات والأرض ورسوله. هذا وضع الله أمامه وجعله نصب عينيه فوقه وسدد خطاه، وهذا باعد ما بينه وبين الله، نسي الله فأنساه نفسه فأضله بعمله على علم والعياذ بالله] ..

179- مملكة قمار: جزيرة بالهند إليها ينسب العود القمارى وبها الصندل والأرز، وأهلها يجالسون التجار ويعاملونهم وفيهم عدالة ظاهرة وجودة مشهورة وإنصاف كامل، وعبادتهم الأصنام! وهم يجرقون موتاهم بالنار. ولملك قمار ثمانون قاضياً ولو ورد عليهم ولد الملك لأنصفوا منه وأقعدوه مقعد الخصم ووجهوا عليه صريح الحكم .. [سبحان الله] !!

180- قاضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى بن شمس الدين: الشيخ الإمام العلامة الخقق كان من أكابر أهل العلم ولى قضاء بيت المقدس، ولم يل القضاء مثله في العفة والتقوى والعلم، وكان له هيبة زائدة ووقع في القلوب، وكان من قضاة العدل والعاملين العاملين، لا يجابى أحدا في الحكم ولا يخاف في الله لومة لائم، ومما وقع له أن نائب القدس مبارك شاه حين ولى النيابة ودخل القدس، ركب القضاة للقائه على العادة وألبس خلعة السلطان وكان قد أمسك جماعة من الفلاحين، فلما وصل بهم إلى باب الخليل قصد شنتقهم، فأمر بذلك فتقدم إليه القاضي شرف الدين وقال له: ما الذى تريد أن تفعل بحضورنا؟

فقال له: اشنق هؤلاء، قال: بأى طريق؟ قال: لصوص قاتلون للنفس، فقال له: هل ثبت هذا عليهم بالطريق الشرعي؟ قال النائب: نحن لا نحتاج إلى ثبوت! فقال له القاضي: تقتل مسلما عمدا بحضورى بغير حق؟! هذا لا سبيل إليه، ولكن تدخل إلى المدينة وينظر في أمرهم، فإن ثبت عليهم ما يقتضى قتلهم قتلناهم، وإلا فلا سبيل إلى قتلهم! فشدد النائب في أمرهم

وقال: لا بد من قتلهم، فقال له القاضي: والله لو قتلتهم بحضوري لكنت أقتلك بيدي وأعلقك إلى جانبهم كما أنت بخلعة السلطان! فلم يقدر النائب على مراجعته لهيبته، ودخل إلى المدينة ولم يستطع قتلهم !!

181 - وكان بمدينة تعز القاضي الأجل العلامة تقي الدين على الجنيد: كان إماما فاضلا ورعا، تولى القضاء بمدينة تعز فسار بالناس سيرة حسنة، وقد قيل: إنه إذا حلف عنده الخصم يمينا زورا لم يمض عليه أسبوع إلا وقد أصيب في أهله أو ماله أو ولده !!

182- عن عمر بن الهياج بن سعيد قال: كنت من صحابة شريك، فأتيته يوما وهو في منزله باكرا فخرج إلي في فرو ليس تحته قميص عليه كساء فقلت له: قد أضحت عن مجلس الحكم فقال: غسلت ثيابي أمس فلم تجف فأنا أنتظر جفوفها، اجلس فجلست، فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه فقال: ما تقول فيه؟ وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة، وكتبت إلى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمرا، فكان مطاعا بالكوفة. فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق معه جماعة من أصحابه عليه جبة خز وطيلسان على برذون فار، وإذا رجل بين يديه مكتوف وهو يقول: واغوثا بالله أنا بالله ثم بالقاضي، وإذا آثار سياط في ظهره ! فسلم [النصراني] على شريك وجلس إلى جانبه.

فقال الرجل المضروب: أنا بالله ثم بك أصلحك الله، أنا رجل أعمل هذا الوشى، كراء مثلي مائة في الشهر، أخذني هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسني في طراز لا يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا، فأفلت اليوم منه فلحقني ففعل بظهري ما ترى، فقال: قم يا نصراني فاجلس مع خصمك؟ فقال: أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مر به إلى الحبس، قال: قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك، فجلس فقال: ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل من إثرها به؟ قال: أصلح الله القاضي إنما ضربته أسواط بيدي، وهو يستحق أكثر من هذا، مر به إلى الحبس، فألقى شريك كساءه ودخل داره فأخرج سوطا ربذيا ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل: انطلق إلى أهلك، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني وهو يقول له: لا يضرب والله المسلم بعدها أبدا.

فهم أعوانه أن يخلصوه من يديه فقال: من ها هنا من فتيان الحى خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس، فهرب القوم جميعا وأفردوا النصراني، فضربه أسواط، فجعل النصراني يعصر عينيه ويكي ويقول له: ستعلم، فألقى السوط في الدهليز وقال: يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مواليه؟ وأخذ فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا . وقام النصراني إلى البرذون ليركبه فاستعصى عليه ولم يكن له من يأخذ بركابه، فجعل يضرب البرذون، فقال له شريك: ارفق به ويلك فإنه أطوع لله منك . فمضى فقلت: قد والله فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة، قال: أعز أمر الله يعزك الله . وذهب النصراني إلى موسى بن عيسى فدخل عليه فقال: من فعل هذا بك وغضب الأعوان وصاحب الشرط، فقال: شريك فعل بي كيت وكيت، قال: لا والله ما أتعرض لشريك. فمضى النصراني إلى بغداد فما رجع .

وحدثنا محمد بن يزيد الخزاعي قال: حدثني عمي عن عمر بن الهياج بن سعيد قال: أتت امرأة شريكا وهو في مجلس الحكم فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، امرأة من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبي ﷺ ورددت الكلام فقال: أيها عنك الآن من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل، ورثته من آبائي وقاسمت إخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا، وجعلت فيه فارسيا يحفظ النخل ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من إخوتي جميعا وساومني وأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا واختلط بنخل إخوتي، فقال: يا غلام، طينة فحتم ثم قال لها: امضي إلى بابي حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال: أعدت شريك عليك، قال: ادع لي صاحب الشرط؟ فدعا به فقال: امض إلى شريك فقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على !

فقال له صاحب الشرط: إن رأى الأمير أن يعفني فليفعل؟ فقال: امض ويلك فخرج فأمر غلمانهم أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس ! فلما جاء فوقف بين يدي شريك فأدى الرسالة، قال : خذ بيده فضعه في الحبس. قال: قد والله يا أبا عبد الله عرفت أنك تفعل بي هذا فقدمت ما يصلحني إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب إليه، فلما وقف بين يديه وأدى الرسالة قال: الحقوه بصاحبه فحبس، فلما صلى الأمير العصر بعث

إلى إسحاق بن الصباح الأشعثي وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك فقال: امضوا إليه وأبلغوه السلام وأعلموه أنه قد استخف بي وإني لست كالعامّة .

فمضوا [إليه] وهو جالس في مسجده بعد العصر فدخلوا فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم قال لهم: ما لي لا أراكم جنتم في غيره من الناس كلمتموني؟ من ها هنا من فتیان الحى فيأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس، لا ينام والله إلا فيه ! قالوا: أجاد أنت؟! قال: حتى لا تعودوا برسالة ظالم !! فحبسهم وركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس ففتح الباب وأخرجهم جميعا، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجنان فأخبره، فدعا بالقمطر فختمها ووجه بها إلى منزله، وقال لعلامه: الحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذ تقلدناه لهم، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله تثبت انظر إخوانك تحبسهم دع أعوانى. قال: نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشى فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلدني ! [فأمر موسى بن عيسى] بردهم جميعا إلى الحبس وهو والله واقف في مكانه، حتى جاءه السجنان فقال: قد رجعوا إلى الحبس .

فقال لأعوانه: خذوا بلجامه قودوه بين يدي جميعا إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس مجلس القضاء، ثم قال [أين] الجويرية المتظلمة؟ فجاءت فقال: هذا خصمك قد حضر وهو جالس معها بين يديه ! فقال: أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شيء، قال: أما الآن فنعم أخرجوهم، قال: ما تقول فيما تدعيه هذه؟ قال: صدقت . قال: فرد جميع ما أخذ منها وابن حائط في وقت واحد سريعا كما هدم، قال: أفعل. قال: بقى لك شيء تدعيه؟ قالت: لا جزاك الله خيرا. قال: قومي. ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه ثم قال: السلام عليك أيها الأمير تأمر بشيء؟ قال: أى شيء آمر وضحك ..

183 - أخبرنا نمير الشيباني قال: كنت كاتباً لمحمد بن عمران وهو على قضاء المدينة، فحج أبو جعفر، فأراد أن يمضى بالحمالين إلى الشام، فاستعدوا عليه إلى ابن عمران، فقال لي: اكتب عليه دعوى، فقلت: إنه يعرف خطي، قال: والله لا يكون الرسول غيرك. قال: فمشيت إلى الربيع، فأوصلت إليه الدعوى، فقال: إن أمير المؤمنين مدعو إلى الحكم، فلا تقم له أحداً إذا خرج، فقال: والله يا ربيع لئن دخلت المسجد فقام إلى ابن عمران هيبه، والله لا يلي لى عملاً أبداً. فدخل المسجد، وكان ابن عمران محتبياً، فلما رآه حل حبوته واتكى، فقال له الذى على رأسه: بأى شيء أنادى بأخلافه أو باسمه؟ قال: باسمه، فناده فتقدم إليه فقضى عليه!

184- كان عبيد بن ظبيان قاضى الرقة، فجاءه رجل واستعداه على عيسى بن جعفر، وكان الرشيد إذ ذاك بالرقة فكتب ابن ظبيان إلى عيسى: أما بعد أطل الله بقاء الأمير وحفظه وأتم نعمته عليه. أتانى رجل فذكر أن له على الأمير خمسمائة ألف درهم، فإن رأى الأمير أعزّه الله أن يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلا يناظر عنه فعل . ودفع الكتاب إلى الرجل، فأتى باب عيسى، فدفع كتابه إلى الحاجب، فأوصله إليه، فقال له: كل هذا الكتاب، فرجع إلى القاضى فأخبره . فكتب إليه: أبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك . حضر رجل يقال له: فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقاً، فصر معه إلى مجلس الحكم، أو وكيلك إن شاء الله . ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه، فحضرنا باب عيسى ودفعوا الكتاب إليه، فغضب ورمى به فأبلغاه .

فكتب إليه: حفظك الله وأبقاك لا بد من أن تصير أنت وخصمك إلى مجلس الحكم، فإن أبيت أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله. ووجه بالكتاب، فرمى به عيسى ولم يقرأه. فعادا، وأبلغاه، فختم قمطره وانصرف وقعد فى بيته. وبلغ الخبر الرشيد، فدعاه فسأله، فأخبره بالقصة حرفاً حرفاً. فقال لإبراهيم بن عثمان صاحب شرطته: صر إلى باب عيسى بن جعفر، فاختتم أبوابه كلها ولا يخرج أحد منها ولا يدخلن حتى يخرج إلى الرجل من حقه، أو يصير معه إلى الحاكم. فأحاط إبراهيم مع أصحابه بداره خمسين فارساً، وغلقت أبوابه وختمت. فظن عيسى أنه قد حدث للرشيد رأى فى قتله ولم يدر ما سبب ذلك؟ وارتفع الصياح، وصراخ النساء من داره .

وقال من وراء الباب: ادعوا أبا إسحاق لأكلمه. فجاء إبراهيم، فقال له عيسى: ما حالنا؟ فأخبره بالأمر، فأحضر خمسمائة ألف من ساعته، وأمر أن يدفع إلى الرجل، فجاء إبراهيم فأخبر الرشيد فقال: إذا قبض الرجل ماله فتحت أبوابه ..

185 - عن يحيى بن عبد الصمد قال: خوصم موسى أمير المؤمنين إلى أبي يوسف [القاضي] في بستانه، فكان الحكم في الظاهر لأمير المؤمنين، وكان الأمر على خلاف ما يظهر من الحكم. فقال أمير المؤمنين: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟ قال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق، فقال موسى: وترى ذلك؟ واحتال عليه أبو يوسف فقال: قد كان ابن أبي ليلى [القاضي] يراه. قال: فاردد البستان عليه ..

186- قال القاضي أبو عمر بن عبد البر: كان القاضي سليمان بن الأسود الغافقي رجلا صالحا متقشفا، صليبا في حكمه مهيبا. وكان السبب في تقليد الأمير محمد إياه قضاء قرطبة، حكم أمضاه بمدينة ماردة، وهو قاض عليها للأمير عبد الرحمن والده، ومحمد أمير عليها: وقد احتبس لرجل يهودي من تجار جليقية مملوكة أعجبت واشتط اليهودي في سوماها، فدرس غلمانها لاختلاسها من اليهودي. وفزع اليهودي إلى سليمان بمظلمة، واستشهد بمن حول دار الإمارة ممن عرف خبرها. فأوصل سليمان إلى محمد، يعرفه بما ذكره اليهودي وما شهد لديه ويقبح عنده سوء الأحداث عنه، ويسأله دفع مملوكته إليه. فأنكر محمد ما زعمه اليهودي ولواه بحقه، فأعاد القاضي إليه الرسالة يقول له: إن هذا اليهودي الضعيف لا يقدر أن يدعى على الأمير بباطل وقد شهد عندي قوم من التجار فليأمر الأمير بإنصافه، فلج محمد ولج سليمان. فأرسل إليه سليمان ثانية، يقسم بالله العظيم لئن لم يصرف على اليهودي جاريته ليركن دابته من فوره ويكون طريقه إلى الأمير والده، يعلمه الخبر ويستعفيه من قضائه.

فلم يلتفت محمد إلى وصيته. فشدد سليمان على نفسه وركب دابته سائرا إلى قرطبة ، وكانت طريقه على باب دار الإمارة، فدخل الفتيان إلى محمد، فعرفوه بسيره. فأشفق من ذلك، وأرسل خلفه فتى من ثقاته، يقول له: إن الجارية قد وجد خبرها عند بعض فتيانه وقد كان أخفاها بغير أمره، وها هي حاضرة ترد إلى اليهودي. فلحقه الرسول على ميل أو نحوه وأعلمه. فقال: والله لا أنصرف من موضعي راجعا، أو أوتي بالجارية إلى هذا المكان، ويقبضها اليهودي

ها هنا وإلا مضيت لوجهي فأرسل محمد الجارية إليه. فلما صارت بين يديه أرسلها إلى اليهودي مولاه في ثقات من ثقات أهل البلد، ودفعها إليه بمحضهم. وأعجب الأمير محمدا ما كان منه، واسترحمه واعتقد تفضيله. فلما ولي الخلافة واحتاج إلى قاض ولاء وأعزه.

قال أسلم بن عبد العزيز [القاضي] : سمعت أخى هاشما يقول: إني لقاعد يوما بين يدي الأمير، إذ دخل عليه فتاه بدرون الصقلي وكان أثيرا لديه باكيا. فقال له: ما دهاك؟ فقال له: يا مولاي عرض لي الساعة مع القاضي ما لم يعرض لي مثله قط، ولوددت أن الأرض انضمت عليّ ولم أقف بين يديه قال: وما ذاك؟ قال: دست على امرأة تطالبي في دار في يدى وجاءتني بطابع القاضي، وكنت أنت أمرتني بما تعلمه فاعتذرت إليها وقلت: أنا اليوم مشغول بشغل الأمير أعزه الله وسأكتب إلى القاضي وأستعلم ما يريد. ثم إني أقبلت إلى القصر وقد أتيت باب القنطرة، فإذا برسول من أعوان القاضي بادر إليّ فضرب على عاتقي، وصرفني عن طريقي إليه، فدخلت عليه في المسجد الجامع فوجدته غضبان. فنبهني وقال: عصيتني، ولم تأخذ طابعي؟ فقلت له: لم أفعل وقد عرفت المرأة بوجه تأخيري .

فقال لي: ورب هذا البيت لو صح عندي عصيانك لأدبتك، ثم قال لي: أنصف هذه المرأة فقلت: أوكل من يخاصمها عني، فأبي عليّ إلا أن أتكلم. فلما رأيت صعوبة مقامى أعطيتها بدعواها ونجوت بنفسي. أفحسن عندك يا مولاي أن يركب مني قاضيك مثل هذا؟ ومكاني من خدمتك مكاني. قال: فتغير وجه الأمير محمد، وقال له: يا بدرون اخفض عليك فمحللك مني تعلمه، فاسألنا به حوائجك، نجبك إليها ما خلا معارضة القاضي في شيء من أحكامه، فإن هذا باب قد أغلقناه فلا نجيب إليه أحدا من أبنائنا ولا من إخواننا ولا من أبناء عمنا فضلا عن غيرهم. والقاضي أدرى بما فعل. فمسح بدرون عينيه وانصرف. قال القاضي أسلم: وإنما كان يحتمل مثل هذا من أولئك القضاة. وأما أمثالنا نحن فلا. وصدق أسلم رحمه الله فالقهر بالحكم لا يحتمل في الغالب، إلا لمن تخلص نيته في القصد به وجه الله. وما تسرع ملامة الناس إلا لمن يتقيها ويتخوف عاقبة أمر أهلها، وسخط الله أكبر من ملامة الخلق، ونسأل الله الهداية والوقاية. وكثيرا ما كان ابن أسود ينشد :

لَا تَصْحَبَنَّ ذَوِي السُّلْطَانِ فِي عَمَلٍ تُصْبِحُ عَلَى وَجَلٍ تُمَسِي عَلَى وَجَلٍ
كُلِّ التُّرَابِ وَلَا تَعْمَلْ لَهُمْ عَمَلًا فَالْشَّرُّ أَجْمَعُهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ

187- ولى العادل محيى الدين القضاء، وكان قد امتنع من القضاء فألحوا عليه وكان صارما عادلا على طريقة السلف فى لباسه وعفته، وقال سبط الجوزي: كان زاهدا عفيفا ورعا نزها لا تأخذه فى الله لومة لائم، اتفق أهل دمشق على أنه ما فاتته صلاة بجامع دمشق فى جماعة إلا إذا كان مريضا، ثم ساق حكايات من مناقبه وعدله فى قضاياه وكان يقول للعادل: أنا ما أحكم إلا بالشرع، وإلا فأنا ما سألتك القضاء، فإن شئت فأبصر غيري. قال أبو شامة: ابنه العماد هو الذى ألح عليه حتى تولى القضاء. وحدثني ابنه فقال: جاء إليه ابن عنين فقال: السلطان يسلم عليك ويوصى بفلان فإن له محاكمة! فغضب ورمى بكتابه وقال: كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب والشرع ما يكون فيه وصية. فبلغ العادل قوله فقال: صدق، كتاب الله أولى من كتابي. قال المنذري: سمعت منه وكان مهيبا حسن السمات، مجلسه مجلس وقار وسكينة يبالغ فى الإنصات إلى من يقرأ عليه ..

188 - قدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبي يوسف بن يعقوب [القاضي] فى حكم، فارتفع الخادم على خصمه فى المجلس، فزجره الحاجب عن ذلك، فلم يقبل! فقال أبو يوسف: قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك فى المجلس فتمتنع؟ يا غلام انتنى بعمرى النحاس، فإنه إن قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين، ثم إن الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمة، فلما انقضى الحكم رجع الخادم إلى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة، فقال له: لو باعك لأجزت بيعه ولم أردك إلى ملكي، فليست مثرتك عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين فى الحكم، فإن ذلك عمود السلطان وقوام الأديان ..

189- أحمد بن بديل الكوفي: قلد قضاء همدان فأقام سنتين ثم استعفى ورجع إلى بغداد، عالم فاضل صدوق صالح من أصحاب حفص بن غياث القاضي، حدث عنه وانتفع به. وقال النسائي: لا بأس به. وقال صالح بن أحمد الحمداني: بلغنى أنه كان يسمى براهب الكوفة، فلما ولى القضاء قال: خذلت على كبر السن. روى له الترمذى وابن ماجه وأحمد بن أوس المقرئ .

وحدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كنت أكتب لموسى بن بغا وكنا بالرى وقاضيهما إذ ذاك أحمد بن بديل الكوفي، فاحتاج موسى أن يجمع ضيعة ويعمرها وكان فيها سهم لیتيم، فصرت إلى أحمد بن بديل وخاطبته فى أن يبيع علينا حصة الیتيم ويأخذ الثمن، فامتنع

وقال: ما باليتيم حاجة إلى البيع، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مستغن عنه فيحدث على المال حادثة فأكون قد ضيعته عليه. فقلت: إنا نعطيك في ثمن حصته ضعف قيمتها، فقال: ما هذا لي بعذر في البيع والصورة في المال إذا أكثر مثلها، فأدركته بكل لون وهو يمتنع فأضجرتني فقلت له: أيها القاضي ألا تفعل فإنه موسى بن بغا. فقال لي: أعزك الله، إنه الله تبارك وتعالى . فاستحييت من الله أن أعاوده بعد ذلك وفارقتة، فدخلت على موسى فقال: ما عملت في الضيعة؟ فقصصت عليه الحديث، فلما سمع: إنه الله بكى. وما زال يكررها ثم قال: لا تعرض لهذه الضيعة وانظر في أمر هذا الشيخ الصالح فإن كانت له حاجة فاقضها. فأحضرته وقلت له: إن الأمير قد أعفاك من أمر الضيعة، وذلك إني شرحت له ما جرى بيننا، وهو يعرض عليك قضاء حوائجك، فدعا له وقال: هذا الفعل أحفظ لنعمته، وما لي حاجة إلا إدراك رزقي فقد تأخر منذ شهور وأضرني ذلك، فأطلقت له جارية .

قال أحمد بن بديل الكوفي وكان قاضياً : بعث إلى المعتز رسولاً بعد رسول، فلبست كمتى ولبست نعلًا طاقاً، فأتيته فقال الحاجب: يا شيخ، نعليك فلم ألتفت إليه ودخلت الباب الثاني فقال الحاجب: نعليك فلم ألتفت إليه فدخلت الباب الثالث، فقال الحاجب: يا شيخ نعليك فلم ألتفت إليه ثم قلت: أباالوادي المقدس أنا فأخلع نعلي؟! فدخلت بنعلي فرفع مجلسي وجلست على مصلاه، فقال: أتعبناك أبو جعفر؟ فقلت: أتعبتني وذعرتني فكيف بك إذا سئلت عني؟ فقال: ما أردنا إلا الخير، أردنا أن نسمع العلم. قلت: وتسمع العلم أيضاً ! ألا جئتني؟ فإن العلم يؤتى ولا يأتي. قال: نعتب أبا جعفر فقلت له: خلبتني بحسن أدبك اكتب ما شئت. قال: فأخذ الكتاب والدواة والقرطاس، فقلت: أكتب حديث رسول الله في قرطاس بمداد؟ قال: فيم أكتب؟ قلت: في ورق بحبر، فجاءوا بورق وحبر فأخذ الكاتب يريد أن يكتب فقلت: اكتب بخطك. فأومى إلى أنه لا يحسن، فأمليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه فقلت: قال رسول الله ﷺ: من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة. والثاني: ما من أمير يأمر عشرة إلا يؤتى به مغلولاً ..

190 - قال أبو برزة الحاسب: لا أعرف في الدنيا أحسب من أبي خازم القاضي.

وقال ابن حبيب الزارع: كنا ونحن أحداث مع أبي خازم فكنا نتعمده قاضيا ونتقدم إليه في الخصومات، فما مضت الأيام والليالي حتى صار قاضيا وصرنا زراعه. وبلغ من شدته في الحكم

أن المعتضد وجه إليه بطريف فقال له: إن على الضيعى بيع، وكان للمعتضد ولغيره مال وقد بلغنى أن غرماءه أثبتوا عندك، وقد قسّطت لهم من ماله فاجعلنا كأحدهم؟ فقال له أبو خازم: قل لأمر المؤمنين أطل الله بقاءه، أذاكراً لما قال لى وقت قلدي، أنه قد أخرج الأمر من عنقه وجعله فى عنقي، ولا يجوز لى أن أحكم فى مال رجل مدع إلا بينة. فرجع إليه طريف فأخبره فقال: قل له فلان وفلان يشهدان يعنى رجلين جليلين كانا فى ذلك الوقت فقال: يشهدان عندى واسأل عنهما فإن زكيا قبلت شهادتهما وإلا أمضيت ما قد ثبت عندي. فامتنع أولئك من الشهادة فزعاً، ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً!! وحدثنى على بن هشام بن عبد الله الكاتب البغدادى قال: حدثنى وكيع القاضى قال: كنت أتقلد لأبى خازم وقوفاً فى أيام المعتضد منها وقوف الحسن ابن سهل، فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسنى أدخل إليه بعض وقوف الحسن بن سهل التى كانت فى يدي ومجاورة للقصر، وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مالها إلا ما أخذه المعتضد، فجئت إلى أبى خازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته فى قسمته فى سبله وعلى أهل الوقف، فقال لى: فهل جبيت ما على أمير المؤمنين؟ فقلت له: ومن يجسر على مطالبة الخليفة؟! فقال: والله لا قسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه، والله لئن لم يزح العلة لا وليت له عملاً، امض إليه الساعة وطالبه. فقلت: من يوصلنى؟ فقال: امض إلى صافى الحرمى وقل له: إنك رسولى أنفذتك فى مهم، فإذا وصلت فعرفه ما قلت لك. فجئت فقلت لصافى ذلك فأوصلنى وكان آخر النهار، فلما مثلت بين يدي الخليفة ظن أن أمراً عظيماً قد حدث وقال: هيه قل.. كأنه متشوف .

فقلت له: إني ألى لعبد الحميد قاضى أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد أدخله أمير المؤمنين إلى قصره، ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته إلى أن أجى ما على أمير المؤمنين، وأنفذنى الساعة وأمرنى أن أقول إني حضرت فى مهم لأصل .

قال: فسكت ساعة مفكراً ثم قال: أصاب عبد الحميد يا صافى هات الصندوق؟

فأحضر صندوقاً لطيفاً فقال: كم يجب لك؟

فقلت: الذى جبيت عام أول من ارتفاع هذه العقارات أربعمئة دينار، وأخرج من الصندوق دنائير فقبضتها وانصرفت إلى أبى خازم بالخبر. فقال: أضفها إلى ما اجتمع من الوقف

عندك وفرقه في غد في سبله ولا تؤخر ذلك، ففعلت ذلك، فكثير شكر الناس لأبي حازم بهذا السبب وإقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد في إنصافه ..

191 - عن عبد الملك بن قريب الأصمعي أنه قال: كنت عند الرشيد يوما فرفع إليه في قاض يقال له: عافية، فكبر عليه فأمر بإحضاره، وكان في المجلس جمع كثير، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويوقفه على ما رفع إليه وطال المجلس، ثم إن أمير المؤمنين عطس فشتمته من كان بالحضرة ممن قرب منه سواه فإنه لم يشتمته !

فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟

فقال له: لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله فلذلك لم أشتك، هذا النبي عطس عنده رجلا فشتت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال: يا رسول الله مالك شمت ذلك ولم تشمتني؟ قال: لأن هذا حمد الله فشمتناه وأنت فلم تحمده فلم أشتك.

فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك أنت لم تسامح في عطسة أتسامح في غيرها وصرفه منصرفا جميلا وزجر القوم الذين كانوا رفعوا عليه ..

192 - قال الجوسق المديني : قال رجل لهشام بن عبد الملك [أمير المؤمنين] :

أيؤكل مالى بعد عشرين حجة وبعده قرون قد مضت وقرون

وبعد قضاء من أبيتك من احتوى وأحرز مالا بعد عشرين سنين

فقال هشام لسليمان بن حبيب وكان قاضيه: ما يقول؟ قال: رفع إلى قضية إن يكن صدق فيها فالقضاء عليك قال: أرح عليه حقه، أى اردده عليه ..

- وأخبرت أن محمد بن سلام قال: كان حماد بن موسى الغالب على أمر محمد بن سليمان، فحبس سوار رجلا، فبعث حماد فأخرجه من الحبس، فركب سوار حتى دخل على محمد بن سليمان وهو قاعد للناس، والناس على مراتبهم، فجلس حيث يراه محمد ثم دعا بقائد فقال: أسمع أنت مطيع؟ قال: نعم، قال: اجلس هاهنا فأقعده، عن يمينه، ثم دعا آخر ففعل ذلك بجماعة من القواد قال: انطلقوا إلى حماد بن موسى فضعوه في الحبس، فنظروا إلى محمد فأشار إليهم أن افعلوا ما يأمركم، فانطلقوا فوضعوا حماد بن موسى في الحبس وانصرف سوار،

فلما كان العشى أراد محمد بن سليمان الركوب إلى سوار فبلغه فقال: أنا أحق بالركوب إلى الأمير، فركب إليه فقال: يا أبا عبد الله كنت على الحجيء إليك فقال: أنا أحق أن أركب إليك، فقال: قد بلغني ما صنع هذا الجاهل فأحب أن تهب له ذنبه؟ قال: قد فعلت أن رد الرجل إلى الحبس قال: يرده بالصغار والقماء، فوجه إلى الرجل فحبسه، وأخرج حمادا وكتب بذلك إلى المهدي ..

- واستعدى نبطي على زينب بنت سليمان، فأرسل سوار إليها يعلمها لتحضر فامتنعت، فكتب إلى الهيثم بن معاوية فأمره بإحضارها، فكتب إليه الهيثم: إنما بنت سليمان بن علي ! فكتب إليه سوار: فهي أولى من أعطى الحق من نفسه، إذ كانت بهذا الموضع السني، فلما ولي إسماعيل على البصرة أتاه سوار مسلما، فعظمه إسماعيل ورفعته في المجلس .

فأقبل جعفر بن سليمان على إسماعيل فقال: ابن التركية تعظم وترفع؟ وقد أراد إثبات أختك على كذا وكذا وأذى سوارا، فأقبل سوار على إسماعيل فقال: أصلح الله الأمير إنه ذكر أمي وقال: ابن التركية، وأنا معشر العرب قدمنا من هذه البادية وفي ألواننا سواد وفي أبداننا نحف وقلة، فنظرنا إلى هذه الأعاجم، فإذا هي أمد منا أجساما وأشد منا بياضا وأظهر منا حالا فرغبنا فيهم، فاتخذنا منهم السندية والهندية والخراسانية والبربرية، فولدن فينا فمددن من أجسامنا وبيضن من ألواننا وحسن من وجوهنا. ثم نهض فقال إسماعيل لجعفر: هذا عملك أنت أسمعني ، قد والله ذكر أمي وأم أبيك وأم أمير المؤمنين ..

- قال الأصمعي: حدثني أبي، أن عقبة بن سلم الهنائي عامل أبي جعفر على البصرة، وذكر من عتوه واجترائه على الله، وإقدامه على دماء المسلمين وأموالهم أمرا منكرا ، وأنه أخذ رجلا قدم بجوهرة من البحر فأخذ منه الجوهرة وحبسه في السجن، فجاءت زوجته إلى سوار بن عبد الله وهو قاضى أهل البصرة فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، إن الأمير عقبة بن سلم أخذ زوجي وقدم بجوهرة فاغتصبه إياها وحبسه في السجن، فبعث إليه سوار يخبره بما رفعت المرأة عليه عنده فإن كان حقا فأطلق الرجل ورد جوهرته، فلما أخبر عقبة ابن سلم برسالة سوار زجرهم وشتهم سوارا شتما قبيحا.

فجاء الرسول إلى سوار فأخبره بجوابه . فوجه إليه سوار بأمنائه ليسمعوا منه قوله وما يرد من الجواب، فأتوه فرد عليهم من الرد والشتيم أمرا قبيحا، فأتوه فأخبروه، فأرسل إليه سوار فقال: والله لئن لم تطلق الرجل وترد عليه جوهرته، لآتينك ماشيا ولأدمرن عليك بغير سلاح ولا رجال ولأقتلنك قتلة يتحدث الناس بها، فلما سمع من بحضرته رسالة سوار قالوا له: أيها الأمير، إنه يفعل بك ما أرسل به إليك، وهو سوار قاضى أمير المؤمنين وهو تميم ومضر وبلعبر وكلها مسلحة له، وأنت رجل من أهل اليمن وليس بالبصرة من كبير أحد، فافعل ما أمرك به، فوجه إليه بالرجل وبالجوهرة ووجه إليه رجلا يشهدون عليه بقبض الرجل والجوهرة، فصاح بهم سوار وقال: يشهدون على ماذا؟ يطلق الرجل وترد عليه جوهرته.

وقال الأصمعي: كتب أبو جعفر أمير المؤمنين إلى سوار في شيء، كان عنده خلاف الحق فلم ينفذ سوار كتابه وأمضى الحكم عليه ! فاغتاظ أمير المؤمنين عليه وتوعده، فقليل له: يا أمير المؤمنين إنما عدل سوار مضاف إليك وتزيين لخلافتك فأمسك ..

193- عن مالك بن أنس قال: لما ولي سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت [القضاء] كره ولايته فامتنع، وسأل أمير المدينة [عبد الواحد بن عبد الله النصرى والى المدينة] أن يعفيه من القضاء! فجمع الوالى شيوخ أهل المدينة وكان سعيد من المصلين المشمرين، فكلّمه إخوانه من الفقهاء فقال له سعد بن إبراهيم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، ومحمد بن مصعب بن حنبل، ومحمد بن صفوان: لقضاء يوم لحق، أفضل عندنا من صلاتك عمرك [فرضى] فولى القضاء .

وكان الوالى غصب قوما مالا لهم، فكان أول قضاء قضى به سعيد بن سليمان على والى المدينة فأخرج من يديه ذلك المال ! فتصدق به ابن لرفاعة بن رافع العجلاني على فقراء العجلان، وانتعش منه خلق كثير من فقرائهم بالمدينة. فقال محمد بن مصعب بن حنبل: يا سعيد متى يدرك المصلون فضل هذه القضية؟ فأراد الوالى عزله فما استطاع وعزل الوالى من أجله. فأنشد موسى شهوات يمدح سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصارى:

من سره الحكم صرفا لا مزاج له من القضاء وعدل غير مغموز

فليأت دار بنى زيد فإن بها أمضى على الحكم من سيف ابن جرموز

194- عن مصعب قال: جاء أبو عزارة يخاصم في دار عبد الله بن جدعان إلى الأوقص [محمد بن عبد الرحمن الأوقص المخزومي القاضي] وكان المهدي أخذها [منه] وكانت في يده، فبعث الربيع بن يونس يخاصمه [نيابة عنه] فاخصمهما إلى الأوقص، فلما جلسا بين يديه قال: ما جاء بكما؟ قال: أبو عزارة جاءني يخاصمني في دار عبد الله بن جدعان وهي وقف، فقال الأوقص: نعم هي وقف كما قلت، قال الربيع: قضيت عليّ قبل أن أتكلم قال: وما تتكلم؟ أأجلستموني هنا للعبث؟! والله لو كلفتني أن أعد كل حجر فيها أو ميزاب لفعلت، لم أزل أعرفها منذ أنا صبي إلى اليوم. فأرسل إليه المهدي: لم قضيت عليّ؟ فقال: أنا أقضي ! أنت تقضي، فإن شئت تركت وإن شئت أخذت . فردها المهدي عليهم، ثم اشتراها منهم بعد ..

195- كان القاضي منذر بن سعيد: من ذوى الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه، ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته المشهورة في أيتام أخى نجدة، حدث بها جماعة من أهل العلم والرواية، وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخى نجدة وكانت منفصلة عن دوره، يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما في حجر القاضي.

فأرسل الخليفة من قومها بعدد ما طابت بما نفسه، وأرسل أناسا أمرهم بمداخله وصى الأيتام في بيعها، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي؛ إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته. فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار.

فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه، منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة، فأما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكائها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع وإلا فلا ! فنقل جوابه هذا إلى الخليفة، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن يتوخي رغبته فيها.

وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورقها، فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الأنقاض وكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان،

فاتصل الخبر به فعز عليه خراجها، وأمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها، فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضى منذر بن سعيد وقال له: أنت أمرت بنقص دار أخى نجدة؟ فقال له: نعم، قال له: وما دعاك إلى ذلك؟

قال: أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. ومقوموك لم يقدروها إلا بكذا، وفي أنقاضها أكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضلا، ونظر الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك فقال: نحن أول من انتقاد إلى الحق، فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا ..

196- القاضى أبو يوسف واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب هو أول من لقب بقاضى القضاة، وكان يقال له: قاضى قضاة الدنيا لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التى يحكم فيها الخليفة، وكان أكبر أصحاب أبي حنيفة، روى الحديث عن الأعمش وهمام ابن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم، وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قال على بن الجعد: سمعته يقول: توفي أبى وأنا صغير فأسلمتني أمى إلى قصار فكنت أمر على حلقة أبى حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمى تتبعنى فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بى إلى القصار، ثم كنت أخالفها فى ذلك وأذهب إلى أبى حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبى حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلى وإنك قد أفسدته علي، فقال لها: اسكتى يا رعناء ها هو ذا يتعلم العلم وسيأكل الفالودج بدهن الفستق فى صحن الفيروزج. فقالت له: إنك شيخ قد خرفت. قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء للهادي. فبينما أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتى بفالودج فى صحن فيروزج فقال لي: كل من هذا فإنه لا يصنع لنا فى كل وقت، قلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالودج، فتبسمت فقال: مالك تتبسم؟ فقلت: لا شيء أبقي الله أمير المؤمنين، فقال: لتخبرنى. فقصصت عليه القصة فقال: إن العلم ينفع ويرفع فى الدنيا والآخرة، رحم الله أبا حنيفة فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه .

وقال بشار الخفاف: سمعت أبا يوسف يقول: من قال القرآن مخلوق، فحرام كلامه وفرض مباينته ولا يجوز السلام ولا رده عليه. وقد كان يحضر في مجلس حكمه العلماء على طبقاتهم، حتى إن أحمد بن حنبل كان شابا وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس، فيتناظرون ويتباحثون وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضا وقال: وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد، إلا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير المؤمنين، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال: البستان لي اشتراه لي المهدي، فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه فأحضره فادعى بالبستان فقلت: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: هو بستاني، فقلت للرجل: قد سمعت ما أجاب، فقال الرجل: يحلف، فقلت: أتحلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، فقلت: سأعرض عليك اليمين ثلاثا فإن حلفت وإلا حكمت عليك، فعرضتها عليه ثلاثا فامتنع، فحكمت بالبستان للمدعى. قال: فكنت في أثناء الخصومة أود أن ينفصل ولم يمكن أن أجلس الرجل مع الخليفة. وقال بشر بن غياث المريسي: سمعت أبا يوسف يقول: صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت عليّ الدنيا سبع عشرة سنة، وما أظن أجلى إلا أن اقترب. فما مكث بعد ذلك إلا شهورا حتى مات ..

197 - قال أبو مسلم العجلي: كتب المهدي إلى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة، يأمره: انظر إلى الأرض التي يخاصم فيها فلان التاجر فلان القائد، فاقض بها للقائد ! قال: اجمع شهودا؟ فجمع جماعة فكتب عليه حكما للتاجر ثم قال: اذهب الآن فقد طوقتك طوقا لا يفكه عنك خمسون قينا! قال: فعزله المهدي ..

198 - حدثني أبي عبد الله بن صالح قال: كتب أبو جعفر إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة: انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها إلى فلان القائد، فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها لفلان التاجر، فلست أخرجها من يديه إلا ببينة. فكتب إليه أبو جعفر: والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى فلان القائد ! فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو، لا أخرجها من يدي فلان التاجر إلا بحق ! فلما جاءه الكتاب قال أبو جعفر: ملائمتها والله عدلا، صار قضاتي تردني إلى الحق ..

199 - حكى أن المهدي وهو أمير المؤمنين، تقدم مع خصوم له بالبصرة إلى قاضيه عبيد الله بن الحسن العنبري، فلما رآه القاضي مقبلا أطرق إلى الأرض حتى جلس مع خصومه

مجلس المتحاكمين، فلما انقضت الحكومة، قام القاضى فوقف بين يديه، فقال المهدي: والله لو قمت حين دخلت إليك لعزلتك، ولو لم تقم حين انقضى الحكم لعزلتك. وإنما كان يعزله بالقيام قبل الحكم لممايلته، ويعزله بالعقود بعد الحكم لترك حقه، فيكون العزل الأول مستحقا والثاني أدبا فهذا وجه ..

200 - وعن ليث قال: تقدم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصمان فأقامهما، ثم عادا فأقامهما، ثم عادا ففصل بينهما، ففصل بينهما، فقال: تقدموا إلي فوجدت لأحدهما ما لم أجد لصاحبه، فكرهت أن أفصل بينهما على ذلك، ثم عادا فوجدت بعض ذلك له، ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما..

201 - عن عبد الله بن هبيرة: أن أبا الدرداء كان قاضيا بالشام، فكتب إلى سلمان: هلم إلى أرض الجهاد وأرض مقدسة! فأجابه سلمان كتبت تدعوني إلى أرض الجهاد وأرض مقدسة، ولعمري ما الأرض تقدس المرء ولكن المرء يقدره عمله، وقد بلغني أنك جلست تداوى فإن كنت طبيبا مبرئا فطوبى لك، وإن كنت متطببا فاتق [الله] لا تقتل إنسانا فتدخل النار. فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين ثم شك في قضائه قال: ردوهما؟ ثم يقول: متطبب والله ..

202 - ذكر الحشني: أن رجلا ضعيفا من رجال قرطبة قد جاء إلى القاضى عمرو بن عبد الله قاضى قرطبة، فشكا إليه بعض عمال الأمير محمد، وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر مرشحا في وقته للمدينة، ثم صار يآثر ذلك إلى ولاية المدينة، فقال له: يا قاضى المسلمين، إن فلانا غصبني دارا. فقال له القاضى: خذ فيه طابعا. فقال له الرجل الضعيف: مثلى يسير إليه بطابع؟! لست آمنه على نفسى .

فقال له القاضى: خذ فيه طابعا كما آمرك. فأخذ الرجل طابعه ثم توجه به إليه، فلم تكن إلا ساعة، إذ رجع الرجل الضعيف، فقال له: يا قاضى، إني عرضت عليه الطابع عن بعد، ثم هربت إليك، فقال له عمرو: اجلس سيقبل. فلم أنشب أن أتى الرجل في ركب عظيم، وبين يديه الفرسان والرجالة، فثنى رجله ونزل، ثم دخل المسجد فسلم على القاضى وعلى جميع جلسائه، ثم تمادى كما هو وأسند ظهره إلى حائط المسجد .

فقال له القاضي: قم هاهنا فاجلس بين يدي خصمك. فقال: أصلح الله القاضي، إنما هو مسجد والمجالس فيه واحدة لا فضل لبعضها على بعض. فقال له عمرو: قم هاهنا كما أمرتك، واجلس بين يدي خصمك.

فلما رأى عزم القاضي في ذلك قام فجلس بين يديه، وأشار القاضي إلى الرجل الضعيف أن يقعد مع صاحبه بين يديه، فقال عمرو للرجل الضعيف: ما تقول؟

فقال: أقول غصبي دارا لي. فقال القاضي للمدعى عليه: ما تقول؟ فقال: أقول: إن لي عليه الأدب فيما نسب إلى من الغضب.

فقال القاضي: لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب، كما ذكرت، فأما من كان معروفا بالغضب فلا. ثم قال لجماعة من الأعوان ممن كانوا بين يده: امضوا معه وتوكلوا به، فإن رد إلى الرجل داره، وإلا فردوه إليّ حتى أخاطب الأمير أصلحه الله في أمره وأصف له ظلمه وتطاوله. فخرج مع الأعوان، فلم تكن إلا ساعة حتى انصرف الرجل الضعيف والأعوان، فقال الرجل للقاضي: جزاك الله عنى خيرا، قد صرف إلى داري. فقال له القاضي: اذهب في عافية ..

وروى أنه قال: من كانت له حاجة فليتكلم؟ فتكلم الناس، ثم قال عمرو: أين رسول أبي إسحاق [أخي] الأمير فدنا منه رجل فقال: أنا هو، فقال: أبلغه السلام وقل له: ظلمت وأسأت فيما فعلت، عمدت إلى رجل قد أخذه حكمي فأوثيته وسترته، تريد أن تمنع الحق من أن ينفذ عليه، إن لم تخرجه وتبرزه ليؤدي ما عليه وإلا أرسلت إليك من يسمر أبواب دارك ..

203 - عن عبد الله بن عبد الكريم الخواري قال: كان حماد بن دليل أبو زيد قاضي المدائن أيام هارون من ثقات الناس فكتب إليه: أن توصي بنقص أبي يعقوب بن حميد التاجر فامتنع! ثم غوود فامتنع! فأذوه ببعض اللفظ، فترك القضاء وهرب إلى مكة، وحج هارون ومعه يحيى بن خالد، فبينما هو يطوف بالبيت إذ نظر إلى أبي زيد يطوف، فأخذ بعضده وقال: هربت من أمر لو شئنا أن نقتله لقتلناه ..

204 - من أخبار محمد بن بشير المعافري وبعض سيره، كان هذا الرجل رحمه الله ممن لقي مالك بن أنس عند توجهه إلى حج بيت الله الحرام. فلما عاد إلى الأندلس استقصاه الحكم

بن هشام، وقبل قضاءه على شروط: منها نفاذ حكمه على كل أحد من الأمير إلى حارس السوق، وأنه إذا ظهر له العجز من نفسه أعفى، وأن يكون رزقه كفافاً من مال الفيء. وكان من صدور القضاة وذوى المذاهب الجميلة، شديد الشكيمة ماهر العزيمة. قال أحمد بن خالد: وكان أول ما أنفذه في قضاائه التسجيل على الأمير الحكم، في رحي القنطرة، إذ قيم عليه فيها! وثبت عنده من المدعى، وسمع من بينته ما أعذر به إلى الأمير الحكم، فلم يكن عنده مدفع، فسجل فيها وأشهد على نفسه. فلما مضت مدته، ابتاعها ابتياعاً صحيحاً. فكان الحكم بعد ذلك يقول: رحم الله محمد بن بشير لقد أحسن فيما فعل بنا على كره منا. كان بأيدينا شيء مشتبته، فصححه لنا وصار حلالاً، طيب الملك في أعقابنا ..

205 - وقال ابن عين الدولة لما تولى قضاء القضاة بالقاهرة :

وَلَيْتُ الْقَضَاءَ وَلَيْتَ الْقَضَا لَمْ يَكُ شَيْئاً تَوَلَّيْتَهُ
فَأَوْقَعْنِي فِي الْقَضَاءِ الْقَضَا وَمَا كُنْتُ قَدِمَا تَمْنَيْتَهُ
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ قَاضِيَا وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَه

ذكر الحكاية المشهورة عنه في عجيبة، وعجيبة مغنية كانت بمصر على عهد السلطان الملك الكامل بن أيوب ويذكر [أنها] تحضر إليه ليلاً وتغنيه بالجنك على الدف في مجلس بحضرة ابن شيخ الشيوخ وغيره، وأولع الكامل بها جداً، ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة وهو في دست ملكه .

فقال ابن عين الدولة: السلطان يأمر ولا يشهد.

فأعاد عليه السلطان الشهادة، فأعاد القاضي القول!

فلما زاد الأمر وفهم السلطان أنه لا يقبل شهادته! قال: أنا أشهد تقبلني أم لا؟

فقال القاضي: لا.. ما أقبلك.. وكيف أقبلك وعجيبة تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتزول ثاني يوم وهي تتمايل سكرًا على أيدي الجواري، ويتزل ابن الشيخ من عندك أنجس مما نزلت!

فقال له السلطان: يا كنواخ وهي كلمة شتم بالفارسية .

فقال: ما في الشرع يا كنواخ، اشهدوا على أني قد عزلت نفسي ونهض. فجاء ابن الشيخ إلى الملك الكامل وقال: المصلحة إعادته لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه، وتطير الأخبار إلى بغداد ويشيع أمر عجيبة. فقال له: صدقت ونهض إلى القاضي وترضاه وعاد إلى القضاء، وهذه حكاية يستحسنها المؤرخون لما فيها من تصميم القاضي ..

206 - عبد الله أحمد بن طالب القاضي: عزله عن القضاء إبراهيم بن أحمد وحبيه وأحال عليه السودان فركضوا بطنه حتى مات! وكان السبب في ذلك أن إبراهيم بن أحمد أمير أفريقية، طلب من أهل قرية لساعة أن يبيعوها له، فأبوا عليه، فقهرهم عليها وأدخل فيها السودان، فتناول بعض السودانيين على بعض بنات أهلها فافتضها، فأتت أمها بثوبها بما فيه من أثر دمها، فرمته في حجر القاضي ابن طالب وأخبرته الخبر. فنفجع ثم قال لمن حضره: هذا فعل أهل الدهر، ما أظن هذا الرجل يؤمن بالله. ولا بيوم الحساب. فبلغ ذلك إبراهيم فكان من أمره ما كان رحمه الله ..

207 - روى أن العباس بن عبد الله المرواني: غضب ضيعة من رجل بحيان، وتوفي الرجل وترك أطفالا. فلما بلغوا وانتهى إليهم عدل القاضي مصعب ابن عمران، قدموا قرطبة وأهوا إليه مظلمتهم وأثبتوها عنده.

فبعث القاضي إلى العباس وأعلمه ما ذكره القوم وعرفه بالشهود عليه، وضرب له أجلا بعد أجل، فلما انصرمت الآجال وعجز عن الدفع أعلمه أنه ينفذ الحكم عليه.

فدخل العباس على الأمير الحكم وسأله أن يوصي القاضي بالتخلي عن النظر، وأن الأمير الناظر بينه وبين خصمه! فدعى الأمير بفتى وأوصاه إلى مصعب بأن يتخلي عن النظر. فأدى الفتى الوصية، فقال له مصعب: إن القوم قد أثبتوا حقهم ولزمهم في ذلك عناء ونصب شديد، وقد ثبتت دعواهم ولست أتخلي عن النظر حتى أحكم لهم.

فرجع الفتى وأدى ما قاله للأمير، فجعل العباس يغريه ويقول: قد أعلمت الأمير باستخفافه، فصرف الأمير الفتى إليه يقول له: لا بد أن تكف عن النظر بينهم، وأن أكون أنا الناظر في ذلك، فلما عاد الفتى إلى مصعب بذلك، أمره بالعودة ثم أخذ كتابا فعدد حكمه للقوم بالضيعة ثم نفذ بالإشهاد فيه!!

ثم قال للفتى: اذهب فأعلمه أنى نفذت ما لزمنى إنفاذه من الحق، فإن أراد أن ينقضه فذلك إليه يتقلد منه ما شاء .

فذهب الفتى ونقل عنه إلى الأمير. فأطرق الأمير وجعل العباس يغويه ويوقد غضبه، فقال للعباس: ما أشقاه من لطمه قلم القاضي. ولم يعرض للقاضى ونفذ له حكمه ..

- وذكر السمعاني عمن حدثه؛ أن حادثة وقعت للسلطان ملكشاه، فحمل قاضى القضاة الشامى إلى دار السلطان ليقتضى فى تلك الحادثة، فجاء المشطب الفرغانى الإمام وشهد للسلطان بين يديه، فقال الشامى على رؤوس الخلائق: لا أقبل شهادته، قالوا: لم؟ قال: لأنه فاسق، وكان على المشطب ثوب حرير، فخرج المشطب من ذلك، ورد الشامى إلى داره.

وقال السمعاني : سمعت أبا الحسن على بن معصوم بن أبى ذر الفقيه المغربى يقول : دخل المشطب لشهادة على قاضى القضاة الشامى، فرأى الشامى فى أصبعه خاتماً من ذهب، فلما شهد رد شهادته، فلما خرج المشطب قال : لا أدري لأية علة رد شهادتي، فبلغ هذا القول الشامى، فقال: قولوا له: كنت أظن أنك عالم فاسق، فالآن أنت جاهل فاسق، أما تعرف أنك تفسق باستعمال الذهب⁽¹⁾؟

208 - عندما رفض قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الحريرى: تحقيق رغبة السلطان محمد بن قلاوون فى استبدال أرض موقوفة، عزله السلطان وجيء بمن نفذ له رغباته ! وتعرض القاضى شمس الدين الحلبي لبطش السلطان فنصوة الغورى، لأنه حكم فى بعض الوقائع بما اعترض عليه السلطان ..

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: إن رسول الله ﷺ حدثنا على باب الحجرات إذ أقبل أبو بكر وعمر ومعهما فنام من الناس يحاور بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض، فلما رأوا رسول الله ﷺ سكتوا فقال: ما كلام سمعت آنفاء؟ فقال رجل: يا رسول الله، زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد، وقال عمر: الحسنات والسيئات من الله.

1 - طبقات الفقهاء الشافعية ج 1 ص 133 .

وبايع هذا قوم وبايع هذا قوم، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال: كيف قلت؟ فقال قوله الأول، ثم التفت إلى عمر فقال قوله الأول .

فقال رسول الله: والذي نفسى بيده لأقضين بينكم بقضاء جبريل وإسرافيل وميكائيل، فتعاطم ذلك في أنفس الناس فقالوا: يا رسول الله، وقد تكلم بهذا جبريل وميكائيل؟!!

قال: أى والذي نفسى بيده لهما أول خلق الله تكلم فيه، فقال ميكائيل بقول أبي بكر ، وقال جبريل بقول عمر، فقال جبريل لميكائيل: إنا متى نختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض، فهلهم فلنتتحاكم إلى إسرافيل، فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره، حلوه ومره كله من الله، وإني قاض بينكما، ثم التفت إلى أبي بكر فقال :

يا أبا بكر، إن الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق إبليس. قال أبو بكر: صدق الله، وبلغت رسله. تفرد به محمد بن يعلى الكوفي، عن عمر بن صبح التميمي وكلاهما ضعيف. وقد روى من وجه آخر أصح من هذا إسناداً⁽¹⁾..

209 - عن مجاهد قال: لما تزوج داوود عليه السلام بتلك المرأة، ولدت له سليمان بن داوود بعدما تاب الله عليه، غلاماً طاهراً نقياً فهما عاقلاً عالماً، وكان من أجل الناس وأعظمهم وأطولهم، فبلغ مع أبيه حتى كان يشاوره في أموره ويدخله في حكمه، فكان أول ما عرف داوود من حكمته وتفرض فيه النبوة، أن امرأة كانت كسبت جهالاً فجاءت إلى القاضي تخاصم عنده فأعجبته فأرسل إليها يخطبها فقالت: ما أريد النكاح، فراودها على القبيح فقالت : أنا عن القبيح أبعد، فانقلبت منه إلى صاحب الشرطة، فأصابها منه مثل الذى أصابها من القاضي، فانقلبت إلى صاحب السوق فكان منه مثل ذلك، فانقلبت منه إلى حاجب داوود فأصابها منه مثل ما أصابها من القوم ! فرفضت حقها ولزمت بيتها . فبينما القاضي وصاحب الشرطة وصاحب السوق والحاجب جلوس في مجلس يتحدثون فوقع ذكرها، فتصادق القوم بينهم وشكى كل واحد منهم ما أصابه من العجب بها، قال بعضهم: ما يمنعكم وأنتم ولادة الأمر أن تتلطفوا لها حتى تستريحوا منها؟ فاجتمع رأى القوم على أن يشهدوا أن لها كلباً وأنها ترسله على نفسها! فدخلوا على داوود عليه السلام فذكروا له [وقالوا] فكرهنا أن نرفع أمرها إليك حتى

1 - القضاء والقدر ج 1 ص 77 رقم 171 .

نتحققه، فمشينا حتى دخلنا منزلا قريبا منها في الساعة التي بلغنا أُنّا تفعل ذلك، فنظرنا إليها كيف حلتته من رباطه ثم اضطجعت له، ونظرنا إلى المبل يدخل في المكحلة ويخرج منها، فبعث داوود فأتى بها فرجها .

فخرج سليمان وهو يومئذ غلام حين ترعرع، ومعه الغلمان ومعه حضانة يلعب، فجعل منهم صبيا قاضيا وآخر على الشرطة وآخر على السوق وآخر حاجبا وآخر كالمراة، ثم جاءوا يشهدون عند سليمان كهية ما شهد أولئك عند داوود، يريدون رجم ذلك الصبي كما رجحت المرأة. قال سليمان عند شهادتهم: فرقوا بينهم، ثم دعا بالصبي الذى جعله قاضيا فقال: أتقنت الشهادة؟ قال: نعم، قال: فما كان لون الكلب؟ قال: أسود، قال: نحوه، ودعا بالذى جعل على الشرطة فقال: أتقنت الشهادة؟ قال: نعم، [قال] : فما كان لون الكلب قال: أبيض، قال: نحوه، ثم دعا بالذى جعل حاجبا فقال: تيقنت الشهادة؟ قال: نعم، قال: فما كان لون الكلب؟ قال: أغبس. قال: أردتم أن تغشوني حتى أرحم امرأة من المسلمين. فقال للصبيان: ارجوهم، وخلي سبيل الصبي الذى جعله امرأة ورجع دكانه، فدخلوا على داوود فأخبروه الخبر.

فقال داوود: على بالشهود الساعة واحدا واحدا؟ فأتى بهم فسأل القاضى ما كان لون الكلب؟ فقال : أسود ثم أتى بصاحب الشرطة وسأله؟ فقال: أبيض، ثم أتى بصاحب السوق فسأله؟ فقال: كان أحمر، ثم أتى بالحاجب فسأله؟ فقال: كان أغبس. فأمر بهم داوود فقتلوا مكان المرأة. فكان هذا أمر ما استبان لداوود من فهم سليمان عليهما السلام ..

* * *

الفصلُ الحادى عشر

الرشوةُ والهديةُ وما جاء
فيهما من الأقوال

الرشوة والهدية

210- تعريف الرشوة لغة :

رشا: الرَشْوُ: فَعْلُ الرَشْوَةِ، يقال: رَشَوْتُهُ. والمرأشاة: المحاباة. ابن سيده: الرَشْوَةُ والرُّشْوَةُ والرَّشْوَةُ والجمع رُشْيٌ ورِشْيٌ قال سيويه: من العرب من يقول: رُشْوَةٌ ورُشْيٌ، والأصل رُشْيٌ، وأكثر العرب يقول رِشْيٌ. ورشاه يرشوه رشواً: أعطاه الرَشْوَةَ. وقد رشا رَشْوَةً وارْتَشَى منه رَشْوَةً إذا أخذها. ورشاه: حابه. ترشاه: لاينه. ورشاه إذا ظاهره. قال أبو العباس: الرَشْوَةُ مأخوذة من رشا الفَرْخُ إذا مدَّ رأسه إلى أمه لتزقه. والرَّشَاءُ: رَسَنُ الدَّلْوِ. والرَّائِشُ: الذى يُسَدِّى بين الرَّاشِى والمُرْتَشِى. قال ابن الأثير: الرَشْوَةُ والرُّشْوَةُ الوُصْلَةُ إلى الحاجة بالمُصانعة، وأصله من الرِّشَاء الذى يُتَوَصَّلُ به إلى الماء، فالرَّاشِى من يُعْطى الذى يُعِينُهُ على الباطل، والمُرْتَشِى الآخِذُ، والرَّائِش الذى يسعى بينهما يَسْتَزِيدُ لهذا وَيَسْتَنْقِصُ لَهَذَا، فأما ما يُعْطى توَصُّلاً إلى أَخِذٍ حَقٍّ أو دَفْعِ ظَلَمٍ فَغَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِ. والرَّشَاءُ: الحَبْلُ، والجمع أَرَشِيَّةٌ. لأنه يُوصَلُ به إلى الماء كما يوصلُ بالرُّشْوَةِ إلى ما يُطَلَبُ من الأشياء. وأرشت الشجرة وأرشى الحنظل إذا امتدَّتْ أَغصَانُهُ. أى صارت كالأَرَشِيَّةِ، وهى الحبال. أبو عمرو: اسْتَرَشَى ما فى الصَّرْعِ واسْتَوْشَى ما فيه إذا أخرجَه. واسْتَرَشَى فى حكمه. طلب الرَشْوَةَ عليه ..

211 - [ومختصر مفهوم الرشوة فى الشرع] قيل: الرشوة ما يعطى لإبطال حق أو

لإحقاق باطل. فأما إذا أُعْطِيَ لِيُتَوَصَّلَ به إلى حق، أو ليدفع به عن نفسه مضرة، فإنه غير داخل فى هذا الوعيد. هذا ما قاله الطيبي. وقيل: هذا ينبغى أن يكون فى غير القضاة والولاة، لأن السعى فى إصابة الحق إلى مستحقه ودفع الظلم عن المظلوم، واجب عليهم فلا يجوز لهم الأخذ عليه فهو حرام ..

212 - وأجمع المسلمون على أن الحاكم [أى القاضى] ليس له أن يقبل الرشوة،

سواء حكم بحق أو بباطل ولا يحكم لنفسه. [بل يجب عليه] السعى فى إصابة الحق إلى مستحقه، ودفع الظلم عن المظلوم واجب عليهم، فلا يجوز لهم الأخذ عليه، فلتنزود من دنيانا لآخرتنا ومن حياتنا لموتنا ومن شبابنا لهرمنا، فإن الدنيا خلقت لنا ونحن خلقنا للآخرة.

[فاتقوا الله تعالى ولا تكونوا ممن] يقولون من قول خير البرية، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وإذا وقع مسلم في محالبهم، أو ابتلى غريب بتعذيبهم، استحضروا في فنون تعذيبه كتباً ومسائل، وسردوا في علوم تشريه خطبا ورسائل، فيصير ذلك المسكين يتكوى ويستغيث ويتلوى، ويستجير بالله وآياته، ويستشفع بكل ما في أرضه وسماواته ..

213 - اعلم إن الرشوة لا تخلو من أربعة وجوه :

إما أن يرشوه لأنه قد خوفه فيعطيه الرشوة ليدفع الخوف عن نفسه. أو يرشوه ليسوى أمره بين يدي السلطان ويسعى في ذلك. أو يرشوه ليتقلد القضاء من السلطان. أو يرشوه القاضى ليقضى له .

ففى الوجه الأول : لا يحل الأخذ للآخذ، لأن الكف عن التخويف كف عن الظلم، وأنه واجب بدين الإسلام، فلا يحل أخذ المال لذلك. وحل للمعطى العطاء لأنه جعل المال صيانة للنفس وهذا جائز فى الشرع. وكذا إذا طمع فى ماله فرشاه ببعض ماله، فلا يحل الأخذ وحل الإعطاء لأنه جعل بعض المال وقاية لساير الأموال. ولو سعى إنسان بينهما فدفع إليه بعض المال ليوصله إلى الظالم فلا بأس أن يفعل ذلك الإنسان فيسعى بينهما .

وفى الوجه الثانى : لا يحل للآخذ الأخذ لأن القيام بمعونة المسلمين واجب عليه بدون المال، فهو يأخذ المال لإقامة ما وجب عليه إقامته بدونه فلا يحل الأخذ.

وأنواع الهدايا وأحكامها على ثلاثة أوجه : إما أن تكون حلالا من جهة المهدى والقابض جميعا. أو تكون حلالا من جانب المهدى حراما على القابض أن يقبل. أو تكون حراما من الجانبين .

عن مسروق قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت الرشوة فى الحكم من السحت هى؟ قال: لا ولكن كفر، إنما السحت أن يكون للرجل عند السلطان جاه ومزلة، ويكون للآخر [عند] السلطان حاجة، فلا يقضى حاجته حتى يهدى إليه هدية، [أو] أن يستعينك الرجل على مظلمة فيهدى لك فتقبله فذلك السحت.

الهدية في الشرع مندوب إليها. قال عليه الصلاة والسلام: "نعم الشيء اذا دخلت الباب ضحكت الأسكفة"⁽¹⁾. وقال عليه الصلاة والسلام: "تذهب وغر الصدور"⁽²⁾. وقال: "ثمادوا تحابوا"⁽³⁾. وهذا في حق من لم يتعين بعمل من أعمال المسلمين، فأما من تعين لذلك كالقضاة والولاة، فعليه التحرز عن قبول الهدية خصوصا من كان لا يهدى [إليه شيء] قبل القضاء، لأنه من جواب كذا القضاء وهو نوع من الرشوة والسحت ..

أما الأول: فهو أن يهدى الرجل إلى الرجل لابتغاء التودد والتحبب. وأما الثاني: فهو أن يخاف من غيره فيهدى إليه هدية ليكف عنه ولا يظلمه، ولا يشترط أنه إنما يهدى إليه لهذا، لكن يعلم أنه إنما يهدى إليه لهذا. لأنه جعل المال وقاية لنفسه، فحل في جانب المهدي والقابض أخذه لإقامة ما هو الواجب فكان حراما .

وأما الثالث : فهو ما قاله عبد الله: أن يهدى إلى غيره كيما يعينه عند السلطان على حاجته. وذكر أنه قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين ما لك لا تقبل الهدية وكان رسول الله تعالى يقبلها؟

قال عمر: إنما كانت على عهد رسول الله هدية، وإنما لنا رشوة.

أشار عمر بن عبد العزيز إلى أن الزمان قد فسد، والمهدي لا يلتبس ما لا يحل له في الشريعة، فلو قيل كان رشوة، وهذا لا يتصور في زمان رسول الله ﷺ .

وذكر عن عمر بن عبد العزيز، أنه نزل منزلا بالشام فأهدى إليه تفاح، فأمر برده، فقال له عمرو بن قيس: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن رسول الله كان يأكل الهدية؟

فقال: يا عمرو إن الهدية كانت لرسول الله هدية وهي لنا رشوة. فقام رجل من أهل بيته يقال له هشام وكان يعرفه عمر بصلاح فقال: يا أمير المؤمنين إن رد الهدية مما يسوء المهدي ويوحشه، لو أمرت به فقوم وأعطيتهم ثمنه وأكلته، فأمر به فقوم وأعطاهم ثمنه .

1- المبسوط للسرخسي ج 16 ص 82.

2- مسند الطيالسي ج 1 ص 307.

3- الآداب للبيهقي ج 1 ص 97.

وعن عبد الله بن مسعود، أنه أخذ في أرض الحبشة فرشاهم بدينارين حتى خلوا سبيله، وفيه دليل على أن من ابتلى بشيء ظلماً، لا بأس بأن يرشو ليخلي سبيله .

وقال وكيع: لو أن رجلاً ابتلى بسلطان جائر، جار عليه في نفسه أو في ولده أو في أحد من أهله أو في ماله، فصانعه في شيء فرشاه على أن يدفع ذلك الجور، رجونا أن لا يكون آثماً في ذلك .

وعن عطاء بن أبي رباح وعطاء الخرساني وعطاء بن يسار وهم من أعلام التابعين الجمع على توثيقهم قالوا: لا بأس بالرشوة إذا خاف الرجل على نفسه الظلم، وإن لم يكن التهديد للحال.

وقال مجاهد: اجعل مالك جنة دون دينك ولا تجعل دينك جنة دون مالك. [أى] دليل على أنه لا بأس بالرشوة إذا خاف ظالماً على نفسه أو على دينه .

وكان رسول الله يعطى المال من كان يخاف لسانه [ويأمل في إسلامه] وكان يعطى الشعراء .

وذكر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بعثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض ولده لأدعوه له، ونهاني أن أخبره لأى شيء أدعوه، فدعوته، فسأل عما يدعوه أبوه؟ فأبيت أن أخبره، فقال: أخبرني على أنى أرشوك هذه الدجاجة وهذا الديك، فقلت: على ألا تخبر عمر، قال: نعم، فرشاني فأخبرته. فلما رجعت إلى عمر قال: أخبرته فوالله ما استطعت أن أقول لا، فقلت: نعم، فقال: ما أرشاك؟ فقلت: ديكا ودجاجة هنديين، فأخذ بييساره يدي وأخذ الدرة بيمينه فجعل يضربني، فجعلت أنزوى حتى أوجعني ضرباً وجعل يقول لى: إنك لجريء ..

- عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "من أخذ رشوة في الحكم كان ستراً بينه وبين الجنة"⁽¹⁾ ..

- عن ثوبان قال: لعن النبي ﷺ: الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما⁽²⁾ ..

1- جامع الأحاديث ج 11 ص 166 رقم 3650 / 32675.

2- مصنف ابن أبي شيبة ج 4 ص 444 رقم 21965.

- عن أبي هريرة قال: لعن رسول الله ﷺ الراشئ والمرتشئ في الحكم⁽¹⁾..
- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: "الراشئ والمرتشئ في النار"⁽²⁾..
- عن عبد الرحمن بن عوف قال رسول الله ﷺ : "لعن الله الآكل والمطعم الرشوة"⁽³⁾..
- عن عمرو بن العاص ؓ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيه الرشا إلا أخذوا بالرعب"⁽⁴⁾..
- عن أبي حميد أن النبي ﷺ استعمل ابن الأتبية - رجلا من الأزد - على الصدقة، فلما حاسبه النبي ﷺ قال : هذا لكم وهذا أهدي لى ! فقال النبي ﷺ "أفلا فى بيت أبيك وأملك جلست فتتظر أيهدى لك أم لا". ثم قام النبي ﷺ خطيبا فقال: "ما بال رجال نوليهم العمل مما ولانا الله، ثم يأتى أحدهم فيقول: هذا الذى لكم وهذا أهدي لى، أفلا فى بيت أبيه وأمه جلس فينظر أيهدى إليه أم لا، والذى نفسى بيده، لا يغل أحد منكم شيئا أو من ذلك شيئا، إلا جاء به يوم القيامة على رقبتة إن كان بعيرا جاء به له رغاء، وإن كانت بقرة جاء بها ولها خوار، وإن كانت شاة جاء بها تيعر، ثم رفع يديه فقال: هل بلغت ثم رفع يديه حتى بدت عفرة إبطه"⁽⁵⁾..
- وقال النبي ﷺ: "هدايا الأمراء غلول". ومن ذلك قوله ﷺ فى حديث ثور ابن زيد، "إن الشملة التى أخذ يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا". فكل من غل شيئا فى سبيل الله أو خان شيئا من مال الله، جاء به يوم القيامة إن شاء الله.

1 - سنن الترمذى ج 3 ص 622 رقم 1336.

2 - الترغيب والترهيب ج 3 ص 125 رقم 3348.

3 - كنز العمال ج 6 ص 47 رقم 15108.

4 - مسند أحمد ج 4 ص 205 رقم 17856.

5 - مصنف عبد الرزاق ج 4 ص 54 رقم 6951.

والغلول من حقوق الآدميين ولا بد فيه من القصاص بالحسنات والسيئات ثم صاحبه في المشيئة⁽¹⁾ ..

214 - وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ابن عمر قال : بابان من السحت يأكلهما الناس، الرشا في الحكم ومهر الزانية. وقيل: أبواب السحت ثمانية: رأس السحت رشوة الحاكم، وكسب البغي، وعسب الفحل، وثن الميتة، وثن الخمر، وثن الكلب، وكسب الحجام، وأجر الكاهن ..

215 - وعن مسروق قلنا لعبد الله : ما كنا نرى السحت إلا الرشوة في الحكم، قال: ذاك الكفر .

قال مسروق : القاضى إذا أكل الهدية أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغ به الكفر .
وعن عبد الله [بن عمر رضى الله عنهما]: الهدية على الحكم كفر، وهى فيما بينكم سحت ..

- وعن حصين العنبرى قال: رأيت عامر بن عبد قيس فى مسجد فى الشام، وكعب إلى جنبه، وبينهما سفر من أسفار التوراة، وكعب يقرؤه، فإذا أتى على شيء يعجبه فسرّه، فأتى على شيء كههيئة الرأى فقال: يا عبد الله تدرى ما هذا؟ قال : لا يا أبا إسحق، قال : هذه الرشوة أخذها يطمس البصر ويطيع القلب .

وعن الحسن [البصرى] أن بنى إسرائيل كان إذا أتى اثنان منهم إلى الحاكم، فكان مع أحدهما رشوة فى كفه، يفتح صاحب الرشوة كفه فيسمع كلامه ويقضى له، فأنزل الله عز وجل: ﴿ سَمَّيْتُمْ لَكَزِبِ أَكْثَرُونَ لِلْسُّحْتِ ﴾ [المائدة]. [السحت فى اللغة أصله الهلاك والشدة، وسمى المال الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات أى يذهبها ويستأصلها. وقال الفراء: أصله كلب الجوع، يقال: رجل مسحوت المعدة أى أكول، فكأن بالمسترشى وآكل الحرام من الشره إلى ما يعطى مثل الذى بالمسحوت المعدة من النهم .

1 - التمهيد لابن عبد البرج 2 ص 9 .

وقيل: سمى الحرام سحتاً لأنه يسحت مروءة الإنسان. وبذهاب الدين تذهب المروءة، ولا مروءة لمن لا دين له. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رشوة الحاكم من السحت. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل لحم نبت بالسحت فالنار أولى به" قالوا: يا رسول الله وما السحت؟ قال: "الرشوة في الحكم".

وعن ابن مسعود قال: السحت أن يقضى الرجل لأخيه حاجة فيهدى إليه هدية فيقبلها. وقال ابن خوير منداد: من السحت أن يأكل الرجل بجاهه، وذلك أن يكون له جاه عند السلطان فيسأله إنسان حاجة فلا يقضيها إلا برشوة يأخذها. ولا خلاف بين السلف أن أخذ الرشوة على إبطال حق أو ما لا يجوز سحت حرام⁽¹⁾..

عن يونس بن أبي إسحق عن أبيه، قال: مكتوب في الحكمة: الرشوة تعود عين الحكيم.

عن الحسن [البصري] قال: إذا دخلت الهدية من باب خرجت الأمانة من الروزنة .

عن الشعبي : أن رجلاً كان يهدى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل عام رجل جزور، خاصم إليه يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين اقض بيننا قضاء فصلاً كما يفصل الرجل من سائر الجزور، ف قضى عمر عليه، وكتب إلى عماله: ألا إن الهدايا هي الرشا، فلا تقبلن من أحد هدية ..

216 - عن أبي حنيفة رضي الله عنه كان يقول: إذا ارتشى القاضي فهو معزول وإن لم يعزله

الإمام ..

217 - عن محمد بن الحجاج قال: كان رجل يسمع من حماد بن سلمة، فركب بحر

الصين فقدم فأهدى إلى حماد، فقال له حماد: اختر إن شئت قبلتها ولم أحدثك أبداً، وإن شئت حدثتك ولم أقبل الهدية، فقال : لا تقبل الهدية ..

218 - وبلغ أنوشروان: أن بعض عماله قبل هدية فأحضره، فلما دخل عليه قال:

هل قبلت الهدية؟ فقال: نعم، فقال: إن قبلتها لتستكفيه شيئاً لم تكن تستكفيه لولاها إنك لخائن. وإن قبلتها ولم تكافئه إنك للئيم. ولئن كافأته بسطت لسان رعيك عليك ذماً. فمن أتى صنيعاً لا يخلو من هذه الثلاثة رغبتنا عنه، وعزله .

1 - تفسير القرطبي ج 6 ص 183.

وقال الحجاج لوال: لا تقبل الهدية، فصاحب الهدية لا يرضى بعشر أمثالها مع الشنعة، ثم اسلخ ما بين أقفائهم إلى عجب ذنبهم فإنهم يرضون عنك .

اجتمع عند المنصور يزيد بن أسيد ومعن بن زائدة وعدة من الأمثال، فقال معن: ولاني أمير المؤمنين موضع كذا، فحملت إليه كذا وكذا، وأنت ولاك أرمينية فبعثت إليه بمشربة طبخ! فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، أيما أحب إليك الضنين بأمانته أو الجواد بخيانتة؟ فقال المنصور: بل الضنين بأمانته .

وولى مصعب جد الأصمعي الأهواز، فعاد ولم يكن له إلا درهمان ! فقيل له في ذلك، فقال: ما وجدت إلا مسلما له ما لى وعليه ما علي، أو ذميا له ذمة واجبة على فلم أدر أين أضع يدي. ودخل عمير بن سعد على عمر لما رجع إليه من ولاية حمص، وليس معه إلا جراب وإداوة، وقصعة وعصا ! فقال عمر: ما الذى أرى بك من سوء الحال ؟! فقال: أولست ترانى صحيح البدن معى الدنيا بخذافيرها. فقال: وما معك؟ قال: جرابي أحمل فيه زادى وقصعتى أغسل فيها ثوبى ورأسى، وإداوتى فيها ماء سقيتى ووضوئى، ومعى عصاى إن لقيت عدوا دافعتة بها وما بقى فتبع لما معى. قال: صدقت ..

219- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسى من مال الله متزلة ولى اليتيم، إن احتاج أكل بالمعروف وإن استغنى ترك [وهذا] مذهب الخليفين الراشدين ..

220- [جاء فى كتاب قضاة مصر] بأن أهم سمات اختيار القضاة فى العصر المملوكى [كانت] تتمثل فى الرغبة بالحصول على المال لحساب السلاطين وجشعهم والاستهانة بهذا المنصب الجليل، وأدى هذا إلى أن تطلع إلى شغلها من ليس بأهل لها، وترتب على ذلك الوقوع فى أخطاء فقهية، مما أثر على مكانة القضاة جميعا. فما ينتظر ممن دفع الرشوة لتولى هذا المنصب؟ إلا أن يكون مرتشيا ليجمع ما أنفقه من مال فى سبيل توليته. واعتبر السلاطين القضاة مصدرا مهماً لتمويل الخزائن السلطانية وذلك بطرق عديدة، مثل بيع المناصب وكذلك المصادرة التى يقوم بها القضاة لصالح الخزانة السلطانية تحت اسم الشرع الشريف! وكذلك الأوقاف سواء بالبيع أو الاستبدال أو سلبها لصالح السلاطين والأمراء. وقد كان السلاطين يولون أتباعهم لتنفيذ مآربهم الخاصة. وبذلك نلاحظ أن الكفاءة العلمية والمقدرة فى أمور الشرع والتزاهة فى

الأحكام والقدرة على القياس والفهم الصحيح للأمور، كانت نادرة التوفر في القضاة، ووثب بدلا منها صفات أخرى، كالرشوة والوساطة وتقديم التنازلات للأمراء والسلاطين لأجل تولى هذا المنصب، وغالبا ما تكون هذه التنازلات على حساب القضاء نفسه، مما ترتب على ذلك انهيار القضاء الشرعى نتيجة لانهيار أسس اختيار القضاة .

ومن بذلوا [المال] فى تولية هذا المنصب، قاضى القضاة محبى الدين عبد القادر بن النقيب الشافعى: الذى ولى القضاء ست مرات، دفع فيها رشوى ستة وثلاثين ألف دينار وكانت ولاياته نحو سنتين! وكان غير مشهور السيرة رث الهيئة يجافى النفس يزدرية كل من يراه .

كما تولى القاضى نور الدين بن خليل الحكرى: قاضى قضاة الحنابلة، بعد أن دفع خمسين ألف درهم كرشوة رغم ما عرف من جهالته وقلة بهجته .

كذلك تولى عز الدين الششيني : قاضى قضاة الحنابلة بعد أن دفع رشوة للسلطان تقدر بألف دينار .

وتولى قاضى قضاة الشافعية جمال الدين محمد المكيى: بعد أن سعى فى ولاية القضاء ثلاثة آلاف دينار .

وهناك الشيخ سراج الدين بن الملحق الشافعى : الذى سعى ببذله أربعة آلاف دينار لأجل تولى هذا المنصب .

والقاضى بدر الدين بن أبى البقاء: غرم خمسة آلاف دينار رشوة كان دفعها عند توليته. فولاه السلطان ليقرضه ما فى مودع الأيتام من أموال !!

كذلك قاضى القضاة الحنفى ناصر الدين بن العديم: الذى صار يرشى أهل الدولة بالأوقاف !! عن طريق تأجيرها لمن يطلبها بأجنس الأجور، ليكونوا عوناً له على مقاصده حتى كاد أن يخرّبها !

ووصل التنافس بين القضاة على تولية المناصب، إلى حد اختلاق الوقائع والتزوير بينهم، فقد كان بين قاضى القضاة عبد الرحمن بن خلدون وبين القاضى الركراكى، تنافس وعقد مجلس أظهر فيه ابن خلدون فتوى زعم أنها بخط الركراكى ، تتضمن القدح فى السلطان. وبعد التحقيق فيها اتضح أن ابن خلدون زورها! فعزله السلطان .

ولم يتوقف الأمر على ذلك، فمن القضاة من كان يتقبل الرشوة على الأحكام التي يصدرها حسب الأهواء ! فالقاضي المالكي أحمد بن عبد الله : كان يجاهر بأخذ الرشوة وحصل [على] مال طائل عرف بعد وفاته !

والقاضي جلال الدين محمد القزويني: كان لا يعين أحدا من نوابه إلا بعد أن يجتمع بأحد أولاده ويقدم إليه مبلغا من المال ! وأصاب ابنه جمال الدين مبالغ طائلة من القضاء على سبيل الرشوة .

ومنهم من ساءت سيرته وقبح سلوكه فاستحق المحاكمة، مثل القاضي ولي الدين محمد الصفتي: وقد اتهم باختلاس أموال الأوقاف وبيع بعضها، واتهم بأكثر من مخالفة ووصل الأمر إلى سجنه مع أولى الجرائم !

واتهم بعض القضاة بالتزوير كالقاضي عبدالبر بن الشحنة: الذي اتهم ببيع الأوقاف والتزوير فيها هي الأخرى !

لكن ماذا ننتظر من قضاة تولوا بالرشوة وقبلوا الرشوة. وأدى التنافس بين القضاة إلى بذل الرشوة لخلع بعضهم عن القضاء !! مثل قاضي القضاة جمال الدين القلقشندي: الذي صرف عن قضاء الشافعية لأنه سعى فيها برشوة مقدارها ثلاثة آلاف دينار فقط، بينما عين محيي الدين بن النقيب: لأنه بذل خمسة آلاف دينار !! وكذلك ألفى دينار لمن سعى له من الأمراء !!

والقاضي عبد الوهاب بن إبراهيم الرومي الحنفي: أول شيء بدأ به من الأحكام رفع غالب شهود المحاكم، ولم يبق في كل محكمة الا نحو من أربع شهود، وأمعن في النظر في تفتيش الأوقاف، وخرج عن الحد إلى الضد، وبالع في التعازير إلى أن وصل إلى حد النكال والتشهير، وصار يعاقب على أصغر ذنب بأبلغ عقاب، ونكل بالوجهاء والأكابر والمستورين، فنفرت عنه القلوب وصار الناس معه في أمر مريع، وتعرض الشعراء له بالهجاء فقالوا :

قطعت قطعت أرزاق الشهود وبدلت التعارف بالجحود

جعلت بشوم رأيك طول شبر وسرت كسير جبار عنيـد

وخنث الله والمختار جهلا وتهويدا وظلما للعبيد

أما أوصى بهم خير البرايا أما أوصى بإكرام الشهود
وليت لمصر فازددنا غلاء وخضنا فى البلاء إلى الوريد
ومات الغيث والمعروف فينا وصرنا مثل سكان اللحد
وجف النيل لما أن رآكم ومس الأرض نيران الوقود
وقال آخر :

قطعت أرزاق البرايا فويلك يوم تجتمع الرفات
وخنت الله والمختار لما توالى منك فينا المزعجات
ولم ترحم ضعيفا ذا عيال كان القطع منك له صلات
عن قرب تحل بك الرزايا وتأخذك الطبيا والمرهفات
وتحكم فيك أسياف المنايا وتعقبها عليك النابحات
وتصبح ثاويا فى قعر قبر ضجيعك فيه تلك السيئات
نهارك فيه نيران تلظى وفوقك سانجات محركات
فلا تعجل فإننا فى ابتهاال وأوقات الإجابة باقيات

وقد استجاب الله دعاءهم ففجأه العزل، ولم تطل مدته فى الحياة فتوفاه الله، وهكذا
جرت عادة الله أن عمر الظالم قصير ..

ووصل الفساد إلى معاوين القضاة، فقد حدث أن اثنين من معاوين ابن خلدون أعانا
على بيع وقف !!

ومن القضاة من اتسم بصفات أخلاقية سيئة، كأن يفحش فى مخاطبة النساء، كالقاضى
الحسن البغدادى: وكان كثير المزاح والهزل والسخف مع بذاءة اللسان والجهل بالأحكام،
فكان إذا تحاكت إليه امرأة وزوجها، ينصر المرأة ويفحش فى مخاطبتها حتى قال لامرأة
تحاكت إليه مع زوجها: اكشفى وجهك !

ثم قال: مثل هذه تزوج بهذا المهر؟! والله إن ميبتها ليلة واحدة يساوى أكثر منه!!
فشارت العامة عليه وحرقوا عمامته ومزقوا ثيابه وتناولوه بالنعال، حتى أدركه بعض الأمراء
وخلصوه من أيديهم!

221 - قال الأذرعى: نقطع بأن غالب من يلى القضاء فى عصرنا، لو حلف الواحد
كل يوم سبعين مرة على عدم جوره فى الحكم وارتشائه، لم يرده ذلك عن الحرص على القضاء
ودوام ولايته مع ذلك، بل يشتد حرصه وتمافته عليه وطلبه هو وغيره، فإننا لله وإنا إليه راجعون
[هذا قول الأذرعى عن عصره الذى عاش به فما بالكم لو كان يعيش فى زماننا أترأه سيغير
رأيه؟]..

* * *

الفصلُ الثانی عشر

قضاةٌ ضلّوا الطريقَ فاستحقوا
الهجاءَ بأفعالهم

مقدمة :

بعد انتقال الرسول ﷺ إلى جوار ربه، واختفاء عهود عدل الخلفاء كأبي بكر وعمر وعثمان وعمر بن عبد العزيز، وبعض الصالحين ممن تولوا مقاليد أمور المسلمين، وقد كان منهم من يقف وهو خليفة مع خصمه بين يدي قاضي المسلمين، راضيا بحكمه غير مستغل لسطوة سلطانه منفذا لما يأمر به القضاء، أصبح بعض القضاة ألعوبة في يدي بعض الحكام، واختفت الأصول والقواعد المتبعة في اختيار الأصالح منهم، وحلت ضرورة الميل والولاء للحاكم أساساً للتعيين، فالقرب للموالي وليس للأصالح أو الأجدر! فتولى القضاء عدد ممن تجوز عليهم الأمور، مع غفلة واستهتار وقبول للرشوة، ومداينة للكبار والصغار في القضاء .

فتناول بعض الشعراء هجاء بعض القضاة لظلمهم وجورهم في أحكامهم، وميلهم عن الحق للهوى، أو لتقاضيتهم الرشاوى، عندما اتضح له معايهم وعدم صلاحهم لتولى القضاء، فظهر عبر العصور سلاح ماضٍ، لم يستطع سلطان ولا قاض مهما بلغت قوته أن يوقف انتشاره، أو أن يقضى عليه بقوته أو يثلمه، إنه سلاح الهجو والتعير بالسخرية عن الطغيان والظلم وفقدان العدل .

ولنا أن نحزن ونحن نتصفح بعض ما حوته بطون كتب التراث، خلال فترات التاريخ المختلفة منذ ما قبل عصر الفتوحات الإسلامية وإلى عصرنا الحاضر، الذى ظننا أن الفساد به قد استشرى عما كان عليه، فإذا بكتب التاريخ والسير، تثبت لنا أن الفساد قديم قدم التاريخ، وأن إبليس حى لم يمت بعد، وأن له أتباعاً مخلصين طائعين له على مدار كل العصور، منذ بداية الخلق إلى قيام الساعة .

ونحن هنا نتحدث عن بعض أولى الأمر من السلاطين والقضاة، وكيف أساءوا استخدام ما ولاهم الله وما طوق به رقابهم، بما أخذ عليهم من المواثيق بإقامة العدل ورفع الظلم، إلا أنهم أساءوا استخدام الأمانة فاشتروا الضلالة بالهدى والدنيا بالآخرة، فكانوا كما قال ابن عباس عنهم: أذلوا أنفسهم في طلب الدنيا وحب المناصب . وصدق أمير المؤمنين بحق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه حين قال: ويل لقاضى الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض بهوى لا لقرابة ولا لرغبة ولا لرهبة وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه .

إنه لمن المحزن والمخزى أن يعاني القضاء في العالم الإسلامي، كثيرا من فساد بعض القضاة الذين لا تهمهم إلا أرصدتهم في البنوك وعند الحكام، وهذه الفئة وإن كانت قليلة والحمد لله إلا أن ضررها بالغ وشرها عظيم، ومن أكبر أضرارها، أنها تسيء إلى الفئة الكثيرة من القضاة الأتقياء الصالحين. الذين همهم الأكبر هو تعظيم أرصدتهم عند الله. إن الحاكم بمفرده لم يكن يستطيع أن يفعل شيئا، دون مساندة أعوان السوء من القضاة الفاسدين، الذين سهلوا له مصادرة الأموال والممتلكات وأموال الأيتام والأوقاف والاستيلاء عليها بكثير من الغش والتدليس ﴿الرَّيْعَمُ إِنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤) [العلق].

222- يحتل الهجاء مكانة متقدمة بين فنون الشعر العربي القديمة [والحديث] فقد قيل:

إن بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب:

وذم الشعراء عدداً من القضاة والعمال والموظفين، الذين استغلوا وظائفهم في ظلم الناس واستبدادهم، فعمدوا إلى كشف تجاوزاتهم وتعدياتهم على طبقات المجتمع، وتراوحت أشعارهم بين الهجاء الشخصي والنقض الموضوعي الهادف، فصوروا بأشعارهم معاناة الناس وأبدوا من خلالها دلالات عن مظاهر الفساد الاجتماعي وظلم الناس، فالقاضي يعد عنواناً لعدالة الدولة، ورمزاً لإحقاق الحق ونصرة المظلومين، فهو أعلى مسؤول يسير شؤون الرعية في أمورها الدينية والدنيوية، لذا ينبغي أن يحمل صفات الورع والتقوى والعدل التي تؤهله لهذا المنصب الإداري، وأن يخلص نفسه من اتباع الهوى في أحكامه. وقد تعرض القضاة للنقد اللاذع والقدح المقذع وصل أحيانا إلى مرتبة السباب، لجورهم وجهلهم بالأحكام ونقص درايتهم بالعلوم الفقهية، وقلة فهمهم لأموال القضاء الذي يستدعي كل علم. وقد يلجأ الشاعر في هجوه، إلى رسم صورة ساخرة بغرض الإضحاك دون أن يكون بينه وبين المهجو ضغينة أو سخط، وإنما يعتمد فيه الشاعر على العبث بأحد الأشخاص، ومن أمثلة ذلك قبح ما رمى به القضاة قبولهم الرشوة، وهي ظاهرة ليست جديدة على القضاة، بل سبقهم في فعلتها قضاة في عصور سابقة، غير أن استثناء هذه الظاهرة داء خطير على المجتمع؛ إذ فيها ضياع للحقوق وبث للفساد والتحايل والكذب. وخلاصة القول أن الشعراء ركزوا هجاءهم، على المثالب والتجاوزات التي تصدر عن القضاة، قاصدين [كشف حقيقتهم وزيف مظهرهم وقلة فضائلهم وقيمهم] ..

223- والهجاء ذم وشتهم، وقد جرى الشعراء الهجاؤون في شعرهم على طريقتين: أولهما الهجاء بالعيوب الجسمية أو الخلقية، مثل كبر الأنف والأذن والعرج والعمى والبرص والحدب. وثانيهما: الهجاء بالعيوب النفسية أو الخلقية كالبلخل والجبن والضعف والحمق والجهل [أو سوء الأصل أو الارتشاء أو الفجور] ..

224 - والهدف من الهجاء، هو الخط من قدر المهجو في غالب الأحيان، وذلك بأن يجعله الشاعر ضحكة للسامع وتفككة للناس فيصوره بصورة مزرية، وتناوله من حيث العرض وإن أشدها قتلا لسمعته هو تناول زوجه أو ابنته أو أمه أو أخته ..

قضاة استحقوا الهجاء

225 - قال أبو القاسم: ليس لمن ولى الحرب والحلب من القضاء شيء، إنما ذلك إلى متولى القضاء. أراد بالحلب الرشوة ..

226 - عن النضر بن شميل قال أبو مطيع البلخي الحكم بن عبد الله الفقيه، قاضي بلخ وكان بصيرا بالرأي: نزل الإيمان والإسلام في القرآن على وجهين وهو عندي على وجه واحد ! قلت: ممن ترى الغلط؟ منك أو من الرسول ﷺ؟ أو من جبريل؟ أو من الله تعالى؟ فبقى باهتا. وقيل: كان من رؤوس المرجنة، قال ابن معين: هو ضعيف. وقال أبو داود: تركوا حديثه لأنه كان جهميا ..

227 - قال أحمد بن حنبل : لا ينبغي أن يروى عنه شيء . وقال يحيى : ليس بشيء ..

228 - قال أبو مطيع البلخي لأبي حنيفة: أرايت لو رأيت رأيا ورأى أبو بكر رأيا غيره، أددع رأيك برأيه؟ قال: نعم. فقلت: أرايت لو رأيت رأيا، ورأى عمر رأيا، أددع رأيك برأيه؟ قال: نعم. قال: ثم سألته عن عثمان، فأجاب بمثل هذا، وقال: إني أددع رأيي عند رأي جميع الصحابة، إلا ثلاثة أنفس: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب. فهذا يدل على أنه يؤخر القياس عند الآثار ..

229 - يقول الله عز وجل: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخْذُوا ۖ وَالَّذِينَ يَأْخُذُوا بِالْكِتَابِ أَلَمْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ [الأعراف]. هؤلاء المرتشون في أحكامهم العهود والمواثيق في كتاب التوراة (لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ). فقالوا الباطل وخالفوا أمر الله، وهو قولهم سيغفر لنا. والمراد من هذا التوبيخ والتفريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل. ولا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ). يعنى الكتاب وأنهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهود والمواثيق ولكن ضيعوا العمل به (وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ). أعددها الله لأوليائه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه، ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الأحكام (خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الله ويخافون عقابه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا وإن ما في الآخرة خير وأبقى لأهلها دار المتقين ..

230 - قال السدي: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذوا منهم بعض العهود أن لا يفعلوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى وارتنى يقال له : مالك ترتشى في الحكم، فيقول: سيغفر لي، فيطعن عليه البقية من بنى إسرائيل فيما صنع، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجلا ممن كان يطعن فيرتشى فيقول وإن يأتي الآخرين عرض مثله يأخذوه ..

231- عن ابن أشوع قال : والله ما هلك بنو إسرائيل حتى طلب فيهم قاض [عادل] فلم يوجد وأيم الله ما أصبح في هذه الأمة قاض ..

232- [قال أسامة بن منقذ] : آفة القضاة شدة الطمع. وقال أفلاطون: الجور أخرجنا إلى القضاة. إذا سمح في دولة بالتجوز في القضاة والأطباء فقد أدبرت وقرب انحلالها ..

233- وقيل : الحاكم شيطان ونعم الرقى الرشا ..

234 - وفي إنجيل برنابا : على أولئك الذين يبرئون الأثيم لأجل النقود، ولا يقضون في دعوى اليتامى والأرامل، الحق أقول لكم إن الشياطين سيقشعرون من دينونة هؤلاء، لأنها ستكون رهيبة جدا، أيها الإنسان المنصوب قاضيا لا تنظر إلى شيء آخر، لا إلى الأقرباء ولا إلى الأصدقاء ولا إلى الشرف ولا إلى الربح ، بل انظر فقط بخوف الله إلى الحق الذى يجب عليك أن تطلبه باجتهاد أعظم، لأنه يقيك دينونة الله، ولكنى أذكرك أن من يدين بدون رحمة يدان بدون رحمة .

قال المسيح : ما أشد القضاء خطراً، ما أكثر الذين هلكوا بقضائهم الجائر. الحق أقول لكم لعمر الله الذى أقف فى حضرته أن الحكم الباطل هو أبو كل الخطايا، لأن لا أحد يخطئ بدون إرادة، ولا أحد يريد ما لا يعرف، ويل إذاً للخطي الذى يحكم فى قضائه بأن الخطيئة صالحة والصالح فساد، أنه سيحل به قصاص لا يطاق متى جاء الله ليدين العالم، ما أكثر الذين هلكوا بسبب القضاء الجائر، وما أكثر الذين أوشكوا أن يهلكوا، ما أَرهَب قضاء الله، يهلك القاضى وينجو المقضى عليه ..

235 - عن مالك بن دينار، قال: سأل رجل وهب بن منبه عن رجل استعمل على عمل ففرض له رزق فلم يعد الذى فرض له [أى لم يكتف ويقتنع به]، قال وهب: إني سأضرب لك مثلاً: أخبرني عن رجل تلصص زماناً، حتى إذا كبر وجلس فى بيته ، أتاه شاب ، فقال : إنك قد جريت اللصوصية، فعلمني فما أصبت من شيء فبيني وبينك. فقال له الشيخ: إني أخاف أن أعلمك فتصيب فلا تقسم لي: فجعلا بينهما أميناً، ما أصاب من شيء بين الشيخ واللس والأمين، أى هؤلاء شر؟ قال: كلهم سواء ..

- عن مسروق، أنه سأل ابن مسعود عن الجور فى الحكم، قال: ذاك الكفر ، ثم تلا: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة].

قال ابن عباس: من جار فى الحكم وهو يعلم، ومن حكم بغير علمه، ومن أخذ الرشوة فى الحكم، فهو من الكافرين. وهذا فى أهل التوحيد .

عن الحارث بن يزيد، قال : قال ابن حجية الأكبر : أخبرت أن القاضى إذا قضى بالهوى احتجز الله منه .

عن سعيد بن المسيب قال: اختصم إلى عمر رضي الله عنه يهودى ومسلم، فرأى الحق لليهودي، فقضى له عليه، فقال اليهودي: والله إن الملكين، جبريل وميكائيل لمعك أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك وإني ليتكلمان بلسانك، فعلاه بالدرة وقال: ما يدريك لا أم لك ؟! قال: لأنهما مع كل قاض يقضى بالحق، فإذا ترك الحق عرجا، ووكلاه إلى شيطان الإنس والجن، فقال عمر: أئني لأحسبه كما قال ..

236 - إذا اختل أمر القضاء بالدولة اختل حالها : حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك، فيما شاهدناه من أيام بني العباس، القضاء، فإن ابن الفرات وضع منه، وأدخل فيه قوماً لا علم لهم ولا أبوة فيهم، فما مضت إلا سنوات حتى ابتدأت الوزارة تتضع ويتقلدها كل من ليس لها بأهل ! وتلى سقوط الوزارة اتضاع الخلافة، فانحلت دولة بني العباس بالخلال أمر القضاء. وكان أول وضع من القضاء، تقليد [ابن] الفرات إياه أبا أمية الأحوص الغلابي البصري، فإنه كان بزازاً استتر عنده ابن الفرات، وقال له: في حال الاستتار، إن وليت الوزارة فأى شيء تحب أن أعمل بك؟ قال: تقلدني شيئاً من أعمال السلطان. قال: ويحك، لا يجيء منك [أى لا تصلح أن تكون] عامل ولا أمير ولا صاحب شرطة ولا كاتب ولا قائد فأى شيء أقلدك؟ قال: لا أدري، ما شئت. قال: أقلدك القضاء ! قال: قد رضيت. فلما ولى الوزارة وهب له وأحسن إليه وقلده قضاء البصرة وواسط وسبع كور الأهواز وقره عن ذلك. فانحدر أبو أمية إلى أعماله، فأراد أن يغطي نقصه في نفسه وقلة علمه، ويصل ذلك بشيء يتجمل به [أمام الناس] ففعل عن الأموال فما أخذ شيئاً، وتصون وتوقر واقتصر على الأرزاق وصلات ابن الفرات الدارة، فستر ذلك جميع عيوبه. وتناوله الشعراء ، فقال فيه القطراني البصري :

عـبـثـ الـدـهـر بـنـبـا والـدـهـر بـالـأـحـرار يـعـبـث
مـن عـذـيرى مـن زـمـان كـل يـوم هـو أنـكـث
مـا ظننـا أننـا نـبـقى وأن نـحـيـا ونـلـبـث
فـنـرى الأـحـوص يـقـضـي وأبـا عـيـسـى يـحـثـث

237 - كان القاضي محمد بن البشير: قد عزله الأمير، فحلف بطلاق زوجته وعق رقيقه أن لا يلي القضاء أبداً ! فلما عزم عليه الأمير بعد ذلك، خنت في أيمانه فطلق الزوجة وأعتق الرقيق . وأخلف له الأمير كل ذلك بعد أن أعلمه به !!

أبو العباس بن عبدون القاضي: ولاه الأمير إبراهيم بن أحمد القضاء ثم عزله وكان في قضائه قد استطال على طبقة المدنيين وامتهنهم وضرب جماعة! وكان إبراهيم بن أحمد يقول بعد عزله له: لو ساعدته لجعلت له مقبرة على حدة !!

ابن عمير القاضى: كان مليا بخيلا، فقال له ابن أخيه يوما: يا عم، إنك من الأملياء الكبار، وأنت لا تنتفع بمالك، فما فضلك على الفقير؟ فقال له: إذا خاف الفقير أمنت أنا !

القاضى محمد بن عمر المروزى: من أهل القيروان كان من روافض الشيعة، تطاول على رجال صالحين فضر بهم وحبسهم، ووضع القوم المحبوسون أيديهم فى الرفع عليه بارتشاء واقتناء الأموال وأكثروا من ذلك، فوصى إليهم محمد بن أحمد البغدادى إن كان عندكم سبب من قدحه فى الدولة فهو ينفعكم. فعطف القوم عليه من هذا الباب ، فعزله وعذبه ثم قتله ..

238 - ومات محمد بن عمر التبريزى الشافعى: قاضى بغداد، وله ثمان وستون سنة وكان ذا فنون ومروءة وذكاء، وكان يرتشى !

239 - ومن شعر العباس الخياط المصيصى فى أبي المخارق القاضى :

قاض لنا بالثغر لم يحكم إلا بحكم دنس مظالم
فى رأسه الدهر رصافية لم تخط فى القدم من القمم
تراه من شدة وسواسه يسعط مشدودا على سلم
ولم يزل دهرا بأغلاله يشغب فى الدير على مريم
من ثم يقضى بيننا دائما قضية الشيخ أبى ضمضم

240 — قال المؤمل :

لا تغضبن على قوم تحبهم فليس منك عليهم ينفع الغضب
ولا تخاصمهم يوما وإن ظلموا إن القضاة إذا ما خوصموا غلبوا
يا جائرين علينا فى حكومتهم والجور أقبح ما يؤتى ويرتكب
لسنا إلى غيركم منكم نفر إذا جرثم، ولكن إليكم منكم الهرب

241- قال الشاعر أبو الشرف الدجرجاوي، عن قاض، كان لا يفصل بين المتخاصمين، إذ كلما انفصل الخصمان، ردهما إلى التقاضى من جديد: منافق مظهره غير مخبره،

يبدى الزهد فى الدنيا ويظهر التنسك وكثرة التهليل، فهو من الذين يقولون ما لا يفعلون،
وضرب عن اسمه صفحا، إذ إن سماته تغنى عن ذكره :

قاضي إذا انفصل الخصمان ردهما إلى الخصام بحكم غير مُنْصَلِ
يُبدى الزهادة فى الدنيا وزُخْرُفُهَا جَهْرًا وَيَقْبَلُ سِرًّا بَعْرَةَ الْجَمَلِ
يُهْلَلُ الدهر لا فى وقت هَيْلَلَةٍ ويلزم الصمت وقت القول والعمل
وما أسمىه لكتى نعت لكم نصاً أدلُّكم فيه على الرجل

فاسم القاضي لم يذكره الشاعر، ولكن صفاته القبيحة تعرف به، وفى ذلك منتهى
التحقير له، فهو يقبل الرشوة مهما صغرت قيمتها، ولو كانت مقدار بعرة الجمال !! فالقاضي
ذو طبيعة ازدواجية متناقضة، فظاھر [فقط] يدل على ورعه وزهده فى الدنيا ..

242- ديوان محمد البغدادى الهاشمى :

رب قاض لا يشرب الخمر إلا من طريقين رشوة وعطاء
أحد القاضيين أنت وقلنا فيك ما شئت من جميل وثناء
أو كقاض يرشى صفائح سمن لا من السمن بل من الأقداء
كان لصا فصار قاضى لصاً سائلا عن ذخائر الأغنياء
وبحسب الخصمين رنة نقدين لديه عن حجة وادعاء
قاضى الأرض إذا ظلمت ضعيفا فرقيب عليك قاضى السماء
عندك السلطة التى كفلتها صفقة البيع فى الرشا والشراء
وحقوق الخصمين فى فم صوت لا يرى غاية لحسد الثراء
أقبح الظلم درء ظلم بظلم نكس الداء غلطة فى الدواء

243- ويبدو أن شرب الخمر والولع بالغلمان كان منتشراً فى العراق وبغداد خاصة،

القاضى أبو الحسين الأشنانى تولى قضاء المدينة وكان إليه الحسبة ببغداد، فكانت له أحاديث
قبيحة ذكرها الناس عنه، مما أدى إلى صرفه من القضاء بعد ثلاثة أيام فقط !! ورفع يده عن
النظر فى جميع ما كان إليه من توليه !!

وقيل : إن الناس سلموا عليه بالقباء إيماء إلى البغاء.

قال الدارقطني: كان يكذب ..

244- أنشد محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي المعروف بابن ربيعة، يهجو أبا العباس بن أبي الشوارب لما تقلد قضاء القضاة، وكانت العامة تلقبه بحدندل؛ لأنه لم يكن محموداً في القضاء منسوباً إلى الارتشاء في الأحكام :

خلعت على حدندل من مديحي قميصاً لا اكتسى رجل كساه
على نفسى دعوت لأن جهلي دعاني أن شرهت إلى نداءه
وكيف رجوت جوداً من عدوي ولم أغسل حسامى من دماه
وقال فيه :

ولقد جنى قاضى القضاة حسينُ نجُلُ أبى الشوارب
هَذَا الَّذِي هَتَكَ الشَّرَائِعَ بِالْبَدَائِعِ وَالْمَثَالِيبِ
هَذَا الْمُضْمَرُّ لِلْفُجُورِ وَلِلدَّمَاءِ بَغِيرِ رَاكِبِ

245- حدثنا محمد بن أبي عدى قال: كان [الأمير] القاسم بن محمد خاصم إلى قاض فقضى عليه، فعزل ذلك القاضى وجاء غيره فكان يقضى للقاسم ..

246 - عن أبي عمر الخطابي قال: مر حماد بن سلمة في المسجد وخالد ابن طليق جالس يقضى، فقال خالد للذى [على] رأسه: ادع لى أبا سلمة، فدعاه فجاء فقال له خالد: جفوتنا يا أبا سلمة وقعدت عنا، [وهو جالس] على وسادتين واحدة على الأخرى.

فقال له حماد: فما تصنع؟

قال: إني أريد أن يهابنى الخصم وشاهد الزور.

فقال حماد : اتق الله يعزك. وقام .

وقالوا : لما غلب عليه ابنه عمران وطليق، قال ابن مناذر :

أصبح الحاكم بالناس من آل طليق
ضحكة يحكم فى الناس بحكم الجاثليق

يبدع القصيد ويهوى فى ثنيات الطريق
أى قاض أنت للنقض وتعطيل الحق
أبدل الدهر وما الدهر علينا بشقيق
من عبيد الله ذى الأيدى وذى الرأى الرشيق
حكماً يخلط فى المجلس من عى وموق
يا أبا الهيثم ما كنت لهذا بخليق
لا ولا أنت لما حملت منه بمطيق
أنت فى المجلس كالركي ذى الرأس الخفوق
وقال :

إن كنت للسخطة عاقبتنا يا خالد فهو أشد العقاب
يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب
أصم أعمى عن طريق الهدى قد ضرب البول عليه الحجاب
كان قضاء الناس فيما مضى من رحمة الله وهذا عذاب
قال أبو بكر وكيع : وكان خالد تائهاً جاهلاً بالقضاء .

عن عبد الوهاب الثقفى قال : قال لى محمد بن سليمان الأموي: ما يكون من هذا
الجاهل من العجائب؟ فقلت له: إن هذا ينسى، فوكل به من يحفظه ويكتبه ويحصىه عليه، فوكل
به جماعة يكتبون عجائبه التى يحكم بها، فكان مما حفظوا عنه .

247 - خالد بن طليق : قاضى البصرة كان مشكوا من قبل أعيان البصرة فقد كانوا
يتهمونه بالكبرياء وبالجعل فى أمر القضاء وأنه لا يحسنه، فخرج وفد من ستة أفراد من أعيان
البصرة إلى المهدي وسألوه عزله فجمع المهدي بين خالد بن طليق والوفد، فطرح عليه عثمان
بن الربيع أحد أعضاء الوفد السؤال التالى لىبين للخليفة جهله فى أمر القضاء. فقال عثمان
لخالد: فلنبحث فى رجل ترك ثلاث بنات وأوصى بمثل نصيب إحداهن؟ فسكت ! فقال له
المهدي: أجب.

فلم يستطع. ثم قال عثمان: يا أمير المؤمنين، إنه سأله سائل عن أم النبي ﷺ فلم يدر ما اسمها ! فكتب له بعض من يعنى به في الأرض آمنة، فقال: أمية ! فعزله المهدي ..

248 - معاذ بن عثمان الشعاني: ولاة الأمير عبد الرحمن القضاء، فأقام قاضيا سبعة عشر شهراً ثم عزله، فقد كان يعجل بالحكومة فأحصى عليه في تلك المدة، سبعين قضية أنفذها، فاستنكرت منه ..

249 - محمد بن أبي الليث الخوارزمي قاضي مصر: كان الخليفة المتوكل إذا وقف على خيانة أو سوء خلق من أحد قضاة، كان يبالغ في عقوبته ليكون عبرة لغيره لأنه خان الأمانة، فعندما ثبت للخليفة المتوكل سوء أخلاق وخيانة قاضي مصر محمد بن أبي الليث الخوارزمي، أمر بأن تخلق لحيته وأن يضرب بالسوط، وأن يحمل على حمار ويطاف به في مدينة الفسطاط، فتم ذلك وبقي محبوساً ست سنوات ..

250 - حدثنا محمد بن علي بن أمية قال: كنا بحضرة المأمون بدمشق فغنى علويه:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي أتاك به الواشون حقاً كما قالوا
ولكنهم لما رأوك سريعة إلى تواصلوا بالنميمة واحتالوا
وقد صرت أذنًا للوشاة سمیعة ينالون من عرضي ولو شئت مانالوا

فقال المأمون لعلويه: لمن هذا الشعر؟ قال: لقاضي دمشق، فأقبل على أخيه المعتصم، فقال له: فليحضر الساعة، فأحضر شيخ خضيب ربعة من الرجال، فقال له المأمون: من تكون؟ فنسب نفسه، فقال: تقول الشعر؟ قال: قد كنت أقوله، قال: يا علويه أنشدته الشعر؟ فأنشده، فقال: هذا شعرك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ونسأؤه طواق وعبيده أحرار وماله في سبيل الله إن كان قال شعراً منذ ثلاثين سنة، إلا في زهد أو معاتبة صديق، قال: يا أبا إسحاق اعزله، فما كنت لأولى الحكم بين المسلمين من يبدأ في هزله وجده بالبراءة من الإسلام، ثم قال: اسقوه فأتى بقدح فيه شراب فأخذه بيده وهي ترعد، ثم قال: يا أمير المؤمنين الله الله ما ذقته قط، قال: أفحرام هو؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال المأمون: نجوت. ثم قال لعلويه: لا تقل برئت من الإسلام، ولكن قل:

حرمت منائي منك إن كان ذا الذي أتاك به الواشون حقاً كما قالوا

قال محمد بن الحسن المقرئ: هذا القاضي هو عمر بن أبي بكر الموصلي ..

251 - قال المسعودي: كان يحيى بن أكنم وقد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه، فقال المأمون: لو طعنوا عليه في أحكامه قبلت ذلك منهم، قالوا: يا أمير المؤمنين، قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر، واستفاض ذلك عنه، وهو القائل في صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم قوله المشهور، فقال المأمون: وما الذي قال؟ فدفعت إليه القصة فيها جمل مما رمى به وحكى عنه في هذا المعنى، وهو قوله :

أربعة تَفْتِنُ الحَاظِهِمَ فَعَيْنٌ مِنْ يَعْشَقِهِمْ سَاهِرَةٌ
فَوَاحِدٌ دُنْيَاهُ فِي وَجْهِهِ مُنَافِقٌ لَيْسَتْ لَهُ آخِرَةٌ
وَآخِرُ دُنْيَاهُ مُفْتَوِّحَةٌ مِنْ خَلْفِهِ آخِرُهُ وَآفِرَةٌ
وَتَالِثٌ قَدْ حَازَ كِلْتاهِمَا قَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَةِ
وَرَابِعٌ قَدْ ضَاعَ مَا بَيْنَهُمَا لَيْسَتْ لَهُ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٌ

فأنكر المأمون ذلك واستعظمه، وقال: أيكم سمع هذا منه؟ قالوا: هذا مستفاض من قوله فينا، فأمر بإخراجهم وعزل يحيى عنهم .

252 - وعن سعيد بن مريم: كنا عند المأمون فذكر يحيى بن أكنم، فقال: كأنك قد جيء به فضرِب. فقلت : يا أمير المؤمنين ذلك كان مقالاً قد قيل مثله في القضاة، فأما غير ذلك فمن الباطل والزور. فما مضى عليه شهر حتى أوقع به ..

253 - كان المأمون قد ولَّى يحيى بن أكنم قضاء البصرة، فحضره جحشويه الشاعر وشهد رجالان عنده من أهل العدالة والصلاح بمال على معية، واسم أحد الرجلين اللذين شهدا عند يحيى جوين والآخر عداس. على غلام أنهما رأياه يلاط به، وادعى الغلام أنهما قذفاه بالزنى فأراد أن يحدهما [ابن أكنم] فقال ابن أبي نعيم :

أَنْطَقْنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِخْرَاسِ بِحَادِثَاتِ أَطْلُنَ وَسَوَاسِي
يَا بَوْسُ لِلدَّهْرِ لَا يَزَالُ كَمَا يَرْفَعُ نَاسًا يَحِطُّ مِنْ نَاسٍ

لا أفلحت أمة وحق لها بطول لعن وطول إتعاس
 ترضى ببيحي يكون سائسها وليس يحيى لها بسواس
 قاض يرى الحد فى الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
 يحكم للأمرد الظريف على مثل جوين ومثل عداس
 فالحمد لله كيف قد ظهر الجود وقل الوفاء فى الناس
 أميرنا جائر وقاضينا يلوط والرأس شر ما راس
 لو قصد الرأس واستقام لقد قام على القصد كل مرتاس
 ما أحسب الجور ينقضى وعلى الناس أمير من آل عباس

254 - وضرب الدهر ضرباته فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه، ورخص له فى أمور كثيرة، فقال له يوما: يا أبا محمد، من الذى يقول :

قاض يرى الحد فى الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
 قال: ذلك ابن أبى نعيم يا أمير المؤمنين، وهو القائل :
 أميرنا يرتشى وحاكمننا يلوط والرأس شر ما راس
 قاض يرى الحد فى الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
 ما أحسب الجور ينقضى وعلى الأمة وال من آل عباس
 فأطرق المأمون ثم قال : ينفى ابن أبى نعيم إلى السند.

وكان يحيى إذا ركب مع المأمون ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية، وإذا كان الشتاء ركب فى أقبية الحز وقلانس السمر والسروج المكشوفة، وبلغ من إذاعته ومجاهرته باللواط، وأمره المأمون أن يفرض بنفسه فرضا يركبون بركوبه، ففرض أربعمئة غلام مردا اختارهم حسان الوجوه، فافتضح بهم.

وقال فى ذلك راشد بن إسحاق: يذكر ما كان من أمر يحيى فى الفرض :
 خلى انظرا متعجبين لأظرف منظر مقلته عيني
 لفرض ليس يقبل فيه إلا أسيل الخد حلو المقلتين

والأكل أشقر أكثمي قليل نبات شعر العارضين
يقدم دون موقف صاحبيه بقدر جماله وبقبح ذين
يقودهم إلى الهيجاء قاض شديد الطعن بالرمح الرديني
إذا شهد الوغى منهم شجاع تجدل للجبين ولليدين
يقودهم على علم وحلم ليوم سلامة لا يوم حين
وصار الشيخ منحنيا عليه بمدحه يجوز الركبتين
يفادهم إلى الأذهان صرعى وكلهم جريح الخصيتين
وفيه يقول راشد أيضا:

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهرا فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضى قضاة المسلمين يلوط

255- وقال أبو خالد القناديلي: شهدت المأمون وعنده عبادة المخنث وقد أمر يحيى

بن أكثم وقد وضع السرج، وشدوا حزامه ولبيه، فقال بعض الشعراء يهجو يحيى بن أكثم :

أرقه برح الهوى وسدمه ومله الحب فبات يألمه
طورا يعاتبه وطورا يشتمه مثل الحريق فى الحشا يضرمه
ففاضت العين بدمع تسجمه نمت عليه كل سوق يكتمه
وياح بالحب الذى يجمعه ويات والقلب يسامى هممه
من لمح قد تراه يرحمه أصبح بالبأساء عار أنغمه
طال تصابييه وطال سقمه وبلى الجسم ودقت أعظمه
يشهدنى الله على من يظلمه يمنع طعم الكرى ويحرمه
واه له يصرم من لا يصرمه أصبح هذا الدين رثا رمه
عطله الجور وطال قدمه سحت من الجور عليه ديمه

فباد مغنى ريعه وأرسمه إلا بقايا قوميه وجمعه
أوطنه الجور فأضحى معلمه يرود فيه شاءه ونقمه
من يشهد الجور فنحن نعلمه أنوك قاض فى البلاد نعلمه
يقول حقاً لا تعيث ترحمه مذولى الحكم أبيح حرمه
وانتهكت من القضاء حرمه واضطربت أركانه ودعمه
والله يبينه ونحن نهدمه ياليت يحيى لم يلبده أكثمه
ولم تطلأ أرض العراق قدمه ملعونة أخلاقه وشيئه
لا خلفه عاف ولا مقدمه يأتى ويؤتى وهو لا يستطعمه
أى دواة لم يلقها قلمه وأى بحر لم يردده علمه
دربه بالرهز حتى أحكمه وأى خشف لم يبيت يستطعمه
يغكمه هذا وهذا يعكمه كلاهما يأتى كثيراً مأثمه
والله والله لقد حل دمه لو أن للدين عمادا يدعمه
يعدل عنه الميل أو يقومه لكان قد رن عليه مأثمه
أرجو ويقضى الله لا يسلمه من وجهه هذا ولكن يقصمه

256- اصطبح المأمون وعنده عبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم [القاضى] !! فغمز

المأمون الساقى على إسكار يحيى فسقاه حتى تلف، وبين أيديهم ردم فيه ورد، فشقوا له فيه شبه
الحد ودفنوه فى الورد [فلما] أفاق يحيى وهو تحت الورد أنشأ يقول :

يا سيدي وأمير الناس كلهم قد جار فى حكمه من كان يسقيني
إنى غفلت عن الساقى فصيرني كما ترانى سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضاً قد وهى جسدي ولا أجيب المنادى حين يدعوني
فاختر لبغداد قاض إننى رجل الراح يقتلنى والعود يحييني

257- عن محمد بن الحارث بن بسخر: أنه كان هو ومخارق وعلويه جلوسا في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سواده وطويلته ويده في يد إسحاق يماشيه حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد علويه أن يخن وقال: يا قوم أسمعتم بأعجب من هذا، يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغن حتى يجلسا بين يدي الخليفة .

258 - أخبرنا الحسن المقدام قال: استعدى ابن عمار ابن أبي الخطيب، يحيى بن أكثم على ورثة أبيه وكان بارع الجمال فقال له: أيها القاضي أعدني عليهم؟

قال: فمن يعدني أنا على عينيكَ؟

قال: فهربته أمه إلى بغداد !

فقال لها وقد تقدمت إليه: والله لا أنفذت لكم حكما أو لتردنه، فهو أولى بالمطالبة منك .

- أحمد بن يونس الضبي قال: كان زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن أكثم القاضي، وكان غلاما جميلا متناهي الجمال، فقرص القاضي خده فخنجل واستحيا، فطرح القلم من يده فقال له يحيى اكتب ما أُملي عليك:

أيا قمرا خمشته فتغضبا فأصبح لي من تيهه متجنبا

إذا كنت للتخميش والعشق كارها فكن أبدا يا سيدي متقبلا

ولا تظهر الأصداء للناس فتنة وتجعل منها فوق خديك عقربا

فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا وتترك قاضي المسلمين معذبا

259 - وعزل يحيى بن أكثم قاضيا كان له على حمص من أهلها، فلما قدم إليه رأى شيخا وسيما فقال له: من جالست يا شيخ؟ فقال: أبي. فظن أن أباه من أهل العلم. قال: فمن جالس أبوك؟ قال: مكحول. قال: فمن جالس مكحول؟ قال: سفيان الثوري. قال: ما كان يقول أبوك في عذاب القبر؟ قال: كان يكرهه ..

- لما خرج المأمون إلى فم الصلح لينقل بوران بنت الحسن، إذا جماعة على الشط وفيهم رجل ينادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين، نعم القاضى قاضى جبل، جزاه الله عنا أفضل ما جرى أحدا من القضاة، فهو العفيف النظيف الناصح الجيب المأمون الغيب .
وكان يحيى بن أكثم يعرف قاضى جبل وهو ولاء وأشار به . وإذا هو القاضى نفسه ! فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الذى ينادى ويثنى على القاضى هو القاضى نفسه. فاستضحك المأمون واستطرفه وأقره على القضاء. وقد كان أهل جبل رفعوا عليه وذكروا أنه سفيه حديد بعض رعوس الخصوم ..

260 - رضى المتوكل عن يحيى بن أكثم وولاه قضاء القضاة ثم ولاء المظالم، وكان يحيى بن أكثم أعور فولى يحيى بن أكثم قضاء الشرقية حيان بن بشر، وولى سوار بن عبد الله العنبرى قضاء الجانب الغربى، وكلاهما أعور، فأنشد عبد الله بن محمد الكاتب لدعبل:

رَأَيْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ قَاضِيَيْنِ هُمَا أُحْدُوثَةُ فِى الْخَافِقَيْنِ
هُمَا اقْتَسَمَا الْعَمَى نِصْفَيْنِ قَدْرًا كَمَا اقْتَسَمَا قَضَيْنَيْنِ
هُمَا فَالُ الزَّمَانِ بِهَلِكٍ يَحْيَى إِذَا افْتَتَحَ الْقَضَاءُ بِأَعُورَيْنِ !
فَلَوْ جُمِعَ الْعَمَى يَوْمًا بِأَفْقٍ لَكَانَا لِلزَّمَانَةِ خَلَّتَيْنِ
وَتَحَسَّبُ مِنْهُمَا مَنْ هَزَّرَ رَأْسًا لِيَنْظُرَ فِى مَوَارِيثٍ وَدَيْنِ
كَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ عَلَيْهِ دَنَاءً فَتَحَتْ بَزَالُهُ مِنْ فَرْدٍ عَيْنِ

261 - ولاية يحيى بن أكثم قضاء البصرة وكان يرمى بأمر غليظ فى غير باب الحكم، فأما فى الحكم فتهيأت أن يرام!! أخبرنى محمد بن الجهم السمرى صاحب الفراء قال: كان على قضاء البصرة يحيى بن أكثم، وعلى الشرطة محمد بن حرب الهلالى وعلى الصلاة عبد الله بن جعفر بن سليمان وعلى كورة حلة عمرو بن زياد الدهقان. فقال سهل بن هارون الكاتب:

أَثْبَنَا الْخُمْسَ وَالْمِائَتَيْنِ بِالشُّبُهَاتِ وَالْغُلَطِ
بِالسُّوْطِ عَلَى الْأَحْكَامِ مَأْمُونٌ عَلَى الشُّرْطِ
وَصَارَ عَلَى صَلَاةِ الْقَصْرِ أَحَدُ بَكْوَسِجٍ عُلْطِي
وَصَاحِبِ دَجَالَةِ الْغُورَاءِ كَشْحَانٍ مِنَ النَّبْطِ

وقال إبراهيم بن عمر بن حبيب: دخلت بيت نخاس ببغداد أعرض جارية، ومعى إنسان فمازح الجارية، فشتمته فقال :

اسـكـتـى لا تكلمـ يـا قـبـو حـيـة الفـم
لـيـس خـالـق بـمـشـتـريـك عـلـى ذـا بـدـرهم
قـد جـرت سـنة اللـواط بـيـحـيـى بـن أـكـثم

262 - قال الحسين بن محمد بن الفهم: كنت مع أبي عند يحيى بن أكثم وعنده سليمان الشاذكوي، فجعل يعارضه في كل شيء بشيء، فقال له يحيى: يا أبا أيوب لقد حدثني سليمان بن حرب أن بعض مشايخ البصرة يكذب في حديثه . فقال له سليمان : أعز الله القاضي، ولقد حدثني سليمان بن حرب أن بعض قضاة المسلمين يفعل فعلا عذب الله عليه قوما . [يشير إلى ما حدث لقوم لوط] ..

263 - كان يحيى بن أكثم يحسد حسداً شديداً وكان مفنناً، فإذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سألته عن الحديث، فإذا رآه يحفظ الحديث سألته عن النحو ، فإذا رآه يعلم النحو سألته عن الكلام ليقطعه ويخجله، فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ، فناظره فرآه مفنناً، فقال له: نظرت في الحديث؟ قال: نعم، قال: فما تحفظ من الأصول؟ قال: أحفظ [عن] شريك عن أبي إسحاق عن الحارث أن علياً رجم لوطياً. فأمسك فلم يكلمه بشيء..

264 - قال أحمد بن عمران: كان يحيى بن أكثم يختلف إلى عبد الله الخريبي يسمع منه، فبلغ عبد الله أن رجلاً خاصم إليه فجلس متربعا فأمر به يحيى بن أكثم فأوذي! فلما مضى يحيى إلى الخريبي ليسمع منه، قال له: مسألة. قال يحيى: ماهي؟ قال: رجل صلى متربعا متطوعاً؟ قال: جاز. قال : شيء يقبل الله عز وجل الصلاة عليه لا تقبل أنت الخصومة عليه ! ثم ولاه ظهره وقال: عزم لى أن لا أحدثك. فقام يحيى وخرج ..

265 - وقال العباس: لما عزل إسماعيل [القاضي] عن البصرة مدحوه فقالوا: عفت عن أموالنا وعن دماننا، قال: وعن أبنائكم، يعرض بيحيى بن أكثم ..

266 - أبو الحسن عبد الودود بن عبد القدوس القرطبي: كان انتجع مصر معتقداً أنه يحمد بها وينال المراد، فاتفق لنكد الزمان وحظ الحرمان، أن ورد بعض ثغور مصر وبها رجل

[قاضى] يعرف باسماعيل بن حميد المنبوز بابن قادوس، وكان ممن يهتم بالجمع والادخار، ويدين بعبادة الدرهم والدينار، لا تندى حصاته ولا يظفر بغير الخيبة عفاته، ولا يرشح له كف ولا يعرف له عرف، إلا أن له رواء وجدة وبينين وحفدة، يطمع الغر في نواله ومنال النجم دون مناله، فقصده عبد الودود بقصيدة جيدة ومدايح أرق سلكها وأجاد سبكها وتأنق في وشيها وحبكها، وظن أن سهمه قد أصاب الغرض وقرطس وأنه يفوز بأكثر ما التمس، فكان بارقه خلها لا يجود بقطرة وشرابه سرايا بقفرة، ولما تحقق إكداء كده وصلود قدحه في مدحه قال :

شقى رجالٌ ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام
وليس رزقُ الفتى من حسنِ حيلته لكن جُوداً بأرزاقٍ وأقسام
كالصيد يُحرّمهُ الرّامى المُجيد وقد يرمى فيُرزّقه من ليس بالرامي
وقال في هجو ابن قادوس :

تسلّ فلأَيامٍ بِشَرٍّ وتعبيسُ وأيقنْ فلا النعمى تدومُ ولا البوس
صديتْ على قُربٍ وخلقك عسجد ومِلتْ إلى لُغوٍ ولفظك تقديس
يعز على العلياء كونك عارياً ويلبس من أثوابك الغاب والخيس
ترحلّ إذا ما دنّس العزّ ملبسٌ فغيرك من يرضى به وهو ملبوس
وما ضاقت الدنيا على ذى عزيمةٍ ولا غرقتْ فُلك ولا نفقتْ عيس
وكم من أخى عزم جفثه سُعوده يموّت احتراقاً وهو فى الماء مغموس
تُفلّ السيوف البيضُ وهى صوارم ويرجع صدر الرمح والرمح دغيسُ
ولو أناسٌ زينوا بسعادةٍ لما ضرّ تربيع ولا سرّ تسديسُ
ولكن فى الأفلاك سرّ حكوميةٍ تحيّر بطليموس فيها وإدريسُ
أفاضت سُعوداً بالحجارة دونها يُطافُ سُبوعاً حولها الغلبُ والشّوسُ
وصار فلاناً كلّ من كان لم يكن ودان له بالرقّ قوم مناحيسُ
فحقّق ولا يغررْكَ قولٌ ممخِرِقٍ فأكثر ما يُدعى إليه نواميسُ

أَفِيقُوا بَنَى الْأَيَّامِ مِنْ سِنَّةِ الْكَرَى وَسِيرُوا بِسِيرِ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ مَعَكُوسٌ
هِيَ الْقِسْمَةُ الضَّيِّزَى يُخَوِّلُ جَاهِلٌ وَذُو الْعِلْمِ فِي أَنْشُوطَةِ الدَّهْرِ مَحْبُوسٌ
وَارِضَاءُ ذِي جَهْلٍ وَإِسْخَاطُ ذِي حِجَى نِعَاجُ مِيَاسِيرٍ وَأَسَدٌ مِفَالِيسٌ
خُذِ الْعِلْمَ قَنْطَارًا بِفَلَسٍ سَعَادَةٍ عَسَى الْعِلْمُ أَنْ يَفْنَى فَيَمْتَلِئَ الْكَيْسُ
وَمُنْذُ لَقَّبَ الْفَرْدَ الْقَصِيرَ مُوَفَّقًا هَذَى الدَّهْرِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الْوَسَاوِيسُ
وَقَالُوا سَدِيدُ الدَّوْلَةِ السَّيِّدُ الرِّضَى فَأَكْثَرَ حُجَابٍ وَشَدَّدَ نَامُوسُ
وَأَعْجَبُ مَنْ ذَا أَنْ يَلْقَبَ قَاضِيًا وَأَكْثَرُ مَا يَجْرَى مِنَ الْحُكْمِ تَلْبِيسُ
وَأَصْدَقُ مَا نَصَّ الْحَدِيثُ فَكَاذِبٌ وَأَطْهَرُ مَا صَلَّى الصَّلَاةَ فَمَنْجُوسٌ
وَأَعْرَفُ مِنْهُ بِالْفَرَاخِ رَاهِبٌ وَأَفْقَهُ مِنْهُ فِي الْحُكُومَةِ قَسَّيسُ
وَمَا الْعَبْنُ إِلَّا أَنْ تُحَكَّمَ نَعْجَةٌ وَضَرْغَامُ أَسَدِ الْغَابِ فِي الْغِيلِ مَفْرُوسُ
وَمَا لِي فَوْقَ الْأَرْضِ مَغْرَزُ إِبْرَةٍ وَتُحْمَلُ دُمِيَاطُ إِلَيْهِ وَتَنْتَيسُ
مَصَائِبُ مَنْ يَسْكُتُ لَهَا مَاتَ حَسْرَةٌ وَمَنْ ثَقُلَهَا بَنَاءً يَمُتُ وَهُوَ مَبْخُوسُ
وَفِي جُورِهِ هَذَا الدَّهْرُ مَا بَأَقْلَهُ سَيُضْرَبُ فِي أَرْجَاءِ مَكَّةَ نَاقُوسُ
وَيُبْتَاعُ مِسْكٌ بِالْخِرَاءِ مَدْنَسٌ وَيُعْبَدُ خَنْزِيرٌ وَيُرْسَلُ جَامُوسُ
وَقَالُوا ابْنُ قَادُوسٍ فَلَا قَدَسَ اسْمُهُ وَمَنْ هُوَ قَادُوسٌ فَلَا كَانَ قَادُوسُ
أَيَا مَنْ غَدَا ضِدًّا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَمَنْ نَجْمُهُ فِي طَالِعِ السَّعْدِ مَنَكُوسُ
بِنَفْسِي مَنْ أَصْبَحَتْ فِي حُكْمِ فَضْلِهِ يَقَالُ حَمَارٌ وَمَجْرِيْسُ
وَأَخْشَى الَّذِي يَخْشَى عَلَيْكَ بَأْنَ تَرَى وَكَعْبِكَ مَرْفُوعٌ وَرَأْسُكَ مَعَكُوسُ
وَقَدْ قُلْتُهَا هَجُوءًا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ فَلَا يَدْخُلُنْ رَيْبٌ عَلَيْكَ وَتَلْبِيسُ
أَبَا الْفَضْلِ إِنْ أَصْبَحْتَ قَاضِيًا أُمِّ وَلِلْحُكْمِ فِي أَرْجَاءِ دَارِكَ تَعْرِيسُ
فَإِنَّ قَرِيضَى بَيْنَ أَذْنَيْكَ دَرَّةٌ وَإِنَّ هَجَائِي فِي دِمَاغِكَ دَبَّوسُ
وَرَأْسِي وَمِثْلَا شَرِّهِ سَفْنٌ خَرْدَلٌ أَيُورُ بَغَالٍ فِي حَرَامِكَ مَدَسُوسُ
تَجَمَّعَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمَلَةٌ فَخَيْرِي جَبْرِيلُ وَشَرِّي إِبْلِيسُ

أطاعه في هذه القصيدة الطبع الجافى وجاد بالكدر خاطره الصافي، وأبان فيها عن رقة دينه وتلهله وعدم عبوس بؤسه بشر الفضل في تملله ..

267 - ولبعض الشعراء في الربيع بن عبد الله المدائني [القاضي] وكان ولي اليمن: [وقيل في سعيد بن سليمان القاضي] :

قل للإمام جزاك الله صالحه هل أنت مبدلنا بالجاهل الجافي
قاض يكاد إذا لاذ الخصوم به يطير من حدة فيه وإسفاف
لا والذي هو أهدى العدل منك لنا لا يطمع الخصم إن أدلى بإنصاف
كأنه حين يحزوزى لمجلسه بختية بعثت من بيت علاف

268 - عن مروان الظافر قال : دخل هارون الرشيد إلى حمص فدعا قاضيها فقال ما

اسمك؟

قال : غزيل، قال: ما كنتك؟ قال: أبو المعشق .

قال: ما كتبت على خاتمك؟

قال: ثبت الحب ودام وعلى الله التمام!

قال: فعزله هارون وقال: لا ألوم أهل حمص أن يخرجوا عليّ إذا كان قاضيهم مثلك ..

269 - عن علي بن حجر قال : كان علي أهل الرى قاض يكنى أبا حرزة، فاختصم

إليه قوم في عقد من لؤلؤ وجوهر، فوضع بين يدي القاضي وهم يختصمون، فأخذ القاضي حرزة منها فوضعها في فيه ثم استرطها ! وأعرابي ينظر، ففطن له فقال :

دعوت رب شعيب أن ينجيني من كورة يبعر الياقوت قاضيها

إن الذي كان أوعاها فأخرجها دلت على غدرات كان يخفيها

270 - [ومما جاء في القاضي الذي لا يرضى بالصلح بين الخصمين]: لقي ثعلب

عراقي ثعلبا شاميا فقال: عرفني ما عندك من حيل ثعالب الشام؟ فقال: عندي مائة حيلة، فقال العراقي: والله لأصحبته حتى أستفيد منه فلزمه، فبينما هما كذلك وقد اصطحبا في سفر قال له

العراقي : يا أخي، إن لقينا الأسد كيف الحيلة في التخلص منه؟ قال: لا يهمنك أمره فإن عندى حيلة، فما انقضى كلامه حتى طلع الأسد، فقال العراقي للشامي: خذ في الحيلة، قال: والله ما عندى حيلة في هذا الوقت، قال: إنا لله، ولم أخطرت بنفسك وغررت أخاك؟ الآن لا تنطق بحرف، فلما دنا الأسد قال لهما: من أين أقيمتما؟ قال العراقي: إياك أردنا وإليك قصدنا، قال: في ماذا؟

قال: إن أخي هذا يكون بالشام وأنا بالعراق في مالي، وإن أبانا مات وورثنا شويها، فجاء أخي هذا يريد أن يذهب بها فقلت له: هلم إلى سيد السباع ليحكم بيننا، فمهما قال التزمناه، وكان الأسد جائعا فقال في نفسه: لا أعجل في أكل هذين، لكن أصبر عليهما ساعة حتى أقف على أمر الغنم وهما في قبضتي.

قال: أين الشياه؟ قالوا: في هذا البستان، وأشارا إلى بستان حصين له مجرى ماء ضيق، وقال أحدهما: أرسل أخي حتى يخرج الغنم فيقسمها الملك، قال: نعم. فقال للشامي: ادخل وأخرج الغنم وعجل، فدخل الشامي وأقبل يأكل من الثمار، فلما أبطأ قال العراقي: قد قلت للملك إنه ظالم، فتأذن لي حتى أدخل خلفه وأخرجه إليك مع الشاء ذليلا؟

قال: ادخل وعجل، فدخل الثعلب البستان وأقبل يأكل من الثمار حتى شبع، ثم أشرف من الحائط على الأسد فقال له: يا أبا الحارث، اعلم أنا قد اصطلحنا فامض في دعة الله، فجعل الأسد يضرب بذنبه الأرض ويستشيط، فقال له الثعلب: إنما أنت قاض وما رأيت قاضيا يغضب من الصلح غيرك ..

271 - قال ابن عروس :

وخبرت أنك قاضى البلاد فسبحان من حكمه يعدلُ
وكيف يديرُ أمرَ البلاد فتىً أمرُ منزلِهِ مهمَلُ
كفى من تواضعه أنَّه لسائسه أبداً أسفَلُ

272 - قال أبو عثمان الجاحظ: كان فزارة صاحب مظالم البصرة، وكان أطول خلق

الله لحية وأقلهم عقلا، وهو الذى قال فيه الشاعر :

ومِن المَظالمِ أنْ وليت على المَظالمِ يا فزارة

أخذ الحجام يوماً من شعره فلما فرغ دعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام: أما شعر رأسي فقد جودت أخذه، ولكنك والله يا ابن الخبيثة سلحت عليّ شاربى ووضع يديه عليه.

وسمع فزارة يوماً صياحا فقال: ماهذا الصياح ؟

فقالوا: قوم يتكلمون فى القرآن .

فقال: اللهم أرحنا من القرآن!

واجتاز به صاحب دراج فقال: بكم تباع هذا الدراج؟

فقال: واحد بدرهم، قال: لا، قال: كذا بعت، قال: نأخذ منك اثنين بثلاثة دراهم،

قال: خذ، فقال: يا غلام أعطه ثمن اثنين ثلاثة دراهم فإنه أسهل للمبيع ..

273 - قال صاحب فى قاض: يخطب خطب العشواء ويحكم حكم الورهاء ويناسب

أخلاق النساء. وكان أحمد بن الخصيب [القاضى] : إذا ضجر ممن يناظره رفسه !! فقال فيه شاعر يخاطب المنتصر :

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكُ وزيرك، إنه رَكَّالٌ
قد أحجم المتظلمون مخافة منه وقالوا ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله أودام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصّادور مجال
أشكله عن ركل الرجال فإن ترد مالاً فعند وزيرك الأموال

274 - قال المصمى [فى أحد القضاة] :

أفّ لقاضٍ لنا وقاح أضحى بريئاً من الصّلاح
وليس فى الرأس منه شيء يـدور إلا أبـور يـاح
كأن قبلةً عليه غرابٌ نوح بلا جناح

275 - وقال شاعر فى [قاضى يحكم وهو الظالم] :

أنت أميرٌ على مقتدر حكمك فى قبض مهجتى ماضى
والخصم لا يرتجى الفلاح له يوماً إذا كان خصمه القاضى

276 - قال البسامي :

إذا أهل الرشا صاروا إليه فأحظى القوم أوفرهم بضاعة
فلا رجم يقربهم إليه سوى الورق الصحيح ولا شفاعه
وليس بمنكر هذا لديه لأن الشيخ أفلت من مجاعه

— وفي ذم موالاة القضاة قيل: إذا رأيت الرجل على باب القاضى من غير حاجة
فاتهمه .

وكتب بعضهم إلى عامل له: ابعث إلى بمائة رجل كلهم يستحقون القتل لأجرب
عليهم سيوفا ابتعتها، فإن لم تجدهم في حبسك [العدد] فتمم من أصحاب القاضى فإنهم
يستحقون القتل !!

277 - قاضى القضاة شمس الدين الهروي: كانت العوام تكرهه بشدة لفساده وسوء

أخلاقه، ولما كان يقع منه من الأمور القبيحة ، من أخذ الرشاوى واخابة للأقارب ، والجور
والعسف الشديد مع أصحاب الميراث، وازداد طغيانه، حتى ثبتت عليه أمور فاحشة السكوت
عنها أجهل، وتحرك العوام وثاروا على الظلم وتوجهوا من فورهم بجماعة من أعيانهم وطلبوا من
السلطان المؤيد عزل هذا القاضى الفاسد، فأمر السلطان بإحضاره وأجرى معه تحقيقا فيما
نسب إليه من المنكرات والالتزامات، فثبتت عليه التهم ، فأهانته السلطان إهانة شديدة بالغ فيها
ثم أمر بعزله، فعندما خرج من قصر السلطان قام العوام برجمه ولولا أن الحراسة كانت معه
لقتلوه. توجه السلطان المؤيد بعدها لأداء الصلاة بالجامع ، وطلب قاضى القضاة، جلال الدين
البلقينى ليتولى المنصب وذلك بناءً على رغبات العوام، فلما تسامع الناس بذلك ارتجت له
القاهرة وخرج العوام والقاهرة بأسرها، وأوقدوا له الشموع على الدكاكين، ووقفوا له
بالطريق يحملون مجامر البخور والعطور وكان يوماً مشهوداً، وأكثر الناس من الدعاء للسلطان
على عزل القاضى الفاسد.

ومن الأمور العجيبة أن القاضى الفاسد الهروي: وقد ثبت عليه أنه قد اختلس من المال
العام وسجن بسبب ذلك حتى أعاد ما أخذه وأفرج عنه، فخرج متوجهاً للشام وظل يتربص
للوثوب مرة أخرى على تلك الوظيفة ! فمكث في القدس، فلما تولى الأشراف برسباى

السلطنة في مصر عاد فطلب منه أن يوليه القضاء، فرفض وعينه في كتابة السر، فعاب الناس عليه ذلك، بعد أن كان قاضى القضاة يقوم له السلطان أصبح واقفًا على أقدامه في خدمة السلطان ليلاً ونهاراً. وحقا إذا لم تستح فاصنع ما شئت، والعجيب أنه ما زال يعمل جاهداً بالمكيدة والخداع حتى أعيد مرة أخرى إلى القضاء !!

278 - في حديث خباب أنه رأى ابنه مع قاض فأخذ السوط وقال: أمتع العمالة ! هذا قرن قد طلع العمالة الجابرة. ويقال لمن يخدع الناس ويخلبهم: عملاق والعملاقة: التعمق في الكلام أو بالذين يخدعونهم بكلامهم وهو أشبه ..

279 - ول بعضهم في ذلك :

إن القضاة ثلاثة بصعيدنا قد حققوا ما جاء فى الأخبار
قاض بأسنا قد ثوى فى جنة والقاضيان كلاهما فى النار
هذا بحسن صفاته وفعاله وهما بما اكتسبا من الأوزار

280 - ولبيدع الزمان الهمدانى:

يا من يلى أمر القضاء وذاك من سوء القضاء
ويل لقاضى الأرض يوم الدين من قاضى السماء
كم من يتيم قد حشوت غناه فى ذاك الوعاء
ولرب ثكلى قد تركت بعينها أثرا بالبكاء
فسمنت من هزل اليتيم نعم ومن غزل الإمام

281 - بلال بن أبي بردة أول قاض جار فى القضاء : أخبرنا أبو أحمد بإسناده أن رجلا قدم إلى بلال رجلا فى دين له عليه ، فأقر الرجل به، وكان بلال يعنى بالرجل فقال المدعي: يعطينى حقى أو تحبسه بإقراره ، قال القاضي: إنه مفلس، قال: لم يذكر إفلاسه، قال: وما حاجته إلى ذكره، وأنا عارف به؟ فإن شئت أحبسه فالتزم نفقة عياله، قال: فانصرف الرجل وترك خصمه وكان بلال معروفا بالجور .

وعن أبي عمرو الضرير قال: أمر بلال داوود بن هند أن يحضره عند تقدم الخصوم إليه، فإن حكم بخطأ رمى بحصاة فيرجع بلال قال: فتقدم إليه مولى له ينازع رجلاً، فحكم لمولاه ظلماً.

فرمى داوود بحصاة فلم يرجع، ثم بأخرى .

فقال له بلال: ليس هذا مما يرمى له الحصاة، هذا مولاي!!

وكان يقول: ربما تقدم إلى الخصمان، فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فأحكم له. ومما هجاه به يحيى بن نوفل:

وأما بلال فبئس البلال أرانى به الله داءً عضالاً
فلو أنه قد كساه الجذام فجلبله من أذاه جاللاً
ولو قد جرى فى عروق الشئون فأورثه بحة أو سعالاً
لعداد بلال إلى أمه مقفوعة ومخا خبالاً
هما المعجبان فأما العجوز فتؤتى النساء معا والرجالا
وأما بلال فذاك الذي يميل به الشرب حيث استمالاً
فيصيح مضطرباً ناعساً تخال من السكر فيه احوالاً
ويمشى بزيف كمشى النزييف كأن به حين يمشى شكالاً

وقال :

أقول لمن يسائل عن بلال وعبد الله عند ثنا الرجال
بلال كان ألام من رأينا وعبد الله ألام من بلال
هما أخوان أمّا ذا فجون وأمّا ذا فأصهب ذو سبال
فجونهم يشبه نسل حام وأصهبهم يشبه بالموالي
وكان أبوهما فيمن رأينا أسيل الوجه منسى الجمال
فقد فضحا أبا موسى وشانا بنييه بالتهور والضلال

وكان بلال محتالا خبيثا ..

282 - قال محمد بن واسع الأزدي: دخلت على بلال بن أبي بردة، فقلت له: يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: إن في جهنم واديا يقال له هبهب، حقا على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه. قال الأصمعي والعلاء بن الفضل عن أبيه: كان خالد [بن صفوان الأهم] يأتي بلالا في ولايته ويغشاه في سلطانه ويغتابه إذا غاب عنه ويقول: ما في قلب بلال من الإيمان إلا مثل ما في بيت أبي الورد الحنفى، وكان أبو الورد الحنفى مفلسا، فأخذه بلال، وخاف أن يقتله فسأله أن يطلقه فأبى بلال أن يطلقه إلا بعشر كفلاء، منهم نعيم بن صفوان، فكفلوا به على أنه إن غاب فعليهم مائة ألف درهم! إلا نعيما فإنه ليس عليه من المال شيء. فهرب خالد بن صفوان الأهم، فأخبرهم بلال فأخذ المائة ألف من التسعة الكفلاء، فقال خالد بن صفوان:

أَتِيحَ لَنَا مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ بَلالُ أَراحَ اللهُ مِنْهُ فَعَجَلَا

ومثلى إذا ما الداريوما نبت به دعا بجمال البين ثم تحولا

ويقال: قدم على بلال بن أبي بردة رجل بكتاب شفاعته من بعض أصحاب خالد [بن عبد الله القسرى الأمير] فحكم له على رجل بأرض واسعة ينتزعها من يد الرجل ظلما، فمكثت في يد الشفيع عليه زمنا ثم أتى بلالا فقال: خذها لي بغلاهما، فقال: أما ترضى أن آخذ لك منه الأرض بغير حق ثبت لك عليه حتى تطالبه بغلاهما، فانتزعها من يده وردها على الأول . وقال أبو عبيدة: لما ولّى خالد [بن عبد الله القسرى]، بلال بن أبي بردة القضاء، جعل بلال ينفذ أقضيته إلى سعد بن حيان اليمى، قال: وكان بلال ظلوما ما يبالي ما صنع في الحكم وغيره . وأخبرنا أبو خالد المهلبى يزيد بن محمد قال: حدثني أبي عن بعض شيوخنا، قال: كان لبلال بن أبي بردة وهو على البصرة بردون وبغل وكان يقول: لولا أن يقتل دابة رجل فيحتاج إلى واحدة غيرها ما اتخذت إلا واحدة .

283 - خاصم رجل خالد بن صفوان إلى بلال بن أبي بردة القاضي، فقضى عليه. فقام خالد وهو يقول: سحابة صيف عن قليل تنقشع. فقال بلال: أما أنما لا تنقشع حتى يصيبك منها شؤبوب وأمر به إلى الحبس . فقال خالد: علام تحبسنى؟ فوالله ما جنيت جناية! فقال بلال: يخبرنا عن ذلك باب مصمت وأقياد ثقال وقيم يقال له حفص ..

284 - ذكر أبو بكر محمد وكيع في كتاب أخبار القضاة: القاضي أبو عبد الله بن

عبد الله، قال إنه شهد بلال بن أبي بردة في منزل الحسن، فأقبل عليه الحسن فقال: قال رسول الله ﷺ: يا فلان إني أريد أن أبعثك على قرية، ولم يسم أية قرية، قال: يا رسول الله خرو لي؟ قال: فإني أختار لك أن تجلس وهو يعمل لرسول الله. وقال هشام بن قحزم: كان بلال قد خاف الجذام، فوصف له السمن يستنقع فيه فكان يفعل، ثم يأمر بذلك السمن فيباع، فتجنب الناس شراء السمن بالبصرة !

وقال ثمامة: كان بلال بخيلاً على المال والطعام، يعمل له الطعام الكثير فإذا غربت الشمس أو تغرب وضع الموائد، فإذا مد الناس أيديهم أذن المؤذن، فقام وقام الناس وانتهت الموائد، فأصبح جيرانه يشترون ذلك الطعام ممن انتهبه !

قال علي بن محمد: كتب خالد بن عبد الله القسري إلى بلال بن أبي بردة يأمره بتولية رجل قد سماه، فبعث إليه بلال يدعوه فألقاه رسوله قائماً يصلي، فقال: أجب الأمير، فقال: أفرغ من صلاتي ثم آتبه، فجاء الرسول إلى بلال فأخبره، فقال: ارجع إليه فقل له: إن الأمر الذي كنت تصلي له قد أتاك فعجل الخيء، يعنى أنه كان يرأى ليولى، قال: وكان بلال أحد المرائين .

وعن يعقوب بن عبد الرحمن القاري قال: قدم بلال بن أبي بردة على عمر ابن عبد العزيز بخصاصة، وأعجب به عمر بما رأى من سمته وصلاته، وكان ذا عمامة سوداء يسدلها من بين يديه ومن خلفه، فهمَّ عمر أن يستعمله ثم خشى أن يكون باطنه خلاف ظاهره، فدرس إليه مزاحماً مولاه وقال له: انظر لي من أمره واعرف خبره؟

فأتاه مزاحم وأنسه وقال له: ما لي عندك إن استعملك أمير المؤمنين [علي] العراق؟

قال: مائة ألف أعجلها ومائة ألف درهم تأتيك!

فأتى مزاحم عمر فأخبره، فأمر به عمر فنحى من خصاصة [أى طردة] وقال: لا يبيتن في عسكري، وكتب إلى عدي: أحذرك بلالاً، بلال الشر فلا تستعمله، ولا عينه بن أسماء، وحوشب بن يزيد، فإنهم من بقايا الشر.

حدثنا أبو زيد الأنصاري قال: كان في المسجد رجل أحسبه ابن أبي علقمة، فلما ولي بلال بن أبي بردة أرسل إليه، فلما وقف بين يديه قال له: يا ابن أبي علقمة أتدري لم أرسلت إليك؟ قال: لا، قال: أرسلت إليك لأسخر بك، فقال له ابن أبي علقمة: لئن قلت ذلك لقد سخر أحد الحكمين بصاحبه.

قال: فلعله ابن أبي بردة وأمر به إلى الحبس، فمكث فيه أياماً ثم أخرجه، فلما وقف بين يديه قال ابن أبي بردة: يا ابن أبي علقمة ما هذا في كمك؟

قال: طرف من طرف السجن، قال: ألا تهب لنا منه شيئاً؟ قال: هذا يوم لا نأكل فيه ولا نعطي، وعرض بجدته أم أبي بردة، كانت يهودية من أهل سورا.

وقال يحيى بن نوفل [في] بلال :

تقول هشيمة فيما تقول مللت الحياة أبا معمر
ومالي إذا لا أمل الحياة وهذا بلال على المنبر
وهذا أخوه يقود الجيوش عظيم السرداق والعسكر
دقيقين لا حرمة يعرفان لجارولا سائل معترى
وقال :

أشبهت أمك يا بلال لأنها نزعتك والأم اللئيمة تنزع
أشبهتها شبه العبيد أمه أفمثل ما صنع العبيد تصنع
ولدتك إذ ولدتك لا متكرماً عفاً ولا بجلال ربك تقنع
ووليت مصرأ لم تكن أهلاً له ومن الولاية ما يضروينفع

وقال المدائني: نظر رجل إلى بلال يطيل الصلاة فأرسل إليه: والله لو صليت حتى تموت ما وليتك شيئاً، فقال بلال للرسول: قل له: والله لئن وليتني لا تعزلي أبداً، فأرسل إليه فولاه .

قالوا: وقدم رسول خالد [بن عبد الله القسري] على بلال يريد السند، فنظر الرسول إلى رجل قاعد قبالة دار بلال في ظل وعليه مظلة، فأقبل على بلال فقال: أما ترى الرجل الجالس في الظل وعليه مظلة؟

قال: بلى. قال : فأني أحب أن تأمر بحبسه !

فأقام في السجن لا يسمع منه شيء حتى قدم الرسول من السند فقال لبلال: ما فعل الرجل المحبوس؟

قال: على حاله، فأرسل إليه، فقال: علام حبستني أصلحك الله؟

قال: لا أدري والله سل هذا ! فقال للرجل: لم حبستني؟ قال: لأنك في الظل وعليك مظلة.

قال مالك بن دينار، لما ولي بلال بن أبي بردة: يا لك من أمة هلكت ضياعاً، ولي أمرك بلال .

أخبرنا معمر، أن رجلاً من العرب صك وجه الخطاب بن قتادة، فاستعدى عليه بلال بن أبي بردة، وهو على البصرة فلم يعنه عليه لأن الرجل كان له صديقاً، فركب قتادة إلى خالد بن عبد الله القسري وهو بواسط فذكر ذلك له، فكتب خالد [بن عبد الله القسري] إلى بلال بغيظ وشتمه، ويقول: جاءك قتادة فلم ترفع به، فإذا جاءك بكتابي هذا فأقده من صاحبه. فلما قرأ الكتاب أحضر الرجل واجتمع الناس فكلّموا قتادة فأبي، فقال له بلال: فدونك، فمشى هو وابنه حتى وقف على الجبل، وقال لابنه: أي بني صك واشدد، فلما رفع يده أمسكها [قتادة] وقال: فدعها لله ..

285 - عامر بن عبد الله بن قيس أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري، كان أبوه صاحب رسول الله ﷺ قدم عليه من اليمن في الأشعرين، وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة، وكان أبو موسى تزوج في عمله على البصرة طفية بنت دمون، وكان أبوها من الطائف، فولدت له أبا بردة وسماه أبوه عامراً، واسترضع له في بني فقيم، فلما شب كساه أبو شيخ ابن الغرق بردتين وغدا به على أبيه، فكناه أبا بردة فذهبت اسمه، وكان ولده بلال قاضياً على البصرة .

وهم الذين يقال في حقهم : ثلاثة قضاة في نسق .

وقيل : جلس أبو بردة يوماً يفتخر بأبيه ويذكر فضائله وصحبه رسول الله ﷺ في مجلس عام وفيه الفرزدق الشاعر، فلما أطال القول في ذلك أراد الفرزدق الغض منه [أي من

بلال] فقال: لو لم يكن لأبي موسى منقبة إلا أنه حُجِمَ رسول الله ﷺ لكفاه، فامتنع أبو بردة من ذلك ثم قال: صدقت ولكنه ما حُجِمَ أحداً قبله ولا بعده، فقال الفرزدق: كان أبو موسى والله أفضل من أنه يجرب الحجامَة في رسول الله ﷺ. فسكت أبو بردة على غيظ ..

286 - قال جويرية بن أسماء: تقدم رجلان إلى سعد بن إبراهيم [قاضى المدينة زمن هشام]، فأمر بأحدهما أن يضرب، فقال: لأى شيء ضربتني؟ فقال: لسماعتك، وكان المضروب يسمى ابن سلم، فقال الشاعر:

ضرب الحاكم سعد ابن سلم فى السَّماجة
فقضى الله لسعد من أمير كل حاجة

وعن عبد الله بن محمد بن أبي سلمة العمري قال: كان سعد بن إبراهيم قد حكم على إنسان بالمدينة إذ كان قاضياً، فلما عزل عن القضاء جاء ذلك الإنسان فوضع يده على ثفر دابته وجعل يحرك الثفر، فقال له سعد: ما تريد؟ قال: أجمها فسكت عنه، ثم استقضى بعد ذلك، فدعا بذلك الإنسان فجلده عشرين سوطاً، ثم عزل سعد، فجاء ذلك الإنسان إلى منزل سعد يدق عليه الباب قبل أن يعلم سعد أن ابن حزم قد استقضى، فقال له سعد: من هذا؟ قال ساعى ابن حزم، ثم استقضى سعد بعد ذلك فجلده عشرين سوطاً، ثم عزل سعد بعد ذلك، فلقي ذلك الإنسان، فلم يكلمه الرجل !

فقال له سعد: مالك لا تصنع بعض ما كنت تصنع؟ قال: هيهات: درست التوراة بعدك، فوجدت بين كل سطرين منها سعد بن إبراهيم قاض. وأنشد موسى شهوات يهجو سعداً :

قل لسعد وجه العجوز لقد كنت لما قد أتيت سعداً مخيلاً
إن تكن ظالماً جهولاً فقد كان أبوك الأدنى ظلوماً جهولاً
وقال يهجوهُ:

لعن الله والعباد ثطيط الوجه لا يرتجى قبيح الجرار
يتقى الناس فحشه وأذاه مثل ما يتقون بول الحمار

لا يغرّنك سجدة بين عينيّه حذارا منها ومنها حذارى
إنها سجدة بها يخدع النَّاسُ عليها من سجدة بالدّبار
وقال أيضاً يهجوّه، وأنشدها عبد الله بن الحسن، عن النميرى :
هلال بن يحيى غرّة لا خفا بها على النَّاسِ فى عسر الزّمان وفى اليسر
وسعد بن إبراهيم ظفر موسى متى يستريح النَّاس من وسخ الظّفر

287 - وجاء فى كتاب الأغاني:

فمتى ينتصف المظالم والظالم القاضى

288- حدثنا أبو عبد الرحمن بشر بن آدم قال: سأل الأغصف [القاضى] مالك بن أنس عن مسألة فأجابه، ثم سأله فأجابه، فقال الأغصف: لم قلت ذلك؟ قال مالك: يا غلام خذ بيده فاذهب به، فلما ولى به الغلام قال له الأغصف: إني قاضى أمير المؤمنين قال: ذاك أهون لك علي، قال: يا أبا عبد الله لا أعود، قال: خل سيبله ..

289 - قال على بن الجعد: أرسل الرشيد إلى قاضى القضاة أبو يوسف، فى ساعة لم يكن يرسل إليه فى مثلها، قال أبو يوسف: فتحنطت وتكفنت ، ودخلت على أمير المؤمنين، فألفيته جالسا على طرف المصلى، وإذا بين يديه سيف مسلول، فسلمت فرد علىّ السلام وأدناي، فشم منى رائحة الحنوط، فقال: ما هذه الرائحة فأخبرته الخبر فاسترجع، ثم أمر بذلك فترع عنى وجاءنى بثياب فلبستها، ثم قال لي: تدري من خلف هذا الستر؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين، قال: إن خلفه أعز خلق الله تعالى علي، قال: فظننت أنها الخيزران، ثم قال: إني أودعتها عقودا لها مقدار وجوها له خطر، وإني فقدت منها عقدا، فحلفت بأيمان البيعة أنها تصدقنى عن خبره، فإن لم تصدقنى ضربتها بسيفى حتى أقطعها، قال أبو يوسف: قد أخرجك الله تعالى من يمينك، فمر بالسيف يرد إلى غمده، فأمر به فرد إلى غمده، فقلت: يا أمير المؤمنين سلها وعرفها يمينك، فسألها وغلظ عليها الأمر، قال: قل لها: لا تحييك حتى أقول لها، ثم قال لها أبو يوسف: أمسكي، ثم قال: يا أمير المؤمنين فسلها ثانية، فسألها وغلظ عليها ما حلف به، فقال لها أبو يوسف : قولى إني لم آخذه، فقالت: لم آخذه .

فقال يا أمير المؤمنين: قد صدقتك في أحد القولين إن كانت أخذته فقد صدقت، وإن كانت لم تأخذه فقد صدقتك. فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقاما وخرجا من البيت الذي كانا فيه إلى خزانة، فأمر بها ففتحت وأخرج إليه أسفاط فأمر بها فحلت، فإذا فيها جوهر له خطر، فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين ما رأيت أحسن من هذا، فإن رأيت أن تهبه لي؟ فقال: لا والله ما نفسى بذلك طيبة، فقال: فهبه لأم جعفر، فقال: لا والله، ولا نفسى به طيبة، قال: يا أمير المؤمنين فإن لم تفعل لا هذا ولا ذا فتعلم أم جعفر أنى سألتك أن تهب لها هذه العقود فأبيت، قال: أما ذا فنعم، فأعلم أم جعفر بذاك فأنفذت إلى أبي يوسف بمائة ألف درهم [فانظر إلى عظم شدة احتيال أحد قضاة السلاطين الذين ابتليت بهم الأمة الإسلامية، لم يتق الله فتفنن في إيجاد مخرج لقسم الرشيد تحايلا ودهاء على الشرع وحا في المكافأة، ثم عدم اكتفائه بما حصل عليه بدون وجه حق من بيت مال المسلمين، فيسعى للمزيد من خلال أم جعفر، ما أعظمها من مصيبة أن ينسب إلى العلم من يكون أمره كما وصفنا] ..

290 - قال إبراهيم بن الربيع الكلابي: كان عبدوس بن عبيدة العقيلي اختصم هو وابن خالته خنيس بن ساعدة العقيلي، إلى أبي يوسف القاضي ببغداد، فذهب عبدوس فأحضر شهوداً وسماهم على أسماء أئمة المساجد المعدلين، فلما شهدوا عند أبي يوسف سأل عنهم سراً فعدلوا، فجاء خنيس حينئذ إلى أولئك الشهود المشهورين الأئمة فجعل يلقي الرجل فيقول: يا عبد الله لم شهدت علي؟ فيقول: لا والله ما شهدت عليك ولا أعرفك ولا أعرف عبدوساً. فذهب خنيس إلى أبي يوسف فأخبره فقال: أحضروهم، فتبين أنهم ليس بأولئك الذين شهدوا، فأمر بعبدوس فحمل ثم ضرب خمسين درة، فقال عبدوس في أبي يوسف قصيدة طويلة منها :

مركب الناس ثنائيا قسمت وأبو يوسف مركوب العرب
وكذا المركوب من قلته قال من حالب هذا لا حلب
أشبه الناس وجهاً وقفا كوز فقاع إذا حل وثب
فإذا أقعى على منبره خلته القرد إذا القرد صلب
وقال علي بن الخليل الكوفي في أبي يوسف :

دعوت له بشـبوط يرى بظـهره حـدبا
فقال أما لجارك من طعام يذهب السـغبا

أصـب لأخـيـك يـربـوعـاً وضـبـا واتـرك اللـعبـا
وقـام إلـيـه سـاقـيـنا بكـأس يـنـظـم الحـبـيـا
مـعـتـقـة مـروـقـة تـسـلـى هـم مـن شـرـيـا
فأمـسـكـها بـراحتـه فـلـمـا شـمـها قـطـبـا
وإلا لا تـسـلـسـلـها وقـال أصـب لـنـا حـلـبـا
وأمـسـك أنـفـه عـنـها وقـام مـولـيـاً هـربـا
يـريـد الشـيـخ والقـيـصـوم كـى يـسـتـوجـب السـبـا
وقـد أبـصـرتـه زـمـناً يـحـب الظـرف والأدبـا
فصـارتـشـبـها بالقـوم جـلفـاً جـافـياً خـشـبـا
إذا ذكـر الثـريـد بكـا وأبـدا الشـوق والطـربـا
ولـيـس ضـمـيرـه فـى القـلـب إلا الـتـين والعـنـبـا
يـروح بـنـسـبـة المـولـى وشـيـخ تـدـعى العـريـا
فـلا هـذا ولا هـذا كـ يـدركـه إذا طـلـبـا
أيرـغـب عـن بـنى كـسـرى ومـا عـن مـثـلـهم رـغـبـا
جـحـدت أبـاك نـسـبـته وترجـو أن تـفـيـد أبـا

291 - وأخبرني القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله عن أبيه، أنه شاهد قاضى الجماعة محمد بن أبي عيسى، فى دار رجل من بنى جدير مع أخيه أبي عيسى فى ناحية مقابر قریش وقد خرجوا لحضور جنازة، وجارية للحديرى تغنيهم هذه الأبيات :

طابت بطيب لثاتك الأقداح وزهت بجمرة خدك التفاح
وإذا الربيع تنسمت أرواحه طابت بطيب نسيمك الأرواح
وإذا الحنّاس ألبست ظلماءها فضياء وجهك فى الدجى المصباح

قال: فكتبها قاضى الجماعة فى يده ثم خرجوا. قال: فلقد رأيتك يكبر للصلاة على الجنابة، والأبيات مكتوبة على باطن كفه !!

292 - قال محمد بن سحنون بن سعيد فى كتابه الذى جمع فيه أحكام أبيه أيام ولايته قضاء مدينة القيروان لابن الأغلب قال: شكى إلى أبى رجل [والد زوجته] أنه غيب عنه ابنته [أى زوجة الشاكى] وحال بينه وبينها، فبعث إلى أبى الجارية قال: أين ابنتك امرأة هذا؟

فقال: والله ما أتنى ولا أدرى أين هى ولا لها عندى علم !

فأمر به فحمله إلى وسط السوق وضرب مائة سوط، ثم سجنه ثم أخرجته مرة ثانية وجلده فى وسط السوق مائة سوط، ثم الثالثة أو الرابعة، فمات الرجل من الضرب فى السجن. ثم وجد ابنته فى بعض الشعاب عند قوم من أهل الفساد!!

293- نبأنا أبو مسهر قال: كان الحارث بن عمر الأشعرى قاضيا لعبد الملك على دمشق، فقدم إليه رجل فحكم عليه، فزعمت امرأة أنه أهذى إلى امرأة القاضى هدية فقضى له ! فكتب إليه عبد الملك :

إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابٍ دَارَتْ قَحْمَتُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حَلِيمٌ تَوَلَّى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ

- قال موسى الأعنسى الهمداني شاعر من أهل دمشق، فى عمرو بن أبى بكر قاضى دمشق يهجوهُ :

قل لعمرو قاضى دمشق أبى بكر فكن فى طلاب غير القضاء
عملا يستقيم فيه لك الجور وتخفى مصالح الأبناء
كم قضايا قد بعثها بارتشاء ثم أبطلتها بفضل ارتشاء
ما تبالى إذا أصبت مزيدا أى حكمي كراج بالغمساء
اتخذ مربطا تغنى عليه رث حبل الصفاء من أسماء

294- وأنشد أبو الفاخر عمر بن أحمد بن علي الأنصاري في بعض القضاة وقد مات

أخوه :

قالوا : أخو القاضى قضى نحبه فقلت : ليت القاضى القاضى

لا رحم الله صدى من بقي أيضا ولا بل ثرى الماضى

295 - شكى شخص من حلب يسمى أحمد بن العطار، على الحب ابن الشحنة

قاضى حلب، وذكر عنه أموراً شعبة، وإنه يثبت في جهته مائة ألف دينار تناولها من أوقاف حلب وغير ذلك بالطريق الشرعي، وإن ابن الشحنة هدم مسجداً وأدخله في الدار التي بناها بحلب !! فلما سمع السلطان كلامه [وتأكد من صدقه] رسم بهدم الدار والقبض عليه وحبسه بقلعة حلب وكتب بذلك مرسوم ..

296- وذكر العتبي أن رجلاً من أهل المدينة ادعى حقاً على رجل، فدعاه إلى ابن

حنطب قاضى المدينة، فقال: من يشهد بما تقول؟ فقال: زنقطة، فلما ولي، قال القاضي: ما شهادته له إلا كشهادته عليه، فلما جاء زنقطة القاضي قال له: فذاك أبى وأمي، أحسن والله الشاعر حيث يقول :

من الحنطبيين الذين وجوههم دنانير مما شيف فى أرض قيصر

فأقبل القاضى على الكاتب، فقال : كبير ورب السماء، ما أحسبه شهد إلا بالحق فأجاز

شهادته ..

297 - قيل: إن أول من ارتشى من حكام الجاهلية هو ضمرة بن ضمرة النهشلى

بمائة من الإبل، دفعها إليه عباد بن أنف الكلب، في منافرة بينه وبين معبد بن نضلة الفقعسى لينفره عليه، ففعل .

ويقال: إن أول من ارتشى في الإسلام يرفاً غلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رشاه المغيرة بن

شعبة ليقدمه في الإذن بالدخول إلى عمر، لأن يرفاً لما كان هو الواسطة في الإذن للناس وكان الحق في التقديم في الإذن للأسبق، إذ لم يكن مضطراً غيره إلى التقديم، كان تقديم غير الأسبق اعتداءً على حق الأسبق فكان جوراً، وكان بذل المال لأجل تحصيله إرشاء، ولا أحسب هذا

إلا من أكاذيب أصحاب الأهواء للغض من عدالة بعض الصحابة فإن صح ولا إخاله: فالمغيرة لم ير في ذلك بأسا، لأن الضرر اللاحق بالغير غير معتد به، أو لعله فعلة يرفأ إكراما له لأجل نواله، أما يرفأ فلعله لم يهتد إلى دقيق هذا الحكم. فالرشوة حرمها الله تعالى، لأنها إن كانت للقضاء بالجور فهي لأكل مال بالباطل، وإن كانت للقضاء بالحق فهي أكل مال بالباطل، لأن القضاء بالحق واجب، ومثلها كل مال يأخذه الحاكم على القضاء من الخصوم. [رغبت أن أنوه بأنه لا يخفى على منصف عاقل محب لصحابة رسول الله، مدى كرهه روافض الشيعة لأئمة المؤمنين عمر الفاروق وكذلك للمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أجمعين، ولا أحسب هذا القول إلا منهم، عليهم من الله ما يستحقونه في الدنيا والآخرة] ..

298 - قال عليان لأبي الوفاء [القاضي] وقد مر به: رأيناك أسمت دابتك وأهزلت دينك ! أما والله إن أمامك لعقبة كؤودا لا يجوزها إلا المخفون ..

299 - قال يحيى بن معين: نوح بن دراج قاضى الكوفة، وكان، كذاباً خبيثاً [وكان] أعمى: عن محمد بن يحيى الحجري قال: كان ليحيى بن خالد في نوح بن دراج رأى، فولاه القضاء، فقال بعض الشعراء :

إن القيامة فيما أحسب اقتربت إذ صار قاضينا نوح بن دراج
قفاه يخبر عنه أنه رجل ما إن غدى بين تنوم ولا حاج
ولا غداه بألبان اللقاح أبو لا توطأه فصلان فرياح

وحدثنا محمد بن علي الإيادي حدثنا زكريا بن يحيى الساجي قال: نوح ابن دراج كان قاضيا بالكوفة وكان صاحب رأي. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: نوح بن دراج زائع، [وقال] أحمد بن شعيب النسائي: نوح بن دراج متروك الحديث. حدثنا محمد بن بسطام التيمي قال: كنت أختلف أنا والحسن اللؤلؤي إلى زفر بن الهذيل، فرأى اللؤلؤي رؤيا كأنه على فرس هاد ثم صار على حمار قبيح المنظر! فعبرناها على رجل فقال: تلزمان رجلا فقيها نبيلًا يموت عن قليل، وتلزمان بعده رجلا دنيا ! فمات زفر فلزمننا نوح بن دراج بعده! فقال لي اللؤلؤي: ما كان أسرع صحة الرؤيا .

وقال محمد بن إبراهيم بن دينار، ويُعرف بابن صندل :

إن كنتَ تطلبُ علماً نافعاً وهدى فاقصد ليوسف ثم اقصد لحجاج
والرافعى فخذ عنه فإنَّ له عقلاً أصيلاً لتصحيح وإنهاج
لا تعدلنَّ بهم ذا فطنة أبداً قاضى القضاة ولا ترج ابن درّاج
فالقوم كلّهم ناهيك فى بصر فاصبرْ على جدل منهم وإحراج

300- [كان] مجلس بعض القضاة مشتهر الضبط منتهرا لمن انبسط فيه بعض البسط،
حتى إن أهله لا يتكلمون فيه إلا رمزا ولا يخاطبون إلا إيماءً! فتكلم فيه خصم كلاما استطال به
عليه، ففارق عادة المجلس في خفض الحجة وحسر عن ساعده وأشار بيده لوجه خصمه، فهم
الأعوان بتقويمه خشية القاضي. [فقال القاضى له]: اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق
مركزك وأقصر، فقال له [الخصم]: مهلا ، أمن المخدرات أنا فأخفض صوتى وأستر يدي
وأعطى معاصمى لديك؟ أم من الأنبياء أنت فلا يُجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله تبارك
وتعالى إلا لرسوله ، وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل في القيامة ، في موقف الهول الذى لا
يعدله مقام ولا يشبه انتقامه انتقام، لقد تعديت طورك وعلوت في متزلك، وإنما البيان بعبارة
اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل، ولا بد في الخصام من إفصاح الكلام. وقام وانصرف
فبهت القاضي ولم يجر جوابا ..

301 - حدثني المغيرة بن مطرف قال: قال لى شريك بن عبد الله النخعي، أرسل إلى
أبو جعفر فدخلت عليه، فقال: فقد وليتك المصر الذى كنت تعلم القرآن فيه. قلت: يا أمير
المؤمنين، لا علم لى بالقضاء ، قال: يا ربيع يكون عندك حتى يقبل . فقمتم مع الربيع فقال لي:
ليس يدعك أو تقبل ولا بد لك من ذلك، فأجبت .

وحدث عبد الله بن صالح قال : كان شريك وهو على قضاء الكوفة خرج يتلقى
الخيزران، فبلغ قرية يقال لها: شاهي، وأبطأت الخيزران، فأقام ثلاثاً ينتظرها ويس خبزها، فجعل
يبله، فقال العلاء بن المنهال الغنوى :

فإن كان الذى قد قلت حقاً بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك موضع فى كل يوم تلقى من يحج من النساء
مقيم فى قرى شاهى ثلاثاً بلا زاد سوى كسروماء

وزادني إبراهيم الصالحى فى هذه الأبيات :

وفى تشييع خالص غير وان ويومى بالسلام إلى سناء
فأى الناس أفحش منك حرصاً وأظنن منك فى باب الرياء

وزادني النميرى :

تركت الفقه حين كسبت مالاً وتشمير الإزار مع الرداء

وقال أبو نعيم : هجا رجل شريكاً فقال :

فهلا فررت وهلا اغتربت إلى بلدة أرضها المحشر
كما فرسفيان من قومه إلى بلد الله والمشر
فلاذ برب له مانع ومن يحفظ الله لا يخفر
أراك ركنك إلى الأزرقى ولبس العمامة والممطر
وقد طرحوا لك حتى لقطت كما لقط الطير فى الأندر
ثم يقول أبو نعيم : انظروا ما يصنع بهذا شريك .

قال يحيى بن سعيد الأموى : كنت عند الحسن بن عمارة حين بلغه أن شريكاً هرب من
قضاء الأهواز، فقال : استصغر الخبيث قضاء الأهواز.

قال العلاء بن المنهال :

فليت أبا شريك كان حياً فنقص حين ينصره شريك
ويترك من تدربه علينا إذا ما قيل هذا هو أبوك

وأشدني إبراهيم بن إسحاق الصالحى للعلاء فى شريك :

لكلب الناس إن فكرت فيه أضر عليك من كلب الكلاب
لأن الكلب لا يؤذى صديقاً وإن صديق هذا فى عذاب
ويأتى حين يأتى فى ثياب مخرمة على رجل مصاب
فأخزى الله أثواباً عليه وأخزى الله ما تحت الثياب

قال إسحق بن عيسى: لما ولى المنصور شريكاً قضاء الكوفة أتى أبى فقال له: استعف لى أمير المؤمنين، فقال له: إن أمير المؤمنين لا يرد عن عزماته، فلما تُوفى المنصور وولى المهدي قال له أبى: إنك كنت سألتنى أن أستعفى لك أمير المؤمنين فأبيت عليك، وأمير المؤمنين [المهدي] ألين جانباً وأحرى أن يجيبنا إلى ما نسأله، فإن شئت استعفيتك . فقال: أما الآن فأبى أكره شماتة الأعداء !!

وقال أبو هشام: سمعت يحيى بن آدم يقول لما ولى شريك القضاء كان من دعا له أو أثنى عليه زبره، فلما خبر القضاء جعل يسكت لمن يثنى عليه، [ومن يسكت] فيقول: الدعاء الدعاء. قال ابن المبارك: بقى بالعراق رجالان: شريك وشعبة، فلما بلغ سفيان أن شريكاً استقضى قال: أى رجل أفسدوا. قال الحسن ابن حماد: مات شريك وأنا شاهد بالكوفة. فقال عبد الله بن المبارك:

يا جاعل الدين له بازيًا يصيدُ أموالَ المساكينِ
لا تبع الدين بدنيا كما يفعل ضلال الرهابين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنوناً بها بعدما كُنت دواءً للمجانين
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عون وابن سيرين
أين أحاديثك والقول في لزوم أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فذا باطل زلّ حمار العلم فى الطّين

وعن سعدويه قال: ذكر لعباد بن العوام رجل ولى القضاء من عفافه وصلاحه، فقال عباد: من ظن أنه يلى هؤلاء شيئاً فيخلون بينه وبين العدل فبئسما ظن.

302 - وقال أبو فروة : كان طارق صاحب شرط خالد القسرى [فمر به] فى موكبه

بابن شبرمة فقال :

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تَحْبُ كَأَنَّهَا سَحَابَةٌ صَيفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ

اللهم لى دىنى ولهم دنياهم. فاستعمل ابن شبرمة على القضاء بعد ذلك، فقال ابنه:
أتذكر قولك : يوم مر طارق فى موكبه؟ فقال: يا بنى إنهم يجدون مثل أبىك ولا يجد أبوك
مثلهم، يا بنى إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم ..

303- قيل لابن شبرمة: من أشعر الناس؟ قال: الفرزدق، فقليل له: إنا أردنا الجاهليين؟
فقال: وهل كان أجهل منه. جاءت امرأة إلى ابن شبرمة فقالت: يا ابن شبرمة، إني امرأة من
العرب مات رجالى وكثر عمالي، فعمدت إلى كل ذخيرة من سوار وقلب وغيره، فبعته
واشترت جارية نائحة تأتينا بالخمسة والستة وما فيه سد الخلة، فنحن نتقوت ذاك ونعرف ذاك
وسوء طعمته فلما كان فى صدر هذا اليوم بعث القعقاع إليها فحبسها، فإن رأيت أن تكون
عند ظنى بك قال: بالحب والكرامة، يا غلام امض معنا إلى القعقاع فأخرج جاريته، وكان ابن
شبرمة تلهف عليها وكره أن يردها بعد ما أخرجها!

وأنشد ابن شبرمة قول قيس بن ذريح :
لقد كان فيها للأمانة موضعٌ وللقلب مُرتادٌ وللعين منظرٌ
وللحائم الصَّديانِ رى بقربها وللمرح الذَّيَالِ طيبٌ ومسكُرٌ
فقليل له ما بقى شيء؟ قال: بلى بقى الواقعة .

وعن ابن خزيمة مزاحم بن زفر قال:
اغسل يديك جميعاً ثم أنقهما غسل الجنابة من خير ابن غراء
كم قد رأيت له من جبة خلق كانت لنباش قبر أو لحذاء
مركوبه برقاع غير واحدة قد كان يقطع فيها الصيف رسماً
إذا تقبض لى فيها ذكرت به عصفور أرمن فى حانوت قلاء
أبروا إلى الله مما كان دنسه للقاضيين كما يبرأ من الداء
يعنى [بالقاضيين] ابن أبى ليلى وابن شبرمة .

وعن أبى الجواب الضبى قال ابن شبرمة فى ابن أبى ليلى:
وكيف ترجى لقضاء القضاء ولم تعرف الحكم فى نفسك
وتزعم أنك لابن الجلاح وهيئات دعواك من أصلها

وعن ابن شبرمة قال: لقد رأيتني وأنا بالكوفة [ما في] ثلاثة أحوج مني ومن ابن أبي ليلى ومن الحجاج بن أرتاة، وما بها اليوم ثلاثة أهنأ منا !!

304 - محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى [القاضى] كان من أصحاب الرأى وتولى القضاء بالكوفة وأقام حاكماً ثلاثاً وثلاثين سنة، ولى لبنى أمية ثم لبنى العباس، وكان فقيهاً مفنناً، وكانت بينه وبين أبي حنيفة وحشة يسيرة .

وكان يجلس للحكم فى مسجد الكوفة، فيحكى أنه انصرف يوماً من مجلسه فسمع امرأة [مجنونة] تقول لرجل: يا ابن الزانيين، فأمر بها فأخذت، ورجع إلى مجلسه وأمر بها فضربت حدين وهى وقائمة !

فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ القاضى فى هذه الواقعة فى ستة أشياء:

فى رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ولا ينبغى له أن يرجع بعد أن قام منه، وفى ضربه الحد فى المسجد وقد فهمى رسول الله ﷺ عن إقامة الحدود فى المساجد، وفى ضربه المرأة قائمة وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات، وفى ضربه إياها حدين وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد، ولو وجب أيضاً حدان لا يوالى بينهما بل يضرب أولاً ثم يترك حتى يبرأ من ألم الأول، وفى إقامة الحد عليها بغير طالب.

فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى فسار إلى والى الكوفة وقال: ها هنا شاب يقال له: أبو حنيفة يعارضنى فى أحكامى ويفتى بخلاف حكمى ويشنع علىّ بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك، فبعث إليه والى ومنعه من الفتيا ..

305 - ولى يوسف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القضاء، وكانت به حدة فقال له [الأمير يوسف بن عمر]: إنما أنت أجير قوم فوقهم عملك إذا وفوك أجرك، وإذا أردت الخروج فكل لا أشبع الله بطنك، وانكح لا أعفك الله، وإذا غضبت فقم ..

306 - كانت لرجل شهادة عند أبي دلامة، فدعاه إلى تبليغها عند القاضى ابن أبي ليلى، فقال له: إن شهادتى لا تنفعك عنده.

فقال الرجل: لا بد من شهادتك.

فشهد عند القاضى وانصرف وهو يقول :

إذا الناسُ غطّوْنى تغطّيت عنهم وإن بحثوا عنى فضيهم مباحثُ

[فحشى القاضى من أن يهجوهُ]: فقضى على الخصم بشهادة أبى دلّامة !

وقبض المشهود له المال، غرمه القاضى للمشهود عليه تخرجاً من ظلمه.

ويقال: إنّما شهد لطبيب عاج ولده من علة به، وأمره أن يدعى على من شاء بألف

درهم، ففعل الطبيب وأشهد أباً دلّامة !!

307 - أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن السكونى قال: كان ابن أبى ليلى يشفع

لأحبابه إلى [الأمير] عيسى فيولون الأعمال، فقال هذيل الأشجعى:

بنات أبى ليلى عهدو معدة فدونك فانكح بعضهن وخذ عهدا

فإنك إن تظهر ببنت محمد تصب ألفاً من شفاعته بعدا

وتعلم علماً ليس بالظن إذا رد به غـردا

308 - قال أبو عبيد الآجرى : سمعت أباً داوود يقول: كان ابن أبى ليلى يقرئ فى

المسجد وعمار بن رزيق يقرأ عليه حتى جاء شرطى فأخذ بيده فأقعدته على القضاء. وسمعت أباً

داوود يقول: النقى بن شرملة وابن أبى ليلى فى دار الإمارة فقال أحدهما لصاحبه: أما نحن فقد

أكلنا من حلوائهم وملنا فى أهوائهم ..

309 - عن مالك قال: كان محمد بن أبى بكر على القضاء بالمدينة، فكان إذا قضى

بالقضاء مخالفاً للحديث يقول له أخوه عبد الله ﷺ وكان رجلاً صالحاً: أى أخى أين أنت عن

الحديث أن تقضى به؟ فيقول: أيهات فأين العمل؟ يعنى ما اجتمع عليه بالمدينة⁽¹⁾. [وعن نافع

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنت مع عثمان ﷺ فى داره يوم قتل ولو أذن....⁽²⁾. يا

عبد الله قم فأعطهم ما أرادوا، فأشرفت عليهم فقلت: أنا عبد الله بن عمر وأنا صائر لكل

ما تريدون، فلم يسمعوا منى ودخلوا ودخل محمد بن أبى بكر معه مشاقص، فقال له

1 - محمد بن أبى بكر الصديق أحد المشاركين فى قتل عثمان.

2 - هكذا جاء فراغ فى الأصل.

عثمان رضي الله عنه: يا ابن أخي ما كان أبوك ليدخل علي، فقال: أما الآن فأنا ابن أخيك وقبل فأنا ابن شر بيت في قريش، وضربه بمشاقص في أوداجه وجاء أسودان بن حمران فنفضحه بحربة في يده⁽¹⁾.

وعن وثاب مولى عثمان قال: رأيت رجلاً جذب بلحيته [أى بلحية عثمان] فقال: إنك لتجذب لحية كان يعز علي أهلك أن يجذبها. [عن ابن عون قال: سمعت القاسم بن محمد بن أبي بكر، يقول وهو ساجد: اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان]⁽²⁾!!

310 - عن سفيان: ناظرت عباد بن منصور بمكة، فإذا هو لا يحسن من الفقه شيئاً ! فقلت: كيف تصنع إن وليت؟ قال: أوفق! قال ناهض بن سالم: كلم طلحة بن إلياس لما ولي القضاء في معروف بن سويد، وحامدة الهرمزية، وكان زهير بن سيار نازع معروف بن سويد في أمرها، فأبى أن يقضى لمعروف، فعزل [الأمير محمد بن] سليمان بن إلياس وأعاد عباد بن منصور [إلى القضاء] ليقضى لمعروف بحمادة!! وكانت من أجل النساء، ادعى كل واحد منهما أنها زوجته نفسها، واختصما إلى عباد بن منصور [فقضى لمعروف بحمادة]! فقال سلمة بن عباد في أبيه:

ألا يأيها القاضي الذي الجور له عادة
أعادوك لكى تقضى لمعروف بحمادة
فيرضى عامل البصر ويرضى الجند والقادة
ولولا ذاك لم تقععد ولم تعد من السادة
أبى طلحة أن يقضى فسألت به واده
فما زاد على فعلك بالأهواز قواده

311 - قال أبو حاتم: شهد رجل عند سوار، فقال له: ما صناعتك؟ قال: أنا مؤدب [معلم صبيان]. قال: فإننا لا نجز شهادتك. قال: ولم؟ قال: لأنك تأخذ على تعليم القرآن

1 - أخبار المدينة ج 2 ص 298 .

2 - أنساب الأشراف ج 2 ص 294 .

أجرا. قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا. قال: إني أكرهت على القضاء. قال: يا هذا، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق؟ فقال: هلم شهادتكم؟ فأجازهم ..

312 - عن الهيثم بن واقد قال : شهد السيد [رافضى من روافض الشيعة] عند سوار بشهادة؟ فقال له سوار: تتجرأ تشهد عندي وأنا أعرف عداوتك للسلف؟! فقال السيد: أعاذني الله من ذلك، وإنما هو شيء لزمى ثم نهض فقال :

وما تغنى الشهادة عند وغد جهول بالحكومة والخصام
له بالمصر أعوام تباعا تمام العشر أو فوق التمام
وما أجدى على أحد بخير ولا فصل القضاء بالانفصام
إذا حضر الخصوم بغض طرفا وشنج وجهه فعل اللئام
سموع للخصوم إذا لقوه ولا يقضى بحق فى الذمام
جهول بالقضاء حليف بول وكور للأثام وللحرام
إذا لم يقض بين الخصم يوما وبين مخاصميه من الأنام
فلم يأخذ عطا المنصور فيه عطاء من عطاياه العظام
وأجزل فى الذى يقضى على ما فعلت الضرب بالسيف الحسام

313- قال معاذ بن سعيد الحصري: شهد السيد عند سوار بشهادة، فقال له: ألسن إسماعيل بن محمد الذى يعرف بالسيد؟ قال: نعم، قال : قم يا رافضى، قال: والله ما شهدت إلا بحق، فأمر بوجئ عنقه، فكتب رقعة فيها هجاء سوار فطرحها فى الرقاق، فأخذها سوار، فلما قرأها خرج إلى أبي جعفر، وكان قد نزل الجسر الأكبر وسبقه السيد، فشكا إليه سواراً بأبيات كتب بها:

يا أمين الله يا من صور يا خير الولاة
إن سوار بن عبد الله من شر القضاة

نَعْتَلِسِي جَمَالِي لَكُمْ غَيْرُ مُسَوَاتٍ
 جَدُّهُ سَارِقُ عَنَزٍ فَجُرَّةٌ مِّنْ فَجَّراتٍ
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْقَاضِيهِ بِبِالْمُنْكَرَاتِ
 وَالَّذِي نَادَى رَسُولُ اللَّهِ مِّنْ وَّرَاءِ الْحِجَرَاتِ
 يَا هِنَاهُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا إِنَّنَّا أَهْلُ هِنَاتِ
 فَكُفْنِيهِ لَا كُفَّاهُ اللَّهُ شَرُّ الطَّارِقَاتِ
 سَنَ فِينَا سَنَنًا كَانَتْ مَوَارِيثُ الطُّغَاةِ
 أَطْعَمَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى قَوْمَهُ وَالصَّدَقَاتِ

وزادني غيره :

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي يَنْجِي بِطَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ بَحْبُوحَةِ النَّارِ
 لَا تَسْتَعِنْ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً يَا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فِي حَكْمِ بَسْوَارِ
 لَا تَسْتَعِنْ بِخَبِيثِ الرَّأْيِ ذِي صُلْفِ جَمِ الْعَيُوبِ عَظِيمِ الْكِبَرِ جِبَارِ
 يَضْحَى الْخُصُومَ لَدَيْهِ مَنْ تَجْبِرُهُ مَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ طَرْفَ أَبْصَارِ
 زَهْوًا وَكِبْرًا وَلَوْلَا مَا رَفَعْتَ لَهُ مِنْ ضَبْعِهِ كَانَ عَيْنُ الْجَائِعِ الْعَارِي
 وَقَالَ جَدُّ لَهُ إِنِّي أَرَى رَجُلًا فَرْدًا وَحِيدًا وَيَعْدُو بَيْنَ أَطْمَارِ
 قَالُوا لَهُ فِيمَا يَدْعَى رَجُلٌ يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ وَحْيٌ بِأَخْبَارِ
 إِنَّا لَنَحْسَبُ شَعْرًا مَا يَجْبِي بِهِ وَقَوْلُ كَاهِنَةٍ أَوْ قَوْلُ سَحَارِ
 مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ خَلَّتْهُ عَشِيرَتُهُ عَنْهَا فَاوَى إِلَى خَزَرٍ وَأَنْصَارِ
 لَهُ حُلُوبٌ فَمِنْهَا جَلَّ عِشْتُهُ فَقَالَ إِنِّي لَكُمْ فِي ذَبْحِهَا سَارِي
 فَاحْتَالَ كَفُّوا عَلَيْهِ مَنْ تَجْبِرُهُ وَاسْتَقَّ عَنْزُ رَسُولِ الْخَالِقِ الْبَارِي
 وَاسْتَلَّ مَلْحُضَةً مِنْ جَوْفِ حَجْرَتِهِ فَازْدَادَ خَبْثًا وَوَقَّرَا بَعْدَ أَوقَارِ

فكتب إليه المنصور بإقطاعه " أرضاً " من أرض الحجاج بن يوسف، وكتب إلى سوار:
لا يد لك عليه. فقبل له: لو اعتذرت إلى الرجل، فقد أسأت القول فيه، ففعل.

فلم [يقبل] منه سوار، فأنشأ يقول :

أَتَيْتُ دَعَى بَنَى الْعَنْبِرِ أَرَوْمُ اعْتَذَارًا فَلَمْ يَعْذُرْ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي وَأَلْزَمْتُهَا السَّـ سَلَامَةً: مَنْ لَوْمَنَا أَقْصَرِي
أَيَعْتَذِرُ الْحُرُّ مِمَّا أَتَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنَى الْعَنْبِرِ
أَبُوكَ ابْنُ سَارِقٍ عَنِ النَّبِيِّ وَأُمُّكَ بِنْتُ أَبِي حَجْدِرِ
وَنَحْنُ عَلَى رَغْمِكَ الرَّافِضُونَ نَ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْمُنْكَرِ

[فلما مات سوار هجاه السيد بأبيات غاية في الشناعة نترفع عن ذكرها في كتابنا،
وبغض روافض الشيعة لأهل السنة والجماعة، والشيخان رضى الله عنهما، وأمى المؤمنين عائشة
وحفصة وصحابة رسول الله لا تخفى على عاقل نعوذ بالله منهم] .

وعن إسماعيل ابن الساحر قال: لما مات سوار دفن في موضع كان كنيفاً فعفا، فطهروا
الكنيف وتبادروا به فدفنوه لعله كانت به، ومات بقربه عباد بن حبيب المهلب، فهجاه السيد
ودفع القصيدة إلى نوائح الأزد، فحفظتها النوائح فكانوا إذا رثوا عباد بن حبيب أنشدوا هجاء
سوار وهي :

عَدَى بِسَوَارٍ فِى أَخْلَاقٍ أَطْمَارٍ مِنْ دَارِهِ ظَالَعْنَا عَنْهَا إِلَى النَّارِ
يَا شَرَحَى ثَوَى فِى الْأَرْضِ نَعْلَمُهُ مِمَّنْ بَرَاهِ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الْبَارِى
لَا قَدَسَ اللَّهُ رَوْحَا أَنْتَ هَيْكَلُهُ وَهَلْ تَقْدَسَ رَجَسَ بَيْنَ كَفَارِ
ثَوَى بِبَرْهَوْتِ فِى بَلْهَوْتٍ مُحْتَبَسَا مَلَعْنَا بَيْنَ أَطْفَاشٍ وَفَجَارِ
أَبَانَ فَيْكَ إِلَهُ النَّاسِ مَعْجَبَةً لِمَا قَضَى رَبَّنَا فَيْكُمْ بِمَقْدَارِ
فِى جَرَمِ جَسْمِكَ إِذْ دَلَيْتَ فِى رَحِمِ فِى بَقْعَةٍ بَيْنَ أَحْشَاشٍ وَأَقْدَارِ
فِى مَخْرَجٍ وَكَنْيَفٍ قَدْ أَعَدَ لَكُمْ فِيهِ الثَّوَاءُ بِإِذْلالٍ وَإِصْغَارِ

فَاللّٰهُ يَخْزِيْكَ يَا سَوَّارَ مَخْزِيَةٍ فِى جَا حَمِّ النَّارِ مِنْ غَسَلِيْنَهَا الْجَارِ
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ بَهْلَتُهُ لَمَّا كَسَّالَ سَوَّادَ الْوَجْهِ كَالْقَارِ
لِنَعْمَتِ الْعَتَرَةِ الصَّيْدِ الْمُطَهَّرَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَطْهَارًا لِأَطْهَارِ

314 - زيد بن واقد: مشهور بالشام له أحاديث كثيرة، كُتِبَ محمد بن عبد الله الأنصارى الضعيف صاحب مالك بن دينار . [ولما عزل المأمون سواراً وتولى القضاء] محمد بن عبد الله الأنصارى ، قال : ابن أبي عنبسة فى ابن سوار وولاية الأنصارى :

أَتَانَا عَنْ الْبَصْرَةِ الْمَخْبُرُونَ بِمَا سَرَدَا النُّعْلَ وَالْحَافِيَا
بَعَزَلَ ابْنُ سَارِقٍ عَبْدَ النَّبِيِّ وَصَارَ ابْنُ خَادِمَةِ قَاضِيَا
فَلَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَنْ لِحَالِيهِمَا لَمْ يَكُنْ رَاضِيَا
فَقَدْ سَكَنَ النَّاسَ وَاسْتَوْسَقُوا وَأَصْبَحَ أَمْـرُهُمْ هَادِيَا

وبلغ الأنصارى أن ابن أبي عنبسة قال لما عزل عبد الله بن سوار وولى الأنصارى :
نَعَبَ الْغُرَابَ وَمَنْ يَنْفُضُ رَأْسَهُ فِى الْحَرْبَيْنِ مَصُوبَ وَمُصْعَدِ
يَمْضَى عَلَى سَنَنِ الشَّمَالِ مَغْرَدَا وَيَرْوَحُ حِينَ يَرْوَحُ غَيْرَ مَغْرَدِ
فَزَجَرْتُهُ إِنْ قَلْتَ يَقْعُدُ عَالِمُ بِالْحَكْمِ يَصْرِفُ جَاهِلًا عَنْ مَقْعَدِ
عَزَلَ ابْنُ سَارِقٍ عَنَزَ أَحْمَدَ وَاسْتَوَى فِى مَجْلَسِ الْحَكْمِ ابْنُ خَادِمِ أَحْمَدِ
سَيَّانَ هَذَا وَذَا إِنْ فَضَّلَا فِى الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَطَيْبِ الْمُحْتَدِ
لَا يَبْعُدُ الْقَوْمَ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا بَعْدَ ابْنِ سَوَّارٍ لَغَسَلِ الْمَسْجَدِ
قُلْ لِأَبَى رِيْشَةٍ يَا ذَا الَّذِي أَصْبَحَ فِى الْأَحْكَامِ جَوَّارَا
لَوْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِأَحْكَامِنَا أَشَبَّهْتَ فِى الْأَحْكَامِ سَوَّارَا

315 - وذكر محمد بن عبد الله الأنصارى فقال: قال لى أبي: يا بنى أراك تطلب العلم والقضاء وقد ولى غير واحد من آبائك فوالله ما حمدوا ..

316 - أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أشخص إبراهيم بن محمد التيمي لدار المتوكل فأمر بإدخاله فلما دخل عليه قال: إني أريدك للقضاء. فقال: على شريطة يا أمير المؤمنين، قال: وما هي؟ قال: أن تدعو لى دعوة فإن دعوة الامام العادل مستجابة !! فولاه ..

وعن محمد بن عمر الصيرفى قال: سمعت التيمي [قاضى البصرة] يقول: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر، وعمر، والمتوكل. قال: فقلت: من عمر؟ قال: عمر بن عبد العزيز، فقلت: كيف تخطيت من أبى بكر إلى عمر بن عبد العزيز ، قال: إن أبى بكر قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أمية، والمتوكل محابى البدع وأظهر السنة !!

- وقال عبد الصمد بن المعدل يهجو إبراهيم بن محمد التيمي القاضى :

أبو إسحاق صاحبه معنى يروح ويغتدى فى غير معنى
وينظر فى القضاء بغير علم وأجهل ما يكون إذا تأنى

وقال فيه :

ما لقينا من أخى تيم ومن إرجاف قومـه
كلمـا جئناه قـالوا شغل القاضى بصومـه
يجلس الخصم لديه وهو فى أطيب نومـه

317 - ومنها فى الذم لبعض القضاة :

ودهر ضاع فيه مضاء حدى ضياع السيف فى كف الجبان
أكابد فيه كل وضيع قوم إذا بهرتـه رفعتى ازدرا نـي
يطلـس منه رأسا فيه أوفى وأكثر من خطوط الطيلسانى
وفى الكم العريض له يمين حقيق أن تقطع باليمانى
زمانك ليس فيه سواك عيب وعيب ليس فى سوى زمانى

- ولبعضهم في بعض القضاة :

من مخبر الكتاب أنى جئتهم بقصائد موشية التوشيع ؟
ليرونى الإدرا فى مجموعهم وأريهم الأشعار فى مجموعي
أما القضاء فأشهى لکنه لديونه اللاتى نفين هجوعي
بعث القضاء على البلاد وصيته بقضائهن وذاك خير بيوعي
لو كنت ترمى فى القضاء بنظرة لعجبت من شيع القضاة وجوعي
أرشو ولا أرشى وتلك غبينة تسمى لها الأكباد ذات صدوع
وأخاف من تشنيعهم لو جرت في حكم ، وليس يخاف من تشنيعي
عار لطن ذوى النهى أعراضهم ووجوههم فى محكمات دروع
فعلى القضا منى السلام وتوبتي منه النصوح فجانبوا تقريعي
حتى يعود كما مضى زمن وأقوام فيقبح عندهم تصنيعي

- ولفخر الدين أبو المعالى محمد بن مسعود القسام في أحد القضاة :

ولما أن توليت القضاءيا وفاض الجود من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وإنى لأرجو الذبح بالسكين أيضا

318 - كان سلامة بن الزراد السنجاري: مليحا تام الشكل رشيق القد طويل الشعر

ذا حياء وعقل، مات وله قريب من عشرين سنة، ومن شعره يهجو بعض القضاة:

ضاق بحفظ العلوم ذُرْعاً ضيقة كفيته بالأيدى
قاض ولكن على المعالي والدين والعقل والسداد
يعدل فى حكمه ولكن إلى الرُشا أو عن الرُشاد

319 - كانت متيم جارية لبعض وجوه أهل البصرة: فعلقها عبدالصمد بن المعدل،

وكانت لا تخرج إلا منتقبة، فخرج عبدالصمد يوما إلى نزهة وقدمت متيم إلى الحسن بن

عبيد الله العنبري القاضي⁽¹⁾. وكان عابسا كالحا! تخاصم في ميراث، فاحتاج إلى أن يشهد عليها فأمرها بأن تسفر!

[فلما] سفرت عن وجهها افتتن الناس بها وكانت حسنة الوجه. فتبسم وكلمها وأشاع قوم أن القاضي افتتن بها، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيت متيما وقد أسفرها القاضي، لرأيت شيئا حسنا لم ير مثله! فقال:

ولما سَفَرَتْ عَنْهَا الْقَنَاعَ مَتِيماً تَرَوُّحَ مِنْهَا الْعَنْبَرِيَّ مَتِيماً
رَأَى ابْنُ عَبِيدِ اللَّهِ وَهُوَ مُحَكِّمٌ عَلَيْهَا لَهَا طَرَفاً عَلَيْهِ مُحَكِّمًا
وَكَانَ قَدِيمًا كَالْحِجَابِ الْوَجْهِ عَابِسًا فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا السَّفُورَ تَبَسَّماً
فَإِنْ يَصُبُّ قَلْبُ الْعَنْبَرِيِّ فَقَبْلَهُ صَبَا بِالْيَتَامَى قَالِبُ يُحْيِي بَنِي أَكْثَمًا
فبلغ قوله يحيى بن أكثم فكتب إليه: عليك لعنة الله، أى شيء أردت منى حتى أتاني شعرك من البصرة؟ فقال لرسوله قل له: متيم أقعدتك على طريق القافية ..
- قال أعرابي :

إِذَا هُنَّ أَبْدَيْنَ الْخُدُودَ وَحُسَّرتْ تَغَوَّرَ عَنِ الْأَفْوَاهِ كَيْ تَتَبَسَّماً
أَجَادَ الْقَضَاةُ الْعَادِلُونَ قَضَاءَهُمْ لِهِنَّ بِلَا وَهَمٍ وَإِنْ كُنَّ أَظْلَمًا
320 - وحكى أن عمر رضي الله عنه وجه قاضيا إلى الشام، فسار ثم رجع من الطريق فقال له: ما ردك؟

قال: رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان وكأن الكواكب بعضها مع الشمس وبعضها مع القمر، قال عمر: مع أيها كنت؟
قال: مع القمر.

قال: انطلق لا تعمل لى عملا أبدا ثم قرأ: ﴿ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۝ ﴾ [الإسراء].

1 - وقيل: عبيد الله بن الحسن بن أبي الحر.

321 - قال مالك بن أنس: إن سبب عزل عمر بن عبد العزيز، لعبد الرحمن بن يزيد بن حارثة عن القضاء، أن ذلك الرجل كان إذا اختصم إليه الخصمان في الشيء التافه، أخرجهم القاضي من ماله فأصلح به أمرهما، وأنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فذكر ذلك للقاضي فقال له: لا أستطيع غير ذلك. فعزله عمر بن عبد العزيز واستعمل غيره .. [لأن القضاء لا يعرف صغير الشيء أو كبيره إنما هو حق يعطى من الظالم للمظلوم، فإن كان هناك من يسدد عن هذا الظالم ولا يأخذ على يده تمادى في غيه ولم يرعوى] ..

322 - حدثنا أبو هبة قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، عزل قاضيا كان له على مصر، وكتب إليه: أني إنما عزلتك لأنه بلغني أنك أكثر الثلاثة كلاما!

323 - قال الليث بن سعد: كنت أرى عمرو بن الحارث عليه ثلاث أثواب بدينار، قميصه ورداؤه وإزاره، ثم لم تمض الليالي والأيام حتى [تولى القضاء و] رأيته يجر الوشى والخز! فإنا لله وإنا إليه راجعون ..

324 - قال أبو عاصم: أول من ولى القضاء لبني هاشم الحجاج بن أرطاة، فجاء وعليه سواد إلى حلقة البتي، ف قيل له: ارتفع أيها القاضي إلى الصدر؟ فقال: أنا صدر حيث كنت!! وأنا رجل حبيب إلى الشرف. وقال لسوار: قتلني حب الشرف. فقال له سوار: اتق الله تشرف ..

325 - وقال الأصمعي: أول من ارتشى بالبصرة من القضاة حجاج بن أرطاة. وقال عبد الله بن إدريس: كنت أرى حجاج بن أرطاة يلقى ثيابه [قبل أن يلى القضاء]، ثم خرج إلى المهدي ثم قدم معه أربعون راحلة عليها أحمالها !!

326 - قال عبد الله بن المبارك: كان حجاج بن أرطاة يدلس .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد: سمعت أحمد وسأله رجل عن حجاج بن أرطاة ما شأنه؟ قال: شأنه أنه يزيد في الأحاديث .

وقال يحيى: رأيت حجاج بن أرطاة يفتي بمكة، فلم أحمل عنه ولم أحمل عن رجل عنه !!

وقال العلاء بن عصيم: جاء ابن شبرمة والحجاج بن أرطاة إلى الأعمش يوماً وهو على بابهِ فوقف ثم سلم، فقال له الحجاج : قعدت يا أبا محمد في منزلِك لم تنته حتى مشيت إليك الأشراف! فقال الأعمش : فلتقعد الأشراف في منازلها لا حاجة لنا [بهم] إذا يرجعوا بغير حوائجهم، ثم دخل وأغلق الباب في وجوههم .

وحدثنا أبو مالك الجنبي قال: جاء الحجاج بن أرطاة فدخل المسجد الحرام، وقد حج [الأمير] عيسى بن موسى وهو في المسجد، فأقبل الحجاج بن أرطاة إليه فسلم وجلس، فقال له بعض من حضره: ارتفع يا أبا أرطاة إلى صدر الحلقة، فقال: حيث ما جلست فأنا صدرها! فقال عيسى: جروا برجله وأخرجوه من المسجد .

وعن القاسم بن معين قال: مضيت أنا وداوود الطائي إلى حجاج بن أرطاة، فقال داوود: اللهم هب لي من ابن أرطاة أحاديث في القضاء جياداً، قال: فكلمه داوود وكان فصيحاً، فقال له الحجاج: الكلام كلام عربي والوجه وجه نبطي، فقال له داوود: إن قومي ليعرفون نسبي وما أدعى لغير أبي. قال أبو هشام: وكان الحجاج يغمز في نسبه . قال ابن إدريس : كنا نأتى الحجاج بن أرطاة فنجلس على بابهِ حتى تطلع الشمس فلا يخرج لصلاة في جماعة!

قال إسحاق بن أبي إسحاق الشيباني للحجاج: مالك لا تصلي في جماعة؟ قال: أصلي مع هؤلاء يزحموني! حدثنا أبو مالك الجنبي قال: خرج الحجاج ومعه بعض أصحابه فمر بمساكين على الطريق، فسلم صاحبه على المساكين، فقال له الحجاج: أنه لا يسلم على أمثال هؤلاء [وأخبار ابن أرطاة وتكبره كثيرة اقتضت منها على ما ذكرت] ..

327 - هجا أبو الفضل هبة الله بن الفضل القطان، أبا القاسم الزيني قاضي القضاة

بقصيدته التي أولها :

يا أخى الشرط أملك تسبباً للشعاب أتـرك

وهي زيادة على مائة بيت مشهورة. فأحضر الزيني أبا الفضل وصفعه وحبسه مدة ..

328- القاضي أبو الوفا البغدادي عرف بابن المرخم. اشتغل بالطب والنجوم

ومذهب الأوائل حتى انطفأ نور إيمانه ! وعلا شأنه. ثم ولى أقضى القضاة وظلم وعسف وارثى. وكان من سيئات المقتفى .

- قال صاحب مرآة الزمان: كان سكون الشيخ عبد القادر أكثر من كلامه، وكان يتكلم على الخواطر، فظهر له صيت عظيم وقبول تام. وما كان يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة أو إلى الرباط، وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود والنصارى.

وما كان أحد يراه إلا في أوقات الصلاة. وكان يصدع بالحق على المنبر وينكر على من يولى الظلمة على الناس. ولما ولى المقتفى القاضى ابن المرخم الظالم، قال على المنبر [موجهها كلامه للمقتفى]: وليت على المسلمين أظلم الظالمين، ما جوابك غداً عند رب العالمين؟

329 - أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان يقول فى القاضى

ابن المرخم :

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا خرف الزمان تراه أم جن الفلك
إن كنت تحكم بالنجوم فربما أما بشرع محمد من أين لك

330 - ويقول هبة الله بن الفضل أيضا :

يا حزينه الطمى الطمى قد ولى ابن المرخم
بدواته المفضضة ووكله المكعس
وى على الشرع والقضا وى على كل مسلم
اترى صاحب الشري عة قد جن أو عمى
فبلغ المقتفى ذلك فأخذ الشاعر بنكاله وعذبه ..

331- وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن بختيار الماندائى لنفسه فى ابن المرخم :

قد نلت بالجهل أسبابا لها خطر يضيق فيها على العقل المعاذير
مصيبة عمت الإسلام قاطبة لا يقتضى مثلها حزم وتدبير
إذا تجارى ذوو الأبواب جملتها قالوا جهول أعانتها المقادير

332 - لما بويع المستنجد الوزير ابن هبيرة على الوزارة، فتقدم فى هذا اليوم بالقبض

على ابن المرخم الذى كان قاضيا، وكان بئس الحاكم يأخذ الرشا ويبتل الحقوق، فاستصفيت

أمواله وأعيد منها على الناس ما ادعوا عليه، وكان قد ضرب فلم يقر، فضرب ابنه فأقر بأموال كثيرة، وأحرقت كتبه في الرحبة، وكان منها كتاب الشفاء وإخوان الصفاء وحبس فمات في الحبس ..

333- البوصيرى كان يعاني صناعة الكتابة والتصرف، وياشر الشرقية ببليس،

[وكتب عن بعض من تولى القضاء وعن كتابهم] تلك القصيدة المشهورة التى أولها :

فقدت طوائف المستخدمينا فلم أرفيهم رجلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم مع التجريب من عمرى سنيها
فكتاب الشمال هم جميعا فلا صحبت شمالهم اليمين
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهم فكأنما سرقوا العيون
ولولا ذاك ما لبسوا حريرا ولا شربوا خمورا لأندرينا
ولا ربوا من المردان مرذا كأغصان يقمون وينحنينا
وقد طلعت لبعضهم ذقون ولكن بعد ما نتفوا ذقونا
وأقلام الجماعة جائلات كأسياف بأيدي لاعبين
وقد ساوقتهم حرفا بحرف وكل اسم يخطوا منه سينا
أمولاي الوزير غفلت عما يتم من اللئام الكاتبين
تنسك معشر منهم وعدوا من الزهاد والمتورعين
وقيل لهم دعاء مستجاب وقد ملئوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كل أمانته وسموه الأмина

334 - وقال عكرمة: كانت القضاة ثلاثة فى بنى إسرائيل: فمات واحد فجعل الآخر

مكانه، فقضوا ما شاء الله أن يقضوا، فبعث الله ملكا على فرس فمر على رجل يسقى بقرة معها عجل، فدعا الملك العجل فتيح العجل الفرس، فجاء صاحبه ليرده فقال: يا عبد الله عجلي وابن بقرتي، فقال الملك: بل هو عجلي وابن فرسى !

فخاصمه حتى أعيأ، فقال: القاضى بينى وبينك، قال: لقد رضيت . فارتفعا إلى أحد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال له: مر بى على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يردده، قال: ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس مثلها فأعطى القاضى درة وقال: اقض لى؟ فقال: كيف يسوغ هذا؟! فقال: نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ! ففعل ذلك، فتبع [العجل] الفرس! فقضى له!!

فقال صاحب العجل: لا أرضى، بينى وبينك القاضى الآخر، ففعلا مثل ذلك، ثم أتيا الثالث فقصا عليه قصتهما وناولاه الملك الدرة الثالثة فلم يأخذها وقال: لا أقضى بينكما اليوم، فقالا: ولم لا تقضى بيننا؟

فقال: لأنى حائض !

فقال الملك: سبحان الله رجل يحيض؟! فقال القاضى: سبحان الله وهل تنتج الفرس عجلا؟! فقضى لصاحب البقرة، فقال الملك: إنكم إنما ابتليتم وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك ..

335 - ومن قول بعضهم [فى قاضى] :

أبكى وأندب ملة الإسلام إذ صرت تقعد مقعد الحكام
إن الحوادث ما علمت كبيرة وأراك بعض حوادث الأيام

336- روى أن عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني، تزوج امرأة من بنى عبد كلال، فقام بعض أوليائها فى إنكار ذلك، وترافعوا إلى يزيد بن حاتم المهلبى أمير مصر، فأمر أبا خزيمة [القاضى] أن يفسخ نكاحها لأنه ليس من أكفائها. فقال أبو خزيمة: ما أحل ما حرم الله ولا أحرم ما أحل الله. إذا زوجها الولى بإذنها فالنكاح ماض.

فعادوا إلى يزيد بن حاتم، ففرق بينهما ! فقال [عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني] فى ذلك:

أُعلنت الفَوَاحش فى البَوَادِي وصار الناسُ أعوانَ المُرِيبِ
إذا ما عبثُهم عابوا مَقَالِي لما فى القوم من تلك العُيُوبِ

وودُّوا لَوْ كَفَرْنَا فَاسْتَوتَوْنا وصار الناسُ كالشيءِ المشُّوبِ

وكنّا نَسْتَطِيبُ إذا مَرِضْنَا فصَارَ هَلاكُنا بيدِ الطَّبيبِ

قال أبو عمر الكندي: هذه المرأة هي أم شرحبيل بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن مرة بن اليسع بن عبد كلال وكان الذي عقد نكاحها عمها يعفر ابن عبد الله، وكان الصداق ألف دينار، وكان التفريق بينهما قبل الدخول ..

337 - [روى أن رجلاً] مات مقهوراً، بسبب أنه كان له صرة ذهب خشي عليها من السراق فأودعها عند بعض القضاة، ثم احتاج إلى شيء منها، فادعى [القاضي] أنها سرقت من منزله وحلف له على ذلك، فما استطاع أن ينازعه في ذلك لشدة سطوة القاضي المذكور وبادرته فكمد فمات ..

338 - قال أبو شامة: كان ابن شقيشة وهو النجيب أبو الفتح نصر الله الشيباني، مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك، وهو أحد المقدوح فيهم ولم يكن بحال أن يؤخذ عنه. أجلسه أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر ابن سني الدولة في ولايته قضاء القضاة بدمشق، فأنشد فيه بعض الشعراء :

جلس الشَّقِيشِقَةُ الشَّقَى ليشهدا بأبيكما ماذا عدا ممّا بدا

هل زلزل الزَّلْزالُ؟ أم قد أخرج الدَّجال أم عُدِمَ الرِّجال ذوو الهُدَى

عَجَباً لمحلول العقيدة جاهلٍ بالشرع قد أذنوا له أن يعقدا

339- كان بمصر راهب يقال له: الحبيش، كثير البذل للفقراء، وكان القاضي

الصاحب تاج الدين بضد ذلك ! فعمل فيه شرف الدين محمد البوصري الأديب :

انظر إلى هذه الدنيا تجد عَجَباً لله في كل مرئى ومسموع

تاه النصراني علينا بالحبيش وقد أباحهم منه خيراً غير ممنوع

فالجود أسعد بالتثليث صاحبهم والبخل أنحس قاضينا بتربيع

- قال مجد الدين إسماعيلي الحنفي: حضرت يوماً عند القاضي موفق الدين، فدخل إليه ثلاثة شهود ليشهدوا في مكتوب، فأعلم الاثنين وترك الثالث، ومضوا ! فحضر إليه الشاهد وحده فقال: يا مولانا قاضي القضاة، ما ذنبي أتوب منه؟ قال : رأيته منذ أيام مارا بأرض الطبالة ، فقال : أكان العبد هناك في ربية، فمولانا قاضي القضاة ما سبب كونه هناك؟ فأطرق ثم رفع رأسه فقال: أحضروا المكتوب؟ فحضر وسمع شهادته فيه وقبله، لأنه خشي أحد أمرين إما أن يقول: كنت في ضرورة، فيقول له: وأنا كنت في ضرورة. وإما أن يقول له: أنا يجوز لي دونك، فيقول: من أجازه لك وحرمه علي؟ وأرض الطبالة كانت لا يدخلها أو يقيد بها إلا أهل الفساد ..

340 - قال أبو شامة: تولى الحكم في زماننا ثلاثة مشهورون بالفسق: هذا الظالم، النجم بن الصدر بن سنى الدولة، والرفيع الحنفي، وابن الجمال المصري، وكان نائبا عن أبيه، وقلت في حصر القضاة ونوابهم :

دمشق فى عصرنا مع فضلها بُلِيَتْ من القضاة بجهالٍ وأوقاح
بأعجمين ومصرى وصانعهم وإربلى وخياط وفلاح
هم ضعف ستة والنواب كلهم ضعفان أحزانهم أضعاف أفراح

وقال أبو شامة: عزل عن قضاء دمشق النجم بن الصدر بن سنى الدولة، وأمر بالسفر إلى الديار المصرية، وكان حاكماً جائراً فاجراً ظالماً متعدياً، فاستراح منه البلاد والعباد، وهو الذى شاع عنه أنه أودع [لديه] كيسا فيه ألف دينار فرد بدله كيسا فيه فلوس، والدعاء عليه كثير والتظلم منه شائع والدعاوى عليه كثيرة . وذكر ذلك فى القصيدة التى هجى بها لما تولى الحكم ورفعت إلى الملك المظفر والمولى الأمير الجير، وابن وداعة. وأنشد العماد داوود الحموى لنفسه فى ذلك القاضي المعزول :

نجم أتاه ضياء الشمس فاحترقا وراح فى لجج الأدبار قد غرقا
ناحت عليه الليالى وهى شامته وعرفته صروف الدهر ما اختلقا
وحدثته الأمانى وهى كاذبة بأنه لا يرى بعد النعيم شقا

وجاد بالمال كى تبقى رئاسته وفتق الشرع والتقوى وما رتقا
فجاءه سهم غرب جل مرسله فمات معنى وما أخطاه من رشقا
وألقيت فى قلوب الناس بفضته لكنهم قد غدوا فى ذمه فرقا
وفرقة بقبيح الظلم تذكره وفرقة حلفت بالله قد فسقا
وفرقة وصفته بالخلاعة مع خبث وكبر وكل منهم صدقا

341 - العلامة الأصولي الفيلسوف رفيع الدين قاضي القضاة أبو حامد عبد العزيز

بن عبد الواحد الحيلي كان قد أمعن فى علم الأوائل وأظلم قلبه وقالبه! وقدم دمشق وتصدر ثم
ولى قضاء بعلبك للصالح إسماعيل، فوافق عليه وعلى وزيره السامري، ولما غلب إسماعيل على
دمشق ولاه قضاءها، فكان مذموم السيرة خبيث السريرة، وواطأه أمين الدولة على أذية الناس
واستعمل شهود زور ووكلاء، فكان يطلب ذو المال إلى مجلسه فيث مدع عليه بألف
دينار ويحضر شهوده ! فيتحرر الرجل ويبهت، فيقول الرفيع: صالح غريمك؟ فيصالح على
النصف ! فاستبيحت أموال المسلمين وعظم الخطب وتعثر خلق وعظمت الشناعات، وشرع فى
مصادرة الناس على يد الرفيع، وكتب إلى نوابه فى القضاء يطلب منهم إحضار ما تحت أيديهم
من أموال اليتامى !! وكان يسلك طريق الولاة ويحكم بالرشوة ويأخذ من الخصمين، ولا يعدل
أحدا إلا بمال ويأخذ جهرا !

واستعار أربعين طبقا ليهدى فيها إلى صاحب حمص فلم يردها، وغارت المياه فى أيامه
ويست الشجر وبطلت الطواحين. ومات أعجمى خلف مئة ألف فما أعطى بنته فلسا ! وأذن
للنساء فى العبور [من خلال] جامع دمشق وقال: ما هو بأعظم من الحرمين. فامتأ بالرجال
والنساء ليلة النصف واستغاثوا إلى الصالح، فطلب وزيره وقال: ما هذا؟ فخاف، وكان أس
البلاء الموفق الواسطى أحد أمنائه، فتح أبواب الظلم فبادر الوزير وأهلكهما لئلا يقرأ عليه
وليرضى الناس ويقال: كان الصالح يدرى أيضا، وحكى لى جماعة أن الوزير السامري بعث به
فى الليل على بغل بأكاف إلى قلعة بعلبك، ونفذ به إلى مغارة وأشهد على نفسه بيع أملاكه
للسامري [وزير الصالح إسماعيل] ! وسلم الرفيع إلى والى سيف النقرة داوود وترك أياما بلا
أكل، وأنه لما عاين الموت قال: دعوى أصلى ركعتين !! فقال له داوود: صل، فقام يصلى

فأطال فرفسه داوود من رأس [جبل] شقيف، فما وصل حتى تقطع وتلف. قال أبو المظفر في تاريخه، وقيل: إنه تعلق بذيله بسن الجبل، فما زال داوود يضربه بالحجارة حتى قتله. قلت: لا شلت يده فإنه كان من مساوي الدنيا! وقال سبط الجوزي: حدثني جماعة الأعيان أن الرفيع كان فاسد العقيدة دهرياً يجيء إلى الجمعة سكراناً وأن داره مثل الحانة ..

342 - وقال غيره: كان الرفيع فقيهاً بالعدراوية وبالشامية والفلكية، وكان يشغل الناس. وكان ذكياً كثير التحصيل، وصارت بينه وبين أمين الدولة على بن غزال الوزير صحبة أكيدة، فولاه قضاء بعلبك، فلما توفي القاضي شمس الدين الخوئي طلبه أمين الدولة وولى قضاء دمشق. فصار له جماعة يكتبون محاضر زور على الأغنياء ويحضرونهم فيخرجون المحاضر فيعتقلهم بالجواروخية، فيصالحون على البعض، ويسير في السر إلى أمين الدولة ببعض ذلك. فكثرت الشكاوى وبلغ السلطان، فأمر بكشف ما حمل إلى خزانة الدولة في مدته. وكان الوزير لا يحمل إلى الخزانة إلا اليسير. فقال الرفيع: الأمور عندى مضبوطة مكتوبة فخافه الوزير وشغب عليه قلب السلطان وحذره غائلته فقال: أنت جئت به وأنت تتولى أمره أيضاً. فأهلكه. ومن تعاليق عبد الملك بن عساكر قال: نزل الوالي ابن بكاء إلى دار الرفيع واحتاطوا على ما فيها وشرعوا بعد يوم في البيع، فمن ذلك أربعة عشر بغلة ومماليك، وتسعمائة مجلد وجوار وأثاث، وساروا بالقاضي فألبسوه طرطوراً وتوجهوا به نحو بعلبك .

وذكر صاحبنا شمس الدين محمد بن إبراهيم في تاريخه قال: وسبب عزله وإهلاكه الوزير السامري، فإن الرفيع كتب فيه ورقة إلى الملك الصالح يقول: قد حملت إلى خزانك ألف ألف دينار من أموال الناس. فقال الصالح: ولا ألف ألف درهم، وأوقف السامري على الورقة فأنكر. فبلغ الرفيع فقال: أنا أحققه، فقال السامري: وكان تمكن من الملك الصالح تمكناً عظيماً لا يخالفه في شيء البتة: هذا قد أكل البلاد وأقام علينا الشناعات، والرأى عزله ليتحقق الناس أنك لم تأمره. فعزله :

343 - وقال أحد الشعراء :

ترى الحسود به مستبشراً فرحاً مستغنياً من بوادي أمره ضحكا

وزيره ابن غزال والرفيع له قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكاء

وثعلب وفضيل من هما وهما أهل المشورة فيما ضاق أوضاعنا
جماعة بهم الآفات قد نشرت والشرع قد مات والإسلام قد هلكا
ما راقبوا الله فى سروفى علن وإنما يرقبون النجم والفلكا
إن كان خيرا ورزقا واسعا فلهم وإن كان شرا وأمرنا سيئا فلنا

344 - وأما سبب ولايته القضاء بدمشق، فإنه كان قد بلغ الملك المعظم عن القاضى جمال الدين المصرى قاضى قضاة دمشق أنه يتعاطى الشراب. فأراد تحقيق ذلك عياناً، فاستدعاه وهو فى مجلس الشراب فحضر إليه. فلما رآه قام إليه وناولته هنباً مملوءاً خمرًا. فولى القاضى جمال الدين المصرى ورجع، فغاب هنيهة ثم عاد وقد خلع ثياب القضاء ولبس قباءً ودخل على الملك المعظم فى زى الندماء، وقبل الأرض وتناول الهناب من يده وشرب ما فيه ونادم المعظم وأحسن منادمته فأعجبه، واعتذر من قراره أنه ما كان يمكنه تعاطى ذلك، وهو فى زى القضاة فاغتبط الملك المعظم به؟! [وكان الأمر توقف على نزع الملابس فقط ليحل ويباح له شرب الخمر وكان ملابسه هى ما سوف تحاسب عنه يوم القيامة] !!

345 - وأنشد ابن عنين فى تصوير القاضى جمال الدين المصرى، حين طلب فى وصيته أن يدفن فى داره بعد وفاته، فاتخذ الشاعر الحادثة موضوعاً [فقال] :

ما قصر المصرى فى فعله إذ جعل الحفرة فى داره
فخلص الأحياء من رجمه وخلص الأموات من ناره
وقد غمز فتيان الشاغورى فى نسبه دون أن يصرح باسمه علانية بذلك فيقول :
ما الجمال المصرى عندي إلا ذهب مثله يسك ويصرف
أمهم صرفه معرفة لكن أبوه منكّر ليس يعرف
فالصورة التى رسمها الشاعر المهجوه مزرية، فقد جعل ظاهره جميلاً له قيمة كالذهب، لكن سرعان ما حول تلك الصورة إلى صورة قبيحة، لا يعرفها أحد إلا بعد البحث عن أصله، وفى الوقت نفسه رمى أمه بالفحش حين جعلها مرتعاً للرجال، فضاع نسبه فلا يُعرف أبوه من بين الرجال الذين واقعهم أمه ..

346 - وقال [بعضهم] :

لنا قاض له رأس من الخفسة مملوء
وفى أسفله داء بعيد منكم السوء
وقال :

إن قاضينا لأعمى أم على عمى تعامى
سرق العبد كأن العبد من مال اليتامى
وقال أيضاً :

يا قاضيا بات أعمى عن الهلال السعيد
أفطرت فى رمضان وصمت فى يوم عيد
وقال :

إذا ملاح للعين أبو بكر فتى القاضى
وقد زاد من التيه على القاهر والراضى
فواجهه بامضاض وقابله بإغضاض
وقالوا فى حرأمر كقمد الحاكم الماضى

347 - وروى الأنصارى عن أبيه قال: أرسل هشام إلى ثمامة، فاستقصاه على البصرة وأجازه بستمائة درهم. وعن حميد، أن ثمامة بن عبد الله، كتب إليه خاله عبد الله يسأله عن رجل أوصى بثلثه في غير قرابته، فكتب أن أمضه كما قال. قال : [إنه] أمر أن يلقي في البحر !!

قال أزهري: استعدت امرأة على زوجها، عند ثمامة بن عبد الله وهو قاض، فادعت مهرها ألف درهم، فقال: ألك بينة؟ قالت: لا، قال: أفأحلفه لك؟ قالت: إنه فاجر يحلف، ولكن ابعث إلى إسحاق بن سويد الفقيه فسله أن يحلف لى عنه !! فأرسل إلى إسحاق بن سويد فلما حضر . قال له : احلف لهذه المرأة [بأن] لها على زوجها ألف درهم؟ قال إسحاق: ما أنا وهذا !؟ قال: فيبطل حق هذه المرأة؟ لتحلفن لها أو لأحبسنك، فلم يحلف فحبسه !! فأتاه ابن

سيرين فقال: لا ألومك على حبسك إسحاق، ولكن لم وليت القضاء؟ قال: أكرهني عليه السلطان. قال: كنت تعلمه أنك لا تحسنه. قال : أكنت أنا أكذب؟

348 - وكان مقاتل بن حسان على قضاء البصرة، فسأله رجل عن مسألة. فقال: لا أعرف الجواب فقال: أنت قاض ولا تحسن المسألة؟ قال: نعم إن الثور أعظم من الحمار ولا يحسن أن يركض ركض الحمار. قال: أيها القاضي، هذا مثلك؟ قال: بل هذا مثلي ومثلك. قال: فأيهما أنت؟ قال: أنبلهما وأعظمهما؛ يعنى الثور ..

349 - كان ابن بشير [المعافى قاضى قرطبة] قبل استقضائه، يفرق شعره إلى شحمة أذنيه، ويلتحف رداءً معصفراً على الرسم الأقدم، وكان حسن النرى جميل الخلق، فتمادى على زيه فى قضائه . قال ابن وضاح: أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة وعليه رداء معصفر وفي رجله حذاء صرار وعليه حمة مفروقة. ثم يقوم يخطب ويصلى فى زيه وكذا كان يجلس للقضاء بين الناس، وأن العيون لتغضى عنه مهابة، فإن رام واحد نبيل شيء من دينه وجده أبعد منالا من الشريا. ولقد أتى رجل مجلسه لحاجة عنت له فسأل عنه بعض من جلس إلى قربيه، فأرشدته إليه، فلما رآه فى زيه ذلك وآثار الزينة فى أطرافه من الخضاب والكحل والسواك بمحياه، رابه أمره واتهم من أرشده وقال: يا هؤلاء رجل غريب سألكم عن قاضيكم فسخرتم بي، سألكم عن قاض فتدلوني على زامر !! فأسكتوه فقالوا: ما كذبناك وزجر من كل ناحية. فقال له ابن بشير : تقدم واذكر حاجتك؟ ففعل الرجل ..

350 - [الشاعر شرف الدين أبو الحاسن بن عنين] : صب لهيب شعره وسياط لسانه [على القاضي بهاء الدين أبي العباس أحمد بن القاضي] وكانت له حذبة، فسلبه كل فضائله النفسية والخلقية فكان من هجائه فيه :

قد أصبح الملك ماله سبب فى الناس إلا البغاء والحدب
سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير منحذب
معايب كلها لو اجتمعت فى فاك لم تحاله الشهب

وقد أكثر ابن عنين من هجوه وذكر الحذبة فقال :

حاشا لعبد الرحيم سيدنا الفاضل مما تقوله السفل
وتب من قال إن حذبتة في ظهره من عبيدة حبل
هذا قياس في غير سيدنا يصح إن كان يحبل الرجل
وقال :

كم ذا التبظرم زائد عن حده ما كان قبلك هكذا الحذبان
ما طال في الليل البهيم سجوده إلا ليركع فوقه السودان

وقال أيضا :

عجبا لأحدب في دمشق وكتبه هن الكتائب عثن في الحذباء
أراؤه شهب البزاة فسل بها حلبا إذا انقضت على الشهباء
وكانه الزوراء والأقلام أسهمه بها يفرى كلى الزوراء
وقال :

إذا كلبنة ولدت سبعة فقف واستمع أيها السائل
وإن كلبنة ولدت تسعة تزوجن فالفاضل الفاضل

ويقول أيضا :

كل ذى أبنية له واحد يعلوه في حال نيله إياه
وله من عبيده خمسة سود كبار أيودهم أشباه
واحد فوقه وآخر يحشو بطليموسه المقوم فاه
ويده في أصل أيدي غلاميه التذاذا وآخر لقفاه
ويقول :

ذقن عبد الرحيم مع شاريه وعذاريه في است عبد الرحيم
وارم بالسب نجل شيث ولا تخش تجده تيساً بقرن عظيم

ويقول :

ذو طــــرفين إذا نــــسبــــتــــهــــما يحارفى ذاك كلُّ ذى لب
فالأختُ والأمُّ مــــن بنى شبق والأب والابن مــــن بنى كلب

فالشاعر سلب مهجوه نسيه، ونقل لنا صورة مزرية لتلك الأم والأخت، فكلتاهما تنتسبان إلى شبق، في الوقت نفسه نسب الأب والابن لبنى كلب في إشارة إلى ضعة نسيه، وبالتالي يكون المهجو قد ورث قذارة أمه وأخته ما جعله شخصية غير سوية لا تلائم المنصب الذى يتقلده . وفيه يقول ابن الخيمى :

يشبه القوس صورة فلهاذا قد غدت فى النفوس منه نبال

351 - القاضى الأعز محمد بن هبة الله بن خلف التميمي: ولى بانياس وهو الذى يكثر هجوه ابن منير الطرابلسي الشاعر، وكان أكثر الشعراء جرأة وسلطة لسان فى هجو القضاة وتجريحهم، بدأ باتهام [القاضى] محمد بن هبة الله، بالجهل ولا يحمل أى صفة تدل على معرفته بالقضاء سوى عمامة كبيرة فيقول :

هو قاضٍ كما يقولُ ولكن ما عليه من القضاء علامه
عمّة تملأ الفضاء على وجهه ضئيل كعشر عشر القلامه
وعليها من التصاوير ما لم يجمع الدقس بعضه أوقمامه
لو تخذنا البحر المحيط مداداً وجعلنا بيت الدنا أقلامه
من وحوشٍ رواتعٍ وظباء رثع بين أثلية وثمامه
وكلابٍ قد أضريت وبزاق فوق ما ثورت له حوامه
والنبيون كل من أظهر الحق وأورى بصير دقه أعلامه
فعليها أبو الخلائق قد عووض دار الدنيا بدار المقامه

ويقول:

لَا تَقُولُوا : كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ ثَبَاتًا فَوْقَ رَأْسِي أَخْفُ مِنْ دَوَامَةِ
غَيْرِ بَدْعٍ أَنْ تَحْمِلَ الْأَرْضُ مِنْهَا وَلَهَا مِنْ قَرْنِيهِ أَقْوَى دِعَامَةِ
أَحْمَقٍ لَوْ يُقَالُ فِي بَلَدِ الصِّينِ طِرَازُ أَمْسَى بِأَرْضِ الْيَمَامَةِ
كَانَ فِي بَانِيَّاسٍ يَقْضَى فَلَا يَنْفُذُ فِي قَدْرِ بَعْرَةِ أَحْكَامَةِ
مَكَنَ اللَّهِ دَرَّتِي مِنْ أَعَالِي سَفَلَ يَدْعُونَ فِيهِ الْإِمَامَةِ

ويعد العدل بالأحكام وتجنب الجور، من أهم الصفات المأمولة من القاضي بين الناس،
وقيل: إن من يستشعر الظلم من الآخرين ينتظر الإنصاف من القاضي .

وهناك من القضاة من رماه الشعراء بالجور والظلم.

فهذا أبو الجد المعري يتذمر من ظلم بعض القضاة في عصره وعسفهم بالرعية، ويرسم
صورة وحشية لأولئك القضاة، فهم ذئاب تتعقب شاة، وتوحى الصورة للمظلومين المغلوبين
على أمرهم ممن لا حول لهم ولا قوة فيقول :

تَوَلَّى الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ قَوْمٌ بِهِمْ نَزَلَ الْبَلَاءُ مِنَ السَّمَاءِ
كَأَنَّهُمُ الدُّنَابُ إِذَا تَعَاوَتْ سَوَاغِبُهَا عَلَى آثَارِ شَاءِ
يَقُولُ الْقَائِلُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ لَقَدْ جَارَ الْقَضَاءُ عَلَى الْقَضَاءِ

قال ابن عنين: مخاطبًا الملك المعظم، حين أمر بترح ماء خندق القلعة بدمشق، فأعيا
الناس نزحه لكثرة ما فيه من ماء، وقد نال الناس من ذلك جهد عظيم :

أَرَحَ مِنْ نَزْحِ مَاءِ الْبِرْجِ يَوْمًا فَقَدْ أَفْضَى إِلَى تَعَبٍ وَعِي
مَرِ الْقَاضِي بِوَضْعِ يَدَيْهِ فِيهِ وَقَدْ أَضْحَى كِرَاسِ الدَّوْلَعِي
ويقول أسامة بن منقذ: مصورا فساد أجهزة الحكم، وعدم جدارة الحكام [أى القضاة]
لتولى مناصبهم بأسلوب يميل إلى السخرية والتهكم، ويشير مبينًا متى يحكم المظلوم بالعدل إذا
كان الحاكم هو خصمه كما يقول:

ظَلَمْتُ نَبِيَّ دَوْلَةَ الْعَدْلِ فَمَنْ يَكْشُرُ ظِلْمِي
وَمَتَى يُحْكَمَ لِي بِالْعَدْلِ وَالْحَاكِمَ خَصْمِي

تعبير صريح للحاكم واتهامه بالظلم في الحكم، ونقد يبين فساد القضاء وميله إلى الخسوية ..

352- أنشد حكيم بن عكرمة الديلي في أبي بكر بن عمرو بن حزم [قاضي المدينة]:
وكان سبب هجاء الأحوص لابن حزم ، أن أبا أم جعفر التي يشبب بها الأحوص ويقال له:
أيمن، استعدى أبا بكر بن حزم على الأحوص، وكان ابن حزم ييغض الأحوص، فأحضره،
وقال له: شهرت أخت الرجل، قال: ما فعلت، فقال: قد أشكل على أمركما، وأعطاهما
صوتين، ثم قال: اجتلدا بين يدي، وكان الأحوص قصيراً دميماً، وكان أيمن طويلاً فضربه حتى
صرعه، وأنخنه. ويزعمون: أن الأحوص أحدث، وقال أيمن في ذلك :

لقد منع المعروف من أم جعفر أشم طوال الساعدين غيور
علاك بضرع السوط حتى اتقيته بأصفر من ماء الصفاق يفور
ولما رأى [الأحوص] تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد، ثم شخص إلى الشام يمدحه،
فدخل عليه، فأنشده فلما بلغ إلى هذين البيتين :
وعجبت أن ركب ابن حزم بغلة فركوبه فوق المنابر أعجب
وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً سبحانه من جعل ابن حزم يحجب
فقال الوليد: صدقت، والله لقد أغفلنا ابن حزم، ثم دعا كاتبه، وقال: اكتب عهد
عثمان بن حيان المرى على المدينة، واعزل ابن حزم، واكتب إليه أن يستصفي أموال ابن حزم
وأن يسقطوا من الديوان.
قال مالك بن أنس عن ربيعة: رأيت أبا بكر بن حزم، وهو قاض يقضى في المسجد،
وهو على رأسه حرس معهم سياط ! فقلت لمالك : وما شأن السياط؟

قال: يذبون الناس بها !!

353- قال عبد الله الجمحي: كان محمد بن عمران القاضي، وكان بالمدينة مجنون
يكنى أبا حجر، فمر ابن عمران يوماً وهو يشتم الناس فقال: يا أبا حجر كف عن شتم الناس،
فقال: والله لأشتمنهم ولأشتمنك معهم إن أتيت . فضربه ابن عمران بسوطه، فلما وجد حر
الضرب جعل يقول: أشهد أنك قاض أحق، أنا أقول لا أشتم الناس، وهو يقول: بلى والله

لشتمتهم. قال عبد الله بن إبراهيم: زعموا أنه [أى ابن عمران القاضي] أراد الخروج إلى ضيعة له وأراد أن يخرج بعجوز له، فأمر أن يستأجر لها دابة، فأبوا أن ينقصوا [أجرهما] عن ثمانية عشرة في مسيرة يوم، فقال: أعلم أن في بغلي فضلاً، فجعل عليه محملاً وركب معادلاً لها، ومر على مجالس المدينة يسلم عليهم ولم يغرم ثمانية عشرة درهماً. ولأبي الشدائد الفزاري يهجو ابن عمران :

عند ابن عمران زهو غير ذى رطب وعنده رطب فى التخل ممنوع
وله أيضاً :

إنى لأستحي لتيمم من الذي أطلق ابن عمران الطويل من البخل
يرى خدباً شحماً طويلاً وإنما عصا خروج بين العمامة والنعل
وعن سليمان بن أبي شيخ قال: كان محمد بن عمران على قضاء المدينة، فتقدم إليه رجل فتكلم بشيء، فقال لقيمه: أقمه عند رجلى البغلة، قال : وبغلته مريوطة بحباله، فقال له الرجل: أصلحك الله كيف حلها؟ فقال له ابن عمران: أتماجن على؟ اذهب به إلى السجن .

قال محمد بن عمران لسالم بن أبي الغفار وكان ماجناً: ويحك يا سالم لك هيئة وسمت أفلا تقصر عما أنت فيه؟ فقال: والله إني لأهم بذلك، فإذا رأيت دار ابن عمك طلحة لم يخسف بها، علمت أن في الأمر مهلة ! وكان طلحة بن بلال مع موسى بن عيسى بالكوفة شيخاً ماجناً أخبث الناس .

وقيل : كان محمد بن عمران على قضاء المدينة وصلاًهما، وكان بها رجل من البزازين، يقال له: أبو المفلح أفسد ماله حتى أفلس، وكان ابن عمران إذا أراد أن يستحلف إنساناً قال: إن كنت كاذباً صيرك الله مثل أبي المفلح. فجاء يوماً أبو المفلح إلى ابن جندب الهذلي الشاعر فقال له: ببني وبينك الوالي، قال: لم، أبيني وبينك خصومة؟ قال: ستعلم إذا صرنا إليه، فلما صاروا إلى ابن عمران قال أبو المفلح: أصلحك الله، أما آن لك أن تكف عني؟ قال: من ماذا؟ قال: من قولك صيرك الله مثل أبي المفلح، أنا رجل كنت تاجراً فذهب مالى وهذا ابن جندب، كان صالحاً ففسق، وكان مستوراً فتهتك، وكان إمام مسجد فصار يقول الشعر ويغنى فيه، فأينا أسوأ حالاً في الدنيا والآخرة أنا أو هو؟ قال: بل هو، فقال: أصلحك الله، لم لا تدعو:

صيرك الله مثل ابن جندب؟ أو اعفني، قال: صدقت، وأنا فاعل ! فلما خرجا من عند ابن عمران قال ابن جندب لأبي المفلح: إنما جئت لهذا، أما والله لأفضحك اليوم وتعير به غدا!!
عن إسحق التيمي، قال: أخبرني جدة أبي، أم سعيد بنت إبراهيم بن عثمان، عن زوجها عبد الرحمن بن طلحة قالت كتب إلى :

هبينى امرءاً أذنبت ذنباً جهلته ولم آتِه عمداً وذو الحلم يجهل
فقد تبت من ذنبي وأعتبت فاقبلي فمثلك من مثلي إذا تاب يقبل
عفا الله عما قد مضى لست عائداً فهأنذا من سخطكم أتنصّل
فعودي بحلم واصفحى عن إساءتنا وإن شيت قلنا إن حكمك مرسل

فركب إليه ابن عمران القاضى فقال: لو قلت: إن شئت إن حكمك مرسل. فقال: لو قلتها فهي طلاق .

وعن ابن الجراح قال: جاء محمد بن عمران إلى الجمعة يتخطى رقاب الناس! فقام إليه رجل فقال: أصلحك الله، إنك قاض من قضاة المسلمين وإمام من أئمتهم، فإذا رآك الجاهل قال: هذه سنة، قال: من أنت؟ قال: نما الخياط، قال: أما والله لو كنت من قريش لسمعت الجواب !!

وعن عبد الحميد بن عبد العزيز عبد الله بن عمر قال: كان محمد بن عمران فيمن تخلف عن الخروج مع محمد بن عبد الله بن حسن، فلما ظهر عليه المنصور أمر بأصحابه يلتقطون في كل وجه، فكان محمد بن عمران يقول : اللهم حوالينا ولا علينا ، فبلغ أخى عبد الله بن عبد العزيز العمرى فقال: هل رأيتم أجهل بالله من هذا القاضى يدعو على المسلمين؟ وقال فيه شاعر :

يا قفل جود ضلّ مفتاحه فلم يـريوماً بمفتوح
ما أرتجى من صنم قائم ليس بذى نفع ولا روح
كمركة البقال يبدو لها ريح وليس الطعم كالريح

حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: لما قدم أبو جعفر المدينة في الحج تلقاه الناس فترلوا يمشون بين يديه، ولم يترل ابن عمران القاضي فوقف على بغلته، وقال: بارك الله لأمير المؤمنين في مقدمه وأراه السرور والعافية في أمره، فقال أبو جعفر: من هذا الأهو؟ قالوا: قاضيك على المدينة. قال: اضربوا وجه بغلته، فجعلوا يضربون البغلة، فجعل [يقول]: اللهم غفرا البغلة نفور وهذه سنة لا نعرفها، فضحك أبو جعفر وقال: دعوا الشيخ.

وأنشدنا محمد بن عميلة الفزاري يهجو بن عمران:

لما رأيت ابن إبراهيم أبخلنا وكنت من نضريسوا بسؤال
قربت ناجية حرفاً مقتلة تهوى بمنخرق السربال ذيال
يرى الشليل عليها حين ترفعه كدرع صوف على خرقاء شمال
لئن بخلت علينا يا ابن عمتنا لنأتين ابن أخت غير بخال

قال حكيم بن طلحة الفزاري: نزل جماعة من بني منصور على محمد بن عمران ابن إبراهيم، وفيهم محمد بن عميلة، فحملهم محمد بن عمران على أباعر لم يرضوا بها، فقال محمد بن عميلة:

بنو حسن كانوا محل رجائنا قديماً وما كنا ابن عمران نتبع
أقمنا زماناً ثم رحنا عشية على قاطبات النكارى توضع
ولو كان عبد الله ألقى رحالنا على كل فتلاء الذراعين جرشع

354- عبد العزيز بن المطلب القاضي، خطب امرأة من آل عمر بن الخطاب فردته،

وخطب إلى بني عامر بن لؤى فزوجوه، فقال ابن هرمة:

خطبت إلى كعب فردوك صاغرا فحوّلت من كعب إلى جذم عامر
وفى عامر عزّ قديم وإنما أجاك فيهم هلك أهل المقابر
وقال:

أبالبخل تطلب ما قدّمت عرّانين جادت بأموالها
فهيها خالفت فعل الكرام خلاف الجمال بأبوالها

قال مصعب بن عثمان: كانت عندنا مجنونة تتلقف الكلام القبيح، فتضرب به على
الكبر، فمر بها عبد العزيز بن المطلب، وكان قاضياً رديء العينين، كثيراً ما يطرف بهما، فقالت
لما رآته :

أرق عيني ضراط القاضي هذا المقيم ليس ذاك الماضي
قد رمدت عيناه من الإغماض كمثل مع البرق للتوماض
فلما سمعها قال: اعزبي، [ثم قال لي]: تراها تعني فلاناً إنساناً آخر !!

وعن زبير بن عبد الملك بن الماجشون قال: كتب عيسى بن موسى وهو ولي عهد، إلى
عبد العزيز بن المطلب: اركب إلى فلان الفزاري فاخطب على ابنته فلانة؟ فركب عبد العزيز
إلى الفزاري، فذكر له ما كتب إليه به ولي العهد ورغبه في مصاهرته ، فقال الفزاري: والله لا
أزوج الصغرى قبل الكبرى، فجهد به، فأبى، فخطب عبد العزيز الكبيرة على نفسه فزوجها
إياها، ثم أعاد الخطبة فخطب الصغيرة على عيسى بن موسى فزوجه إياها، وكتب إلى عيسى: قد
زوجتك فلانة، وتزوجت أختها الكبرى، وما كانت لي بها حاجة غير أنه كان من الخير كيت
وكيت .

كم تعني لي هشام ذلك الجلف الطويل
بعد وهن وهوفي المجلس سكران يميل
هل إلى بان بسلع آخر الليل سليل
قلت للئدمان ما دارت السراح الشمول
بأبي مال هشام فكم مال فمياوا

355 - عن عبد الجليل بن عامر بن عبيدة الباهلي عن أبيه قال: أتيت عبد الملك بن
يعلى لما ولي القضاء، فوجدت بابه مغلقاً والناس مجتمعون فاستأذنت، فأذن لي وهو يتململ
كالمرأة الماخض فقلت له: مالك؟ فقال: وليت القضاء . فلما عزل أتيته وهو يتململ فقال:
عزلت واشماتة الأعداء ..

356- ولى القاسم عامر بن عبيد الباهلى القضاء بالبصرة، وأنشد أبو زيد في عامر

ابن عبيدة :

متى كان فى أعراب باهلة التّقى وفصل القضايا بعد طول التّشاجر

له لحية شابت دوائر وجهه كأن على أطرافه سلاح طائر

357 - عبيد الله بن الحسن ولى قضاء البصرة فتهجم من قبيح مذاهبه وتناقض قوله،

ومما أنكروه أنه كان يقول: إن القرآن يدل على الاختلاف، فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب، والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب، ومن قال بهذا فهو مصيب ومن قال بهذا فهو مصيب! لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين واحتملت معنيين متضادين !

وسئل يوما عن أهل القدر وأهل الإجبار؟

فقال: كل مصيب هؤلاء قوم عظموا الله، وهؤلاء قوم نزهاوا الله.

قال: وكذلك القول في الأسماء، فكل من سمى الزاني مؤمنا فقد أصاب، ومن سماه كافرا

فقد أصاب !

ومن قال: هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال: هو منافق ليس

بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال: هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب، ومن قال: هو كافر

مشرك فقد أصاب!

لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني.

وقال: وكذلك السنن المختلفة، كالقول بالقرعة وخلافه والقول بالسعاية وخلافه وقتل

المؤمن بالكافر ولا يقتل مؤمن بكافر، وبأى ذلك أخذ الفقيه فهو مصيب!

ولو قال قائل: إن القاتل في النار كان مصيبا، ولو قال: هو في الجنة كان مصيبا، ولو

وقف فيه وأرجأ أمره كان مصيبا، إذ كان إنما يريد بقوله إن الله تعالى تعيده بذلك وليس عليه

علم الغيب!

وكان يقول في قتال على لطلحة والزبير وقتاهما إن ذلك كله طاعة لله تعالى !! وفي

هذا القول من التناقض والخلل ما ترى وهو رجل من أهل الكلام والقياس وأهل النظر ..

358 - قال حسين بن حسن المرزوي: خرجت في جنازة وفيها عبيد الله ابن الحسن فجلست إليه وهو قاض يومئذ فسألته عن مسألة فأخطأ فيها، فقلت: هذا خطأ، ولم أرد لهذا إنما أردت أرفعك إلى ما بعد. فأطرق فقال: كيف هو؟ فقلت: كذا وكذا، فأطرق ثم رفع رأسه فقال: صدقت. أخطأت والصواب ما قلت ..

359- عن عبد الله بن منصور، قال رجل لعبيد الله بن الحسن: [قاض كان لأهل البصرة]، قدم إليه وقد طالت خصومته عنده، أنازع إليك منذ سنتين، ما قطعت شعرتين ولا فتت بعرتين .

ويروى أن امرأة تقدمت إلى عبيد الله بن الحسن [القاضي]، فقال لها: لأضعن القضاء منك بموضع الخاتم من أهل الذمة يريد عنقها، قالت له: إذا تخطى به كذا وكذا تريد الفرج، وأفصحت به، فترك المزاح بعد ذلك.

وتقدم إبراهيم الخلمي إلى عبيد الله بن الحسن، وكان من نساك البصرة، فقال له: اتق الله وانظر في أمورنا، فإنك لست تفعل فيها شيئاً من حين ..

360- حدثني عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة قال: كانت عندي جارية أعجمية وضيئة فكنيت بها معجبا، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي فانتبهت فلم أجدها وقلت: شر، فلما وجدتها وجدتها ساجدة وهي تقول: بحبك لي اغفر لي! قلت لها: لا تقولى هكذا قولي بحبي لك. فقالت: حبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وحبه لي أيقظ عيني وأنام عينك . قلت: فاذهبي فأنت حرة لوجه الله ..

361 - هرب عبيد الله بن الحسن [لما أرادوا أن] يستقصونه ! فقال له أبوه : يا بني إن كنت هربت طلبا لسلامة دينك فقد أحسنت، وإن كنت هربت لتكون أحرص لهم عليك فقد أحسنت أيضا. فاستقصى !!

362 - قال ابن عائشة: شهد جماعة عند عمر بن عثمان التيمي بشهادة، فكان فيهم رجل قد شهدته في بعض المشاهد فلما نهضوا أجلسه فقال: تجترئ تشهد عندي، وقد شهدتك في مجلس فيه غناء وشراب ! فقال الرجل: شهدتك في مجلس أنت المغني وأنا المستمع !! [إن]

جاز أن تلى القضاء، أفلا يجوز أن أكون أنا شاهداً؟ قال: بلى فأجاز شهادته. وأنشد أبو يحيى الزهرى لأبي حفص التيمي في عمر بن عثمان:

يا أبا حفص أبا التميم ابن عثمان الظالم
فلقد أحيا بك الله لنا قاضى سدوم
أنت بالضرب كفيل مع بنا دور وشوم
كنت أحرى منك أن تحكم فى مال يتيم

363 - أجور من قاضى سدوم: هى مدينة من مدائن قوم لوط، كان بها قاض جائر. وقيل: هو ملك جائر كان له قاض أجور منه ! وقال عمرو بن الدراك العبدي، وذكر فجور أبي رغال وخبثه، فقال :

وانى إن قطعت حبال قيس وحالفت المزون على تميم
لأعظم فجرة من أبى رغال وأجور فى الحكومة من سدوم

364 - قال أبو الليث فى موسى بن خلف صاحب ابن الفرات :

أف من دولة بموسى تقوم ما نراها مع البلاء تدوم
ما قضى مثل ما به النذل يقضى فى جميع الأمور قط سدوم

365 - قال الشاعر أحمد محرم :

شر القضاة سجية وأضرهم قاض يرى الإنصاف غير حلال
ويقول :

يقضى ويحكم فى الشعوب قاض يجور وحاكم يتجبر
يجرى الأذى فى مستبد قضائه ملء الزمان ويستفيض المنكر
ركب العمى فإذا الضلال سبيله وإذا الهوى إنجيله المتخير
زلفى المقرب فى أثيم كتابه أمم تقتل أو شعوب تنحر
الأرض ميراث القوى فإن مضى يبغي الزيادة فالسما المظهر

366 - وقال أبو العلاء المعري :

أما والله لو أننى تقىُّ لما أخيتُ مثلكَ، وهو قاضٍ
ولكنْ بتُّ شرّاً منك فعلاً فأغيتُ الودادَ عن التقاضى
قد تجمعنَا على غير هدى وتفرّقنَا على غير تراضٍ

367 - وقال ابن الرقاق البلسى :

قاضٍ يجورُ على الضعيفِ وربما لقي القوى بمثل حلم الأحنف
لعبت بطلعته الرُّشا لعب الرُّشا بضوَادِ خُفَّاقِ الجوانحِ مُدَنِّفٍ
ويقول :

رئيس الشرق محمود السجايا يقصّرُ عن مدائحهِ البليغِ
نسَمِيهِ بيحيى وهو ميت كما أن السليم هو اللديغِ
يعافُ الوردَ إن ظمئتُ حشاه وفى مالِ اليتيم له ولوغِ

368- قال الأصمعى: لقيت قاضى سبدان فقلت: على من تقضى؟ فقال: على

الضعيف!

369 - ويقول الشاعر الباخري:

واحسّرنا لرداه لولا أنّه حكمُ الإله ولا مردُّ لما قضى
قاضٍ مضى لسبيله لما قضى ما كان أولّ من قضى ثمّ انقضى
ودهشتُ حتى لست أدري أنّه ماضٍ قضى أو أنّه قاضٍ مضى
وقال :

قضى نحبهُ الشاشى نصرٌ وحكمهُ حاجة طُلابِ الغنى بعطائه
فها هو قاضٍ ذو ثلاثة أوجُهٍ ولم يكُ ذا الوجهين يومَ قضائه

370 - قال ابن مهدي: مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي: كنت في عيني أجلّ من أن تسألني عن حديث عليه السلام ونحن نمشي. وسأله جرير بن عبد الحميد الضبي عن حديث وهو قائم، فأمر بحبسه! فقبل له: إنه جرير بن عبد الحميد وهو قاض! فقال: إن القاضي أحرى أن يؤدب ..

371 - وقال يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد الأصيلي المصري الأديب الشاعر المشهود ذكره :

رب قاض قبل الرشوة لما أن تملك قال للظالم إني سأنجيك وأهلك

372 - محمد بن أحمد الحفصوى الإمام الشاعر يهجو الخراساني القاضي :
تَرْخُسُ عَنْ حَلَى الْمَعَالَى عُطْلُ وَعَنْ سِمَاتِ الْمَكْرُمَاتِ غُفْلُ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا الْيَوْمَ إِلَّا تُفْلُ قَاضٍ خَبِيثٌ، وَرئيسٌ عَبْلُ

373 - قال الوزير أبو عامر بن عبدوس :

لَنَا قَاضٍ لَهُ خَلْقٌ أَقْلُ ذَمِيمُهُ الْفَنَزَقُ
إِذَا جُنَّاهُ يَحْجِبُنَا فَتَلْعَنُهُ وَنَفْسُهُ تَرَقُّ

374 - عبد المؤمن بن يحيى السجلماسى له في ذم قاض :

أَيَا عُرَّةٍ فِي جَمِيعِ الْقَضَاةِ وَأَجُورَ قَاضٍ قَضَى وَاحْتَكَمَ
أَمْثَلُكَ يَصْلُحُ فِي قُطْرِنَا يَلِي الْحُكْمَ فِي الشَّرْعِ بَيْنَ الْأُمَمِ
وَدَارُكَ مَفْسُوقَةٌ لِلزَّنَاةِ يَنَازِلُكَ بِهَا كُلُّ الْكَلَامِ
فَقُلْ لَوْلَا الْأُمُورُ لِلْإِمَامِ أَبْعَدَ الْفَقِيهِ عَلَى الْحُكْمِ
نَوَلَى الْقَضَا مِثْلَ هَذَا الْبَغِيضِ وَنَجَمُ قِيَادَتِهِ قَدْ نَجَمَ
نَصَحْتَ لَكُمْ فَاقْبَلُوا نَصَحَ مَنْ يَرَى قَتْلَ قَاضِيكُمْ فِي الْحَرَمِ

375 - سمعت أبا محمد مهدي بن تميم الصنهاجي بالثغر يقول: سمعت أبي الأمير أبا

يحيى تميم بن المعز بن باديس الحميري بالمهدية يقول في قاض من قضاته :

كالثور جهلاً ومثل التيس معرفة فلا يفرق بين الحق والزند

والجهل شخص ينادى فوق هامته لا تسألوه فما بالربع من أحد

376 - أبو بكر يحيى بن سهل اليكبي، هجاء المغرب، ومن شعره قوله :

تسمع أمير المسلمين لنباها تصم لها الأذان في كل مشهد

بمرسية قاض تجاوز حده وأخطأ وجه الرشد في كل مقصد

يطلبه الأيتام في جل مالهم ويطلبه في حقه كل مسجد

فما بيضت كفاك بالعدل لم تزل تسوده بالجور كف ابن أسود

377 - عن الشعبي قال: كان قاض في بني إسرائيل فأهدى إليه رجل مسرجة ثم

خاصم إليه، فبلغ خصمه أنه أهدى إليه مسرجة، فأهدى إلى القاضي بغلة، ثم تخصما إليه،

فجعل صاحب المسرجة يقول: أيها القاضي، اقض بيني وبينه قضاء يضيء كما يضيء السراج

على المسرجة، فلما رأى خصمه إلحاحه بالمسرجة، قال: ويحك إن البغلة قد رحمت المسرجة ..

378 - اختصم رجلان إلى حاكم فدنا منه أحدهما وقال: قد وجهت إلى دار القاضي

فراريج كسكرية وحنطة بلدية وشهادة رومية، فقال القاضي بصوت رفيع: إذا كانت لك بينة

غائبة تنتظرها، فليس هذا مما يسارع فيه !

- تحاكم رجلان إلى المغيرة الثقفي قاضي الحجاج، فأهدى أحدهما منارة والآخر بغلة،

فرأى صاحب المنارة القاضي مع صاحبه، فأراد أن يذكر القاضي فقال: أمرى أضوا عند

القاضي من سراج على منارة عظيمة ، ففطن القاضي لقوله فقال: اسكت فإن البغلة رحمت

المنارة فأطفأت نورها.

فقال :

إذا ما صُبَّ في القنديل زيتٌ تحوَّلت القضيةُ للمقنِّل

قال ابن طباطبا في أحد القضاة :

يا خليلي يا أبا الغيثِ درّكْ نصبَ القاضي لك اليومَ شرّكْ
طلب البرطيّلَ فابذُلْهُ لهُ يسكُتُ القاضي وإلا ذكركُ
لا يهولنّك دنيّتُـهُ أعطهُ من رشوةٍ ما حَضَرَكَ

وقال في أحمد بن عثمان البري :

وفينا عاملا عدلٍ وجورٍ هما حلفا انبساطٍ وانقباضٍ
فوالى حربنا فى وصفِ قاضٍ وقاضينا عقابُ ذو انقضاضٍ

واتفق أن وافى أصبهان عليلا فاحتجب أياما، وحضر فيل فكثرت النظارة عليه فمنع عنه الناس إلا ببذل فقال :

شيئان قد حار الورى فيهما بأصبهان الفيّل والقاضي
ليس يُرى هذا ولا ذا فكم من ساخطٍ منّا ومن راضٍ
الفيّل يرشى عند سنديهِ فأين سنديك يا قاضي

379 - وعن العيان أنه سئل عن قاض، فقالوا: جمع فأوعى وسئل فأكدى وحكم

فتعدى! وأنشد :

أبكى وأنذب مهجة الإسلام إذ صرت تجلس مجلس الحكام
إن الحوادث ما علمت كثيرة وأراك بعض حوادث الأيام

380- حدثنا أبو الحكم عن الفضل بن الربيع: قال أبو دلالة لعافية القاضي :

لقد خاصمتنى غواة الرّجال وخاصمتهم سنّةً وافية
فما أدحض الله لى حجّة وما خيب الله لى قافية
فمن كنت من جوره خائفاً فلسّت أخافك يا عافية

فقال: أشكوك إلى أمير المؤمنين، قال: إذا يعزلك! قال: لم؟ قال: لأنك لا تعرف الهجاء

من المديح ..

381 - قال أبو وهب: سمعت ابن المبارك يقول: استقضى على مرو قاض وكان من

أحسد الناس للناس ! فلما خلوت به قلت له: أيها القاضي رأيتك تنظر إلى ذلك المصلوب أفحسدته؟! قال: إى والله حسدته على كثرة اجتماع الناس عليه !!

382- عن إسماعيل بن علي الخطبي قال: ولى المعتصم القضاء شعيب ابن سهل الرازي

الملقب بشعوبيه القاضي، وكان جهميا يصرح بالخلق وينفى الصفات والرؤية، وجعل إليه الصلاة بالناس في مسجد الرصافة وفي أيام الجمع والأعياد، وكان يمتحن الناس، وثب قوم في مسجد الرصافة على رجلين من الجهمية فضربوهما وأذلوهما، ثم مضوا إلى مسجد شعيب بن سهل الرازي القاضي، يريدون كتاباً كان كتبه على مسجده يذكر فيه أن القرآن مخلوق، فأشرف عليهم خادم لشعيب، فرماهم بالنشاب، فوثبوا فأحرقوا باب شعيب، وانتهب منزله وأرادوا نفسه فهرب منهم، وهو أول قاض حرق بابه وانتهب منزله فيما بلغنا، وكان يقول قول الجهمية مبغضا لأهل السنة متحاملا عليهم منتقضا لهم لا يقبل لأحد منهم صرفا ولا عدلا !

383 - أحمد بن أبي داوود الإبادي: [كان علي] قضاء القضاة للمعتصم والوائق

وبعض أيام المتوكل. وخليفته ابنه أبو الوليد، وكان يمتحن الناس في القرآن ويضرب ويقتل عليه! وأفسد الخلفاء في هذا الوقت في المذهب. وأوقف أصحابه للناس في المدن فصاح عليهم الناس الخيانة والفجور بكل بلد. [فلما غضب عليه] الواائق، أطلق بعض من كان في السجون ممن حبس ابن أبي داوود، نادى مناد في أسواق بغداد: ستة أنفس من قرابة لابن أبي داوود، من جاء بواحد منهم فله مائة ألف درهم، وأخذ المتوكل كل أمواله وحبس إخوته عند عبيد الله بن السرى صاحب الشرطة. فحمل أبو الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجواهر بقيمة عشرين ألف دينار ! ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم! وأشهد عليهم جميعا ببيع كل ضيعة لهم، وكان أحمد بن أبي داوود قد فلج وبطل لسانه فكان لا يتكلم. فدخل أبو

العيناء فقال له: ما جئتك مسلماً ولا معزياً، ولكن جئت لأحمد الله فيك إذ حبسك في جلدك، وأبقى لك عيناً تنظر بها إلى زوال النعمة عنك. وقال محمود الوراق:

خنازيرُنا مَوا عن المَكرَماتِ فـانْبَهُهُم قـد رُئِىَ يـنـم
فيا قـبـحَهُم عَندَما حَوَّلُوا ويا حـسَنَهُم فـى زوالِ النِّعَمِ

حدثنا الحسن بن ثواب المخرمى قال: سألت أحمد بن حنبل، عن أحمد بن أبي داود؟ فقال: كافر بالله العظيم. وحدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، حدثني أبي قال: سمعت بشر بن الوليد يقول: استتيب أحمد بن أبي داود من القول بخلق القرآن ثلاث مرات، يتوب ثم يرجع.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن هاني قال: حضرت العيد مع أحمد بن حنبل، فإذا بقاص يقول: على ابن أبي داود لعنة الله وحشا الله قبره ناراً، فقال أحمد بن حنبل: ما أنفعهم للعامة. وأنشد أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى لنفسه:

تَزوّد من معاشك للمعاد وتَقوى اللّٰه فاعلم خير زاد
ولا تجمّع من الدنيا كثيراً فبعض الجمع أسرع للنّفاذ
وقل لمطالب الدنيا رويداً أما وعظتك فى ابن أبى داود
أقام يدير الأفاق حيناً ويصطنع الصنائع فى العباد
فأصلح أمره عشرين عاماً فكان صلاحه سبب الفساد
فبدل من فوائده الرزايا وكان الأولياء هم الأعادي
فحسبك من صروف الدهر دينا مواعظ لو توافق ذا فؤادي
وقد [هجا] الشعراء ابن أبي داود بشعر كثير جداً ..

384- كان على بن الجهم من الحشوية، فلما سخط المتوكل على أحمد بن أبي داود، وكان شديد النصب عدواً للتوحيد والعدل شتم به فهجاه وقال فيه:

يا أحمد بن أبى دواذِ دعوة بعثت عليك جنادلاً وحديدا
ما هذه البدع التى سميتها بالجهل منك العدل والتوحيد

أفسدت أمر الدين حين وليته ورمىته بأبى الوليد وليدا
لا محكماً جليداً ولا مستطرفاً كهلاً ولا مستحدثاً محمودا
شرها إذا ذكر المكارم والعلل ذكر القلايا مبدئاً ومعيدا
ويود لو مسخت ربيعة كلها وبنو إيادٍ صحفةً وثريدا
وإذا تربع فى المجالس خلته ضبعاً وخلت بنى أبيه قرودا
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته شرقاً تعجل شربه مردودا
لا أصبحت بالخير عين أبصرت تلك المناخر والثنايا السودا
وقال يهجو له لما فلج :

لم يبق منك سوى خيالك لا معاً فوق الفراش ممهداً بوساد
فرحت بمصرعك البرية كلها من كان منهم موقناً بمعاد
كم مجلس لله قد عطلته كى لا يحدث فيه بالإسناد
ولكم مصابيح لنا أطفأتها حتى نحيد عن الطريق الهادي
ولكم كريمه معشر أرملتها ومحدثٍ أوثقت فى الأقياد
إن الأسارى فى السجون تفرجوا لما أتتك مواكب العواد
وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد لدواء دائك حيلة المرتاد
فذق الهوان معجلاً ومؤجلاً والله رب العرش بالمرصاد
لا زال فالجك الذى بك دائماً وفجعت قبل الموت بالأولاد

385 - وقال أبو العتاهية فى ابن أبى داوود:

لو كنت فى رأى منسوباً إلى رشد وكان عزمك عزمًا فيه توفيق
لكان فى الفقه شغل لو قنعت به عن أن تقول كلام الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ما كان فى الفرع لولا الجهل والموق

386- وقال أبو الهذيل العلاف: دخلت على القاضي ابن أبي داوود، ومروان بن أبي

حفصة ينشده:

للفآخرين على نزارٍ ومنها خُذفٌ وبنو إيادٍ
رسول الله والخلفاء منّا ومنّا أحمد بن أبي داوود
فقال لي: كيف تسمع يا أبا الهذيل؟ فقلت: هو يضع الهناء موضع النّقب. ولما
سمع أبو هفّان شعر مروان، ناقضه فقال :

فقل للفآخرين على نزارٍ وهم في الأرض ساداتُ العبادِ
رسولُ الله والخلفاءُ منّا ونبرأ من دَعَى بنى إيادِ
وما منّا إيادٌ إن أقبرت بدعوة أحمد بن أبي داود
فلما بلغ الخبر أحمد بن أبي داوود قال: ما بلغ مني أحد ما بلغ مني هذا الغلام، ولولا
أنّي أكره أن أنبه عليه لعاقبته، جاء إلى منقبَةٍ لي فنقضها عُروة عُروة .

قال الحسن بن الخضر: كان ابن أبي داوود مألّفاً لأهل الأدب من أى بلد كانوا، وكان
قد ضم إليه جماعة منهم، فلما مات اجتمع بيابه من حضر منهم [من المنافقين] فقالوا: يدفن من
كان على ساق الكرم وتاريخ الأدب ولا يتكلم بما فيه؟ إن هذا لعجز وتقصير. فلما طلع
سريره قام ثلاثة منهم فقال الأول:

الآن مات نظام الفهم واللسنِ ومن به كان يُستعدى على الزمنِ
وأظلمت سبل الآداب إذ حُجِبَتْ شمس المكارم في غيَم من الكفنِ
وقال الثاني :

ترك المنابرَ والسريراتِ تواضعاً وله منابر لو يشأ وسريراً
ولغيره يُجبى الخراجُ وإنما تُجبى إليه محامدٌ وأجورُ
وقال الثالث :

وليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنّه ذاك الثناءُ المخالفُ
وليس صرير النعش ما تسمعونّه ولكنّه أصلابُ قوم تقصّفُ

وهو قاضى قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعة إلا قليل من أعوان السلطان..

- هجا أبو الحجاج الأعرابي [ابن أبي داود قاضى القضاة المعتزلى القائل بخلق القرآن فقال فيه] :

نكست الدين يا ابن أبى داود فأصبح من أطاعك فى ارتداد
زعمت كلام رب الناس خلقاً أما لك عند ربك من معاد ؟
كلام الله أنزل به بعلم وأرسله إلى خير العباد
ومن أمسى ببابك مستضيفاً كم من حل الفلاة بغير زاد

387- أنشدني أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى لنفسه [ملمحا إلى نهاية ابن أبي داود القاضى الداعى بخلق القرآن، وكان قد أصيب بالفالج ونكب فى نفسه وماله وأولاده، إن انتقام الله لشديد] .

تزود من معاشك للمعاد وتقوى الله فاعلم خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً فبعض الجمع أسرع للنفاد
وقل لمطالب الدنيا رويدا أما وعظتك فى ابن أبى داود
أقام يدير الآفاق حيناً ويصطنع الصنائع فى العباد
فأصلح أمره عشرين عاماً فكان صلاحه سبب الفساد
فبدل من فوائده الرزايا وكان الأولياء هم الأعادي
فحسبك من صروف الدهر دينا مواعظ لو توافق ذا فؤادي

388 - قال عبدالله بن سليمان: دخلت مسجد البصرة فرأيت محمد بن يوسف قد وقف على قاض عنيد! ومحمد يتغير ويمتقع لونه وهو يرد دموعه بجهد فدنوت منه فقلت: يا أبا عبدالله لو أرسلت؟ فقال: هو أدوم للحزن. وكان محمد ابن يوسف كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:
إذا كنت فى دار الهوان فإنما ينجيك من دار الهوان اجتنابها

389 - أحمد بن محمد الخالدي أبو نصر ذكره الثعالبي: أديب شاعر حسن الشعر من المقيمين بغزنة [أورد له في هجاء أحد القضاة]:

قاض لنا إبليس يشهد أنه مافى الفضائح مثله إبليس
فكأنما زبر الحديد فيا شل وكأنما مفساه مغناطيس

390 - عبد الرحمن بن مسهر [وهو أخو علي بن مسهر] متروك الحديث ..

391 - ذكروا يوما عند أبي يوسف القاضى خطأ القضاة. فقال عبد الرحمن بن مسهر: أنا أعجب من قاضى كيف يخطئ، إذا أتاه الخصمان في أمر مثل الشمس أمضاه، فإذا أشكل عليه ردهما إلى المجلس الآخر، وتوجه وتشاور وتباحث، فمن الخال أن يعيا عليه الحق. فقال له أبو يوسف: خذ عهدك واعمل على هذا ..

392 - كان عبد الرحمن بن مسهر على قضاء جبل، وكان خفيف العقل! قال: ولاني أبو يوسف القاضى قضاء جبل، فأنحدر الرشيد إلى البصرة، فسألت أهل جبل أن يشنوا علي، [عند مرور الرشيد] فوعدوني أن يفعلوا، فلما قرب تفرقوا وأيست منهم، فسرحت لحيتي وخرجت فوقفت فوافى أبو يوسف مع الرشيد في الحراقة فقلت: يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبل، قد عدل فينا وفعل وجعلت أثني على نفسي! فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال: يا أبا يعقوب قاض في موضع لا يثنى عليه إلا رجل واحد بنس القاضى. ثم مضى إلى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول! فطأطأ أبو يوسف رأسه وضحك، فقال هارون: مم ضحكك؟ فأخبره، فضحك ثم قال: هذا شيخ سخي فاعزله فعزلي، فلما رجع جعلت أختلف إلى [أبي يوسف] وأسأله قضاء ناحية فلم يفعل، فحدثت الناس عن مجالد عن الشعبي، أن كنية الدجال أبو يوسف! فبلغه ذلك فقال: هذه بتلك فحسبك فصر إلى حتى أوليك ناحية ففعل وأمسكت عنه ..

393 - القاضى نجم الدين عمر النعماني : قدم دمشق مع أبيه من بغداد وهما في غاية الفقر، وتوجهها إلى [والى] مصر، سعيا في أن يرتب لهما شيئا على مدارس الحنفية، ثم بسعيه اتصل بنائب القلعة الأمير كمشبعًا فاتفق هو وجماعة كمشبعًا على أخذ مال وظهرت قرائن تدل على ذلك ! ثم ولى الحسبة على أن لا يأخذ لأحد شيئا، فشكا ذلك إلى النائب فقال له:

أنت سعت فيها فاعمل مصلحتك، ثم إنه شرع في أخذ الأموال بحيث إنه زاد على من تقدمه في ذلك! وجعل المدرسة المعينية وكانت بيده مجلس حكمه، وأدخل نفسه في كل شيء! ثم ولى وكالة بيت المال ثم ولى القضاء!! ولم تكن سيرته محمودة، وكان عنده جرأة وإقدام يزدجون عليه لأغراضهم، ولما عزل استمر بيده الحسبة، وكان يجلس بالمدرسة المعينية وعلى بابه أعوان كثيرة، ويدخل نفسه في كل شيء في الأحكام الشرعية ولا يهاب، ثم توجه إلى مصر وأخذ معه هدايا كثيرة، فلما وصل حصل له قبول وأعيد [بفضل هداياه] إلى القضاء وعين له وظائف أخرى! وكانت المنية أعجل من ذلك، فمرض وتوفي وشهد جنازته جمع قليل ودفن بمقابر الغرباء بسفح المقطم، وكان عمره نحو ستين سنة، وسرَّ كثير من الناس بموته، وعدوا موته نعمة من الله تعالى. انتهى [سبحان الله] ..

394 - ورد مرسوم السلطان [الملك الأشرف] إلى ناظر الحرمين ناصر الدين بن النشاشيبي ونظيره للأمير جقمق نائب السلطنة، مضمون كل منهما أنه اتصل بمسامعنا الشريفة أن بعض [أهل] القدس الشريف كتب كتابا يذكر فيه، أن كنيسة اليهود بالقدس الشريف محدثة، وأن علماء الإسلام أفتوا بعدم إبقائها، وأن اليهود مكثوا من كنيستهم والدخول إليها بسبب ما بذلوه من المال [للسلطان وحاشيته وأن] الشيخ محمد بن عفيف الدين ومن معه، أمروا بهدمها فشرع المسلمون في هدمها فهدم غالبها، ثم في ثاني يوم هدم باقيها وكان يوما مشهودا شرع الشيخ أبو العز يحرض الناس على الهدم ويقوى عزيمتهم، وكلما ثار الغبار على رؤوس الناس وأثوابهم ينفضه عنهم بمندبل في يده ويقول: هذا غبار الجنة تثابون على هذا الفعل في الجنة. وأنهم هدموا الكنيسة بغير مرسوم [منه وهو ولى الأمر لذا فهو قد] غضب غضبا شديدا وأمر بالقبض عليهم!

وتوجه اليهود للشكوى للسلطان وتشفعوا للسلطان بمن لهم بهم اعتناء! وكان أعظم المساعدين لهم يشبك الدوادار الكبير بمال بذلوه، ولم يعلم السلطان بشيء من ذلك، فلم يزل يشبك يسعى عند السلطان إلى أن رسم بإعادتها بآلاتها القديمة!

وعين قاضيين من خلفاء الحكم بالديار المصرية، وهما القاضى شهاب الدين أحمد الحزمى الشافعى المشهور بابن جبيلات، والقاضى علاء الدين على الميمونى الحنفى.

فعقدوا مجلساً بمجلس الأمير يشبك بن مهدي الدوادار الكبير وحضره القضاة الأربعة بالديار المصرية، وحضر من العلماء الشيخ أمين الدين الأقصرائي الحنفي وهو من المساعدين للمسلمين. [ومن علماء السلطان، القاضي شهاب الدين المشهور بابن جبيلات، والقاضي علاء الدين الحنفي] وسراج الدين العبادي الشافعي، والشيخ جلال الدين البكري الشافعي . والقاضي شهاب الدين المغربي المالكي قاضي الجماعة بالمغرب وهو الذي تولى كبرها، وأظهر التعصب لليهود، وأفحش بعدم جواز هدم الكنيسة، وتعزيز من افتات على الإمام بالهدم بغير إذن !! وكان يوماً مهولاً بنصرة اليهود على المسلمين.

ودار الكلام بين العلماء وحصل البحث بينهم وبقي الفقهاء أحزاباً، منهم من ينتصر للمسلمين ومنهم من يساعد اليهود وأصحاب الأهواء !
وتكلم رجلان من طلبة العلم بما فيه إعانة للمسلمين فأشهرهما الدوادار الكبير ووضعهما في جزيير . ثم سئل القاضي شهاب الدين بن عبيه عن المنع الصادر منه ما وجهه وما مستنده فيه؟

فقال: ما أدري ما أقول !

فقال له القاضي زين الدين ابن مزهر: قطع الله يدك ورجلك وأغلظ عليه في القول .
وشرع الأمير الدوادار يهدده وطال الكلام والتزاع .

وآخر الأمر أفتى [علماء السلطان وهما: القاضي شهاب الدين المشهور بابن جبيلات والقاضي علاء الدين الحنفي] وجماعة من علماء الشافعية والحنفية بمصر بجواز إعادة الكنيسة!! ومن جملة من أفتى سراج الدين العبادي، وقاضي الجماعة المغربي فأنشد فيه بعضهم :

تفتى بعود كنيس وكان ذلك جهلاً

وتدعى فطرط علمم والله ما أنت إلا

وأنشد الناس أبياتاً كثيرة في معنى ذلك . ووقع القدح في حق الشيخ (الإمام العلامة)!!

سراج الدين العبادي، وأنشدوا فيه أبياتاً وكتب على باب منزله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة].

[ثم صدر الأمر بسجن من تسبب بهدم الكنيسة] !! وبإعادة الكنيسة وبنائها!! وحصل للمسلمين بذلك نكابة، فإن اليهود أظهروا السرور بذلك وعلقوا بها الستور وأوقدوا القناديل ومضى الأمر على ذلك.

وكان بالقدس رجل اسمه إسماعيل البناء تعين لبنائها، فبات تلك الليلة فرأى النبی فقال له: يا إسماعيل أنت تصلى على في كل يوم وليلة، وتبنى مكانا أسب فيه !

فامتنع من بنائها فوعد بمال له فلم يلتفت إليه. وتولى بناءها من كتب عليه الشقاوة. ولما انتهى بناء الكنيسة عاد [القاضي علاء الدين] الحنفى إلى القاهرة وقد أسكن الله مقتته في قلوب العباد، وصار يدعى بقاضى الكنيسة. ولما وصل إلى القاهرة استدعى كبير اليهود وقال له: أبشرك أننى بنيت لك الكنيسة أعلى مما كانت بكذا وأشار بذراع يده !

ومما وقع له: أنه كان يكتب علامته على المستندات الشرعية، الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين. فلما عمّر الكنيسة وعاد إلى القاهرة، كتب: الحمد لله الذى أعلى معالم العلم وأعلامه ! فنكت عليه بعض الظرفاء من الفقهاء وقال له: ينبغى أن تكتب الحمد لله الذى أعلى معالم الدين، فرجع وكتب علامته الأولى.

ولم يزل أمره يضمحل وأحواله تتناقص حتى وقع له محنة، بسبب حكم، حكم به من مدة تقرب من عشرين سنة قبل التاريخ المذكور !

فأحضره السلطان بين يديه وضربه ضربا مؤلما، وهو بالحوش في المكان الذى ضرب فيه أهل القدس [عند هدمهم للكنيسة] ! ووضعه في جزيير وسلمه للوالى وأمر بإخراجه، بعد أن كتب عليه أن لا يعمل قاضيا ولا شاهدا. وعزله عزلا مؤبدا .

فخرج من القاهرة إلى أن وصل إلى بلدة مينة ميمون وأقام بها مدة طويلة، ثم عاد إلى القاهرة وقد صار فقيرا حقيرا لا يقدر على قوته، وقد [لامه الناس] على ما صدر منه في أمر الكنيسة والاهتمام بإعادتها.

فقال: إن الإذن الصادر منه في إعادتها، إنما قصد به الفتوى، ولم يقصد به الحكم الشرعى الرافع للخلاف !؟

[وكان الفتوى الشرعية لا تنبع أصلا من الحكم الشرعى أو العكس] والله متولى

السرائر ..

395 - أعيد القاضى كمال الدين النابلسى الحنبلى إلى قضاء القدس والرملة

ونابلس، ودخل إلى القدس الشريف عائدا من القاهرة، بعد كلفة مال كبير بذله فى المنصب، لم
تجر به عادة قبله فى قضاء الحنابلة ! وسببه جور وكيل السلطان ابن ثابت ..

396 - وقال ابن أبى حجلة :

يا قاضياً فى وده ما زال لي من قبل أن يلى القضا حسن النظر

غمضت عينك مُذ وليت لأجل ذا قالوا إذا نزل القضا عمى البصر

397 - [القاضى] محمد الشمس أبو عبدالله وقديما أبو الجود الغزى ثم القاهرى بن

المغربى: قطن القاهرة وسكن الصاحية ولم تحمد سيرته، بل ألصق به ما يستهجن ذكره! وطلب
غير مرة فآهين وشوفه بمكروه كبير بمجلس السلطان، وصار الفقهاء [بسببه] عند الأتراك مثلة
وقيل فيه :

يا حسرة وافت ويا ذلة لمصر بعد العز والمرتقى

قد قهقرت لما ولى قاضيا الألكن الغزى يا ذا الشقا

أبكييت يا مصر جميع البلاد وضاعت الأرض بها والفضا

وقام نعيال كفى كلها لما ولى ابن المغربى القضا

وبالجملة فلم يجد خصما يكافئه، وترايد الابتلاء به خصوصا ممن اتفق معه فى المقاسمة!

وتزايدت بذلك أمواله، كل هذا مع عقد لسانه الموازى للخرس، وفقد البهاء الذى لا يخفى ولا

على أكمه فى مزيد الغلس، ومزيد شحه حتى على عياله، وتبديد أمانته لزيادة أمواله، وقد

تزوج فى أثناء ولايته بكرا فحكمت هى وأهلها من ذلك ما يفوق الوصف، ولا أرى له ذكرا

ولسان حال أخصامه يقول: أشبعناك سبا وفزت بالإبل، على أنه لا زال يجاهد ويكابد ويجمع

ويدفع إلى أن كان عزله على أسوأ حال، بعد استصفاء ما زعم أنه آخر ما معه، ولم يتفق فى

عصرنا لقاض ما اتفق له !!

- محمد بن عمر بن إبراهيم العقيلي [القاضي] ويعرف بابن العديم وبابن أبي جرادة: ولد بحلب وحفظ بها في صغره كتب واشتغل على مشايخها كأبيه وغيره، قدم القاهرة مع أبيه وهو شاب فشغله غير واحد من الشيوخ كقاري، ومات أبوه بعد [أن رغبه في مشيخته] ومباشرة لذلك في حياته، وأوصاه أن لا يترك بعده المنصب ولو ذهب فيه جميع ما خلفه! فقبل الوصية وبذل [المال] حتى استقر فيه!

فاتصل بالمؤيد حين حصره للناصر في دمشق فغضب منه الناصر فعزله ولم يلبث أن قتل الناصر وبذل حينئذ مالا حتى أعيدت إليه مشيخة الشيوخونية ! وكان سمحا بأوقاف الحنفية متساهلا في شأنها إجارة وبيعا، حتى كادت تخرب بل لو دام قليلا خربت كلها !!

وكان كثير الوقعة في العلماء، قليل المبالاة بأمر الدين ! يكثر التظاهر بالمعاصي سيما الربا ! بل كان سبى المعاملة جدا أحق أهوج متهورا محبا في المزاح والفكاهة، ذا حشم وممالك. وقد امتحن في الدولة الناصرية على يد الوزير سعد الدين البشيري وصودر مع كونه قاضيا. وبالجملة كان من سيئات الدهر !! مات قبل استكمال ثمان وعشرين سنة [من عمره] بعد أن كان ذعر من الطاعون الذي وقع ذعرا شديدا، وصار دأبه أن يستوصف ما يدفعه ويستكثر من ذلك أدعية ورقى وأدوية، بل تمارض حتى لا يشهد ميتا ولا يدعى لجنازة لشدة خوفه من الموت، فقدر الله سلامته من الطاعون وابتلاءه بالقولنج، بحيث اشتد به الخطب وكان سبب موته ..

- محمد بن أحمد بن محمد الحب الدموي [القاضي] : اشتغل بالقراءات وناب في القضاء وجلس بالمسجد الذي بناه الأشرف برسباي تجاه مدرسته فسموه قاضي الحوض، ولم يلبث أن كثر التشنيع على القضاة الذين من أمثاله ! فأمر السلطان بعزلهم وكان الدموي من جملتهم، فتمثلوا له بقول بعضهم :

توليت قاضي الحوض كدرت ماءه فلو كنت شيخ البئر أضحت معطلة

فكملة الشهاب بن صالح بيت قبله فقال :

أيا قاضيا قد عكس الله نجمه وأتعسه بين القضاة وأخمله

وقال النجم بن النبيه :

وتسعى بجهل أن تكون معذبا دواؤك يا مجنون قيد وسلسله

وأشار بذلك إلى أنه يجب أن يجعل له عذبة .

[وزاد] البقاعى :

ومذ صرت كلب الماء غييض عن الورى لو عدت ضبع البر أفدت مأكه

- عبد الرحمن بن البهاء محمد الزرندي [القاضي] : ولد بتونس وحفظ القرآن وتفقه وانتاب مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام وانتفع به وآخرين، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط وأخذ ذلك عن أبيه وغيره، ومهر في جميعه وحفظ المعلقات وحاسة الأعلام، وتعلق بالخدم السلطانية وولى كتابة العلامة عن صاحب تونس، ثم توجه إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها أبي عنان واعتقل نحو عامين، ثم ولى كتابة السر لأبي سالم أخى أبي عنان وكذا النظر في المظالم، ثم قدم غرناطة وتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه، ثم قدم الديار المصرية وتلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد إليه، بل تصدر للإقراء بجامع الأزهر مدة، ولأزم الطنبغا الجوباني فاعتنى به إلى أن قرره [الملك] الظاهر برقوق في تدريس القمحية ثم قضاء المالكية بالديار المصرية، فتنكر للناس بحيث لم يقم لأحد من القضاة لما دخلوا للسلام عليه مع [عدم] اعتذاره لمن عتب عليه، وفتك في كثير من أعيان الموقعين والشهود! وصار يعزر بالصفع ويسميه الزج، فإذا غضب على إنسان قال: زجوه، فيصفع حتى تحمر رقبته !

ويقال: إن أهل المغرب لما بلغهم ولايته القضاء تعجبوا ونسبوا إلى المصريين قلة المعرفة، بحيث قال ابن عرفة: كنا نعد القضاء أعظم المناصب فلما وليها هذا عددناها بالصد من ذلك . ومع ذلك لم يغير زيه المغربي ولم يلبس زى قضاة هذه البلاد لخبته المخالفة في كل شيء، واستكثر من النواب والشهود عكس ما كان منه في أول ولاياته، وكان ذلك أحد ما شنع عليه به. قال الجمال البشبيشي: إنه تبسط بالسكن على البحر وأكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث، وتزوج امرأة لها أخ أمرد ينسب للتخليط، فكثرت الشناعة عليه وأكثر من الازدراء بالناس، حتى إنه شهد عنده الاستادار الكبير بشهادة فلم يقبله مع أنه كان من المتعصبين له،

وطلب بعد انفصاله [وعزله عن القضاء] إلى الحاجب الكبير، فأقامه للخصوم وأساء عليه القول، وادعوا عليه بأمور كثيرة وحصل عليه من الإهانة ما لا مزيد عليه ..

- عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح [القاضي] : نشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن وصلى به وتفقه بأبيه، وكان مما بحثه معه الحاوي ولم يأخذ عن غيره لأن والده لم يكن له عناية بتسميعه ، لما كان يقع في دروسه من كثرة البحث المفرط المؤدى إلى اللغط المخل بصحة السماع، دخل دمشق وهو صغير مع أبيه حين ولى قضاءها، وكان مفرط الذكاء قوى الحافظة في سرعة الفهم فمهر في مدة يسيرة، وأول ما ولى توقيع الدست في ديوان الإنشاء، عوضا عن أخيه حين استقراره في قضاء العسكر بتزول والده له عنه، وكذا نزل له عن إفتاء دار العدل، وسافر مع والده للركاب السلطاني إلى حلب، فرجع في ضخامة زائدة وصحبته ثلثمائة ممالك مردان، صاروا يركبون في خدمته للدروس وغيرها !! ودعا بقاضى القضاة لكونه قاضى العسكر، ومن خاطبه بغيرها مقتته، كل هذا ووالده ينوه به في المجالس ويستحسن جميع ما يرد منه !

ولما تحقق موت الصدر المناوى ووثوب القاضى ناصر الدين الصالحى على المنصب، شق عليه وسعى إلى أن ولى بالبذل [أى بدفع رشوة] لعناية أمير آخور سودون طاز، وتغيظ الدوادار الكبير حكيم لكونه فعل [ذلك] بغير علمه، وامتنع من الركوب معه إلى الصالحية على العادة، فلم يحتل القاضى ذلك وبادر لتلافيه فركب هو ووالده إليه في منزله، فواجهه بالإنكار عليه في بذل المال على القضاء . فعرفه الشيخ بجواز ذلك لمن تعين عليه [أى جواز دفع الرشوة للحصول على منصب القضاء] ! واستمر قاضيا [ثم عزل] ثم أعيد إلى أن مات. قيل: كان قد ابتلى بحب القضاء فلما صرف عنه تألم لذلك كثيرا واشتد جزعه وعظم مصابه، حتى أذن له السلطان المؤيد فى الحضور مع الهروى ، فجلس عن يمين الهروى، وصار يبدى الفوائد الفقهية والحديثية.

ورتب الجلال أخاه فى أسئلة يبيدها مشكلة ويحفظه جوابها ويستشكلها، ويخص الهروى بالسؤال عنها، فيضج الهروى من ذلك. والمراد من هذا إظهار قصور [الهراوى] والسلطان يشاهد جميع ذلك ويسمعه لكونه جالسا بينهم [لكن خطته لم تنجح بإعادته للقضاء] ..

- أحمد بن محمود بن عبد الله ويعرف بابن الفرفور: ولد في دمشق وحفظ القرآن والمنهاجين الفرعى والأصلى وألفية النحو، قدم القاهرة فأخذ عن العبادى وحج منها مع أبيه في خدمة الزينى بن مزهر مع الجرية ومات أبوه هناك وكان استاداره بدمشق، فاستمر في خدمة المشار إليه حتى ناب في القضاء [عن] الصابونى بمرسوم سلطاني، ثم ناب عن الخيضرى، واستمر إلى أن استقر في نظر جيش الشام ، ثم بعد ذلك في القضاء الأكبر، فدام فيهما إلى [أن] فصل عن القضاء ثم أعيد إليه بالبذل الزائد والخدم التي لا تنتهي، ومما قيل فيه:

يا ابن الأراذل وليت فينا قاضيا خرف الزمان أم جن الفلك
إن كنت تحكم بدين اليهود فربما أما بدين محمد فمن أين لك
وقال التقى السبكي :

تباهى الدهر قد أتى بعجائب ومها فنون العلم والآداب
وأتى بقاض لو انبسطت يدي فيه لردته إلى الكتاب
وقدم القاهرة مطلوباً فانتظم أمره على مال كثير !!

398 - قيل: إن مدينة كرمان في أهلها عفة وخير ظاهر، وفي تجارهم حسن معاملة وانقياد للحق، ولهم نزاهة عن كثير من أخلاق السوق. وذكر أن في نساء كرمان جمال لا يبلغه شيء . استعمل الحجاج سعيد بن سلم قاضياً عليها [وكانت بها] علجة يقال لها: أردك، من أجل النساء بغياً يبيت عندها الرجل بجملة من المال، فبلغ سعيداً خبرها فأرسل إليها فجاء بها، فلما رآها قال: يا عدوة الله، فتنت فتیان البلد وأفسدتم أكشفي عن رأسك؟ فكشفت عن شعر جثل يضرب إلى عجيزتها، ثم قال: ألقى درعك؟ فألقته وقامت في إزار، فرأى ما حيره وذهب بعقله، ثم لم يملك نفسه حتى جعل يطعن بإصبعه في عنقها، ثم قال: يا عدوة الله أدبرى؟ فأدبرت، فنظر إلى ظهر فيه كماء الجدول، على كف كأريك خز حشوها قز ! ثم قال: أقبلني! فأقبلت بصدر نقي وبطن ذى عكن وأحشاء لطيفة و.... كالعقب المكبوب يشرق بياضه وحسنه، فافتتن بها لما رأى من جمالها وكمالها، فوثب إليها فما بارحها حتى !! فقال عرفجة بن شريك في ذلك :

ما بال أردك إذ تمشى مؤزرة فى البيت يا ابن قتيل العين ذا العلق
أجربة تبتغى منها فتعجلها أو بعض ما يعتري الجانى من الشبك

فبلغ الحجاج قول سعيد وقول الشاعر فقال : بل بعض ما يعتري الجاني من الشبق
وصرف سعيداً ..

399 - قال: ابن حبان في تاريخ الثقات: صالح بن عبد الله الترمذى صاحب سنة
وفضل، ليس بصالح بن محمد الترمذى [القاضى] ذاك مرجى دجال من الدجاجة. وقال في
الضعفاء: لا يحل كتب حديثه، كان مرجئاً جهماً داعية يبيع الخمر ويبيع شربه. رشاهم فولوه
قضاء ترمذ، فكان يؤدب من يقول الإيمان قول وعمل حتى إنه أخذ رجلاً من الصالحين من
أصحاب الحديث فجعل الحبل في عنقه وطوف به ! وكان الحميدى يقنت يدعو عليه بمكة،
وإذا ذكره إسحاق بن راهويه بكى من تجربته على الله تعالى، وقال السليماني: هو منكر الحديث
يقول بخلق القرآن ..

400 - عن محمد بن مروان السدى [في صالح بن محمد الترمذى القاضى] كان رجل
سوء مرجئاً جهماً داعياً إلى البدع، يبيع الخمر ويبيع شربه وقد رشى لهم حتى ولوه قضاء
الترمذ، فكان سيفاً على أهل الحديث، لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه. ذكرته ليعرف
فتجنب روايته.

ولأبي عون عصام بن الحسين فيه :

يفتى بشرق الأرض شيخ مفتن له قحم فى الصالحين إذا ذكر
أناف على السبعين لا دردره وعجله ربه الجليل إلى سقر
محلته لا يبعد الله غيره محله جهنم عن ملتطم النهر
على شط جيحون بترمذ قاضيا مرمى بألوان الفضائح والقدر
وليس بمرضى هنا لك صالحا كذاك رماه الشاهدون أولو القدر
هناك عليه للحميدى دعوة مع العصر يدعوا والطلوع مع الفجر
وأخبر عنه أنه هو مرتش يبيع شراباً قد يمد إلى السكر
لحى الله هذا الوصف من وصف مائق وعجله ربه العزيز إلى القبر
وانى لأرجو حسبة فى انتقاصه وإن أعلم الساعى الجهول من الغمر

401 - شقيق الضبي [القاضي] : من قدماء الخوارج، كان يقص بالكوفة وكان أبو عبد الرحمن السلمي يذمه، وقال ابن المديني: سألت جريرا عنه؟ فقال: كان صاحب كلام، وكان أبو وائل يقول لشقيق: يا شقيق هل وجدت دينك بعدما أضللتك؟ وكان يرى رأى الخوارج، حرورى رأس فى الضلال، وقال الساجي: كان قاضيا مبتدعا. قال العقيلي: روى معضل بن مهلهل عن مغيرة عن شقيق الضبي قال ابن مسعود: لا خير فى كلام ليس له أصل ولا يؤمه عقل. وعن أبى حصين قال: لقي الخوارج شقيقا الضبي وكان رجل سوء فقالوا له: ما أنت؟ قال: أنا مؤمن مهاجر أو مسلم معاون أو ابن سبيل عابر، فقالوا له: أنت شقيق ولك الأمان؟ قال: نعم، فقالوا: أولى لك ..

402 - عن أبى حصين قال: كنت مع أبى عبد الرحمن نلقى شقيق الضبي فقال: أنت يا عم تنهى الناس عن مجالستي؟ فقال: من هذا؟ قلنا: شقيق، قال: إني لم أرك إلا مضلا دينك. وكان أبو عبد الرحمن إذا ابتدأ مجلسه قال: لا يجالسنا رجل يجالس شقيق الضبي، لا يجالسنا حرورى ..

403 - أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد الأموى القاضى شهاب الدين المالكي: ولى قضاء طرابلس ثم ولى قضاء دمشق، وخدم الأمير شيخ الحمودى وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن حتى تسلطن شيخ وتلقب بالملك المؤيد فولاه القضاء بالديار المصرية، وكان شيخ يكرهه ويسميه الساحر ولكن كان بعض أهل الدولة يراعيه، ثم استقر فى قضاء الشام [فى زمن] الأشرف كان يعتقد، لأنه بشره وهو فى السجن بأنه سبلى السلطنة، فلما تسلطن اتفق أنه كان حينئذ قاضيا فاستمر به، ولم يسمع فيه كلام أحد مع شهرته بسوء سيرته والجهل الزائد، وكان متجاهرا بأخذ الرشوة، وحصل مالا طائلا تمزق بعده ..

404 - محمد بن عبد الدائم بن سلامة: قاضى القضاة: سمع وحدث وكان فى أول أمره يتصوف وينتحل خرقة الشاذلية ويعظ وصنف كتباً فى الوعظ والرفائق، أدخله القاضى برهان الدين ابن جماعة فى سلك الفقهاء وولاه التدريس والخطابة بمدرسة السلطان حسن ثم إن السلطان ولاه القضاء فلم يحمد فى ولايته. قرأت بخط ابن القطان: كان شديد البخل، وكان أيام هو واعظا خيرا من أيام هو قاضيا.. أستغفر الله. فلما عاد [الملك] الظاهر أهانه ومقتته وانقلب اعتقاده فيه بغضا، والمصريون يحطون عليه وينسبونه إلى الأذى للفقهاء ..

405 - القاضي علي بن عبد الله بن الحسن النباهي البني المدعو بجعسوس: أطروفة الزمن التي تجل غرائبها عن الثمن، قرد شارد من قروود اليمن ذنبا وأحداقا وفروة وأشدقا، وإشارة واصطلاحا وخبثا وسلاحا، لا يفرق بينهما في الشكل وقرب الغائط من الأكل، ألف فيه لسان الدين رسالة سماها خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن ! يجيف به الصبيان إذا بكت، وتتملح بذكره الزهاد بعدما نسكت وعن كل شيء أمسكت، وأوصافه بالنسبة إلى معارفه وعلومه أوصاف ابن قاضي ميلة، لا يجلب لأدب يرسم ولا حظ من حسن الذكر يقسم، ولا لعرف يتنسم ولا لبركة تتوسم، إنما جنب حماره في القياد لحمل أوقار هذه الجياد، وما يعاب به الزين كي لا تصيبه العين، ويعلق على البيوت تيممة وإن كانت الأوضاع ذميمة، وإن كان لأبيه ببلده درجة الأمير عند مولدى الحمير، ينظف بيديه أرحامها بعد أن يحكم بالدهن أقحامها، وكانت أمه أم جعسوس قابلة ذلك الوضع ومقدرة الفطام والرضع، تولول عند الخلاص وتعوذ المولود بسورة الإخلاص، وتقطع سرة اليعفور بالأظفور ، وتلحق عينه باللسان، وتبارك بعد ظهوره بدهن اللسان ، ولما ترعرع ترعرع غصن السدر من تحت القدر، وتجلت محاسن نفسه النفيسة من خلال ذلك الحدر، تحرف ببيع الحروز وخلق في محافل البروز، وتحدى بإخراج الكنوز بذبائح العنوز، وادعى أنه يعقد اللسان وغرم الإتاوة التي يغرمها بنو ساسان، ثم تعرف بالسلطان في حكاية وقدمه قاضيا في سبيل يمين شاردة ونكاية، وجعله للفقهاء ببلده عقابا أخضع به رقابا، لما آسفوه بحب طلعه، وأفتوا من بعده قلعه بوجوب خلعه ، ثم أعاده الله تعالى إلى ملكة رقابهم، وحكمه في مجازاة احتقابهم، والدنيا قد أرملت وما حملت من الضيم حملت، فجاءت سيره في الأحكام سمر الندام، ونقل أولى المدام، وشاهد خسة الدنيا على مملك الإبرام، والموجد بعد الإعدام ..

406 - قال محمد بن عبد الله بن الحسن بن صدقة [القاضي] :

وَلَيْتُ الْقَضَاءَ وَلَيْتُ الْقَضَا لَمْ يَكُ شَيْئًا تَوَلَّيْتَهُ
فَأَوْقَعْنِي فِي الْقَضَاءِ الْقَضَا وَمَا كُنْتُ قَدَمَا تَمْنَيْتَهُ

- موسى بن إسحاق بن موسى الأنصارى القاضي أبو بكر الخطمي: وكان قاضيا مهيبا فصيحاً مصمماً. قيل: لم ير متبسماً قط! وهو الذى قالت له امرأة: أيها القاضي لا يحل لك أن تحكم بين الناس؛ لأن النبي قال: لا يقضى القاضي بين اثنين وهو غضبان. وأنت عمرك غضبان! فتبسّم ..

407 - حدثني من أثق به أن [ابن تيمية] الشيخ رحمه الله أخبر عن بعض القضاة أنه قد مضى متوجهاً إلى مصر الحروسة ليقلد القضاء، وأنه سمعه يقول: حال ما أصل إلى البلد قاضياً أحكم بقتل فلان، رجل قد أجمع الناس على علمه وزهده وورعه !

ولكن حصل في قلب القاضى منه من الشحنة والعداوة ما صوب له الحكم بقتله، فعظم ذلك على من سمعه خوفاً من وقوع ما عزم عليه من قتل الرجل الصالح، وحذراً على القاضى أن يوقعه الهوى والشيطان في ذلك فيلقى الله متلبساً بدم حرام، وكره وقوع مثل ذلك لما فيه من عظيم المفاسد.

فأبلغ الشيخ رحمه الله هذا الخبر بصفته، فقال: إن الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل إلى مصر حياً!

[فلما] بقى بين القاضى وبين مصر قدر يسير أدركه الموت، فمات قبل وصولها كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ ..

408 - وقال الرشيد الفارقي: أنشدني القاضى شمس الدين الخوي لنفسه في قاضى

خوى :

وقاضٍ لنا ما مضى حكمه وأحكام زوجته ماضيه
فيا ليتته لم يكن قاضياً ويا ليتها كانت القاضيه

409 - محمد بن مسروق بن معدان الكندى الكوفي الفقيه: ولى قضاء مصر ثمانية

أعوام في دولة الرشيد [ثم صرف] أول من اتخذ المقمطر بمصر، وكان يختتمها ويودع، فإذا جلس للحكم أحضرت، وإنما كانت القضاة قبله تحمل الكتب في منديل معهم، وهو أول من أدخل النصارى في الجامع في حكوماتهم، ولم يكن بالحمود في ولايته، وكان فيه عتو وتجر، وكان عجباً في التيه والصلف والتكبر!

قال سعيد بن عفير: قدم علينا قاضياً وكان متجبراً فاعتدى على العمال وأنصف منهم. ولما قدم مصر اتخذ قوماً للشهادة وأوقف سائر الشهود، فوثبوا به وشتموه وشتمهم. وكانت منه هنات إلى أشرافهم. وقال يحيى بن بكير: ما كان بأحكامه بأس، لكنه كان من أعظم الناس تكبراً !

410 - أبو محمد عبد الله بن زبر: تولى قضاء مصر وكان شيخا من الدهاة، ممشيا لأمره عارفا بالأخبار والكتب والسير. قال يحيى بن مكى المعدل: لو كان ابن زبر عادلا ما عدلت به قاضيا.

وقال على بن محمد المصري: إنه رأى ابن زبر مر بدمشق على الأساكفة، فشغبوا ودقوا على تخوهم قائلين كلاما قبيحا وهو يسلم عليهم ويتطارش ويظهر أنهم يدعون له !! وكان وصول على الشهود بأقبح قول ! وبسط يده في الأموال واعترض في التركات والوصايا. قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: أخذ من محمد بن بدر على قبوله وتركته ألف دينار. وكان قوى النفس واسع الحيلة، وقيل: إنه بذل على القضاء ألف دينار ل محمد بن طعج ..

411 - أخبرنا على بن عمرو قال: رفع إلى أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم البجلي القاضي: رجل مسلم قتل ذمياً عمدا وقامت البينة عليه، فأمر بحمسه ليقاد منه! فلما كان في يوم مجلس القضاء رفعت إليه رقاع الخصوم فإذا فيها رقعة مكتوب فيها :

يا قاتل المسلم بالكافر جرت وما العادل كالجائر
يا من ببغداد وأقطارها من فقهاء الناس أو شاعر
جار على الدين أبو يوسف بقتله المسلم بالكافر
فاسترجعوا وابكوا جميعا معا واصطبروا فالأجر للصابر

فأخذ أبو يوسف الرقعة ودخل بها على الرشيد فأعلمه، فقال له: اذهب فاحتل لثلا تكون فتنة، فجلس أبو يوسف وحضر ولى الدم والمدعى عليه، فقامت البينة، فقال أبو يوسف لولى الدم: أقم عندى البينة أن صاحبك كان يؤدى الجزية؟ فلم يقم له البينة، فمنع القود ..

412 - عن أبي يوسف القاضي: قعد أمير المؤمنين للمظالم فكنت السفير بينه وبين المتظلمين أخذ قصصهم وأوصلها إليه ، فجاء رجل كبير من أهل السواد، ومعه قصة فيها دعوى بستان محدود يزعم أن ذلك له في يد أمير المؤمنين وأنه غصبه عليه، فقلت: في يد من هو؟ فقال: في يد أمير المؤمنين، قلت: من أكاره؟ قال: هو في يد أمير المؤمنين غصبني عليه. فجعلت أديره بكل وجه على أن ينصرف عن مطالبة أمير المؤمنين إلى مطالبة غيره فيأبى أن ينصرف عن دعواه، أن المطلوب به أمير المؤمنين. فدخلت بالقصص وأمير المؤمنين قاعد على

كرسي، ويحيى بن خالد قاعد معه فجعلت أخرج القصص فخرجت قصته بالقرب مني فلم أستجز تأخيرها، فقلت: يا أمير المؤمنين، حضر شيخ كبير من أهل السواد فادعى بستان كذا، وقال مطالبني لأمر المؤمنين. فقال: هذا البستان أعرفه وهبه أبي لي وهو في ملكي قلت: أفيحضر الرجل؟ قال: نعم، فأحضرتة قلت: ما تدعي؟ قال: أدعى بستان كذا، وحدده على أمير المؤمنين هذا وأشار إليه، قلت: من يقوم به وفي يد من هو؟ قال: في يد أمير المؤمنين هذا، قلت لأمر المؤمنين. ما تقول في دعوى هذا الرجل؟

قال: ما له في يدي الحق الذي يدعيه وما هذا البستان له، قلت له: ألك بينة؟ قال: يمينه. قلت له: يا أمير المؤمنين عليك اليمين، قال: استحللني؟ فاستحللته، فحلف.

فوثب الشيخ منصرفاً فسمعتة وقد أدبر يقول: استفه كشرية سويق!! وتربد وجه أمير المؤمنين حين حلف وأطرق يفكر. فقلت: هلك وهلك الرجل، فما أذكر ذلك المجلس إلا دخلني منه غم شديد وخفت الله من تركي العدل فيه. فقلنا: وما يكون أكثر مما فعلت؟ قال: ألم تفهموا ما فيها؟ قلنا: لا. ما رأينا إلا عدلاً وقياماً بالحق، قال: كيف ولم أسو بينه وبين الخصم في المجلس، فأقول يا أمير المؤمنين أنت على كرسی وهو على الأرض، فيدعي له بكرسى فيجلس عليه ..

413 - وذم البديع الهمداني قاضياً بالرياء ووصفه بالظلم فقال: قاض لا شاهد عنده أعدل من السكر والجام يدلي بهما إلى الحكام، ولا ولي أصدق لديه من الصفر الذي يرقص على الظفر، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم على الكيس المختوم، ولا وكيل أعز عليه من المندبل والطبق في وقتي الفلق والغسق، وأقسم لو أن اليتيم وقع بين الأسود بل الحيات السود لكانت سلامته منها أيسر من سلامته من أصحابه!

وما ظنك برجل يعادى الله في الغلس ويبيع الدين بالثمن البخس، لص لا ينقب إلا خزائن الأوقاف وكردى لا يغير إلا على الضعاف وذنب لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود! ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين العدول والشهود! قد بيض لحيته بسواد صحيفته وأظهر ورعه ليخفي طمعه، وقصر سبيله ليظهر سرباله، وتغشى محرابه ليغطي حرابه، يبرز في ظاهر أهل السموت وهو في باطن أهل الصمت.

قال هلال بن العلاء الرقي :

ودع التواضع فاللباس مجونا فالله يعلم ما تكن وتكنم
أجد الثياب إذا اكتسيت فإنها زين الرجال بها تجل وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشعا فالله يعلم ما تسرو وتكنم
فرثا ثوبك لا يزيدك قربة عند الإله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الإله وتتقى ما يحرم

وقال محمود الوراق :

تصوف فازدهى بالصوف جهلا وبعض الناس يلبسه مجانه
يريد مهانة ويريد كبرا وليس الكبر من شأن المهانة
تصنع كي يقال له أمين ما يغني التصنع للأمانة
ولم يرد الإله بها ولكن أراد بها الطريق إلى الخيانة

414 - قال الأمير حسام الدين محمود بن الختلو: لما عزل محي الدين بن الشهرزى

عن قضاء حلب وتوجه إلى الموصل، جاء إلى الفقيه على بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي، وكان يدرس بمدرسة الحدادين إلى دارى وكانت تحت القلعة، فقال لي: قد توجه محي الدين بن الشهرزى إلى الموصل ويحتاجون قاضيا، أفتأخذ لي قضاء حلب؟ فصعدت إلى الملك الصالح وقلت له: على الغزنوي فقيه جيد والمصلحة أن توليه قضاء حلب. فالتفت إلى وقال: بالله هو سألك في هذا؟ فقلت له: أى والله هو جاء وسألني في ذلك، فقال: والله ما وقع في خاطري أن أولى قضاء حلب أحدا غيره، ولكن حيث سأل هو الولاية والله لا وليته إياه ..

415 - وقرأت في تاريخ الحميدي: أن صهيب بن منيع وكان قاضيا بإشبيلية كان

نقش خاتمه :

يا عليما كل عيب كن رفيقا بصهيب
وأنه كان يشرب النبيذ لأنه كان يذهب مذهب أهل العراق، فشرب مرة عند الحاجب موسى بن حدير وكان من عظماء الدولة الأموية، فلما غفل [أى سكر ولم يعد يعي] أمر باختلاس خاتمه، وأحضر نقاشا فنقش تحت البيت المذكور:

واسـتر العـيب عـليه إن فيه كل عيب

ورد الخاتم إليه وختم القاضى به زمانا حتى فطن له ..

416- القاضى عمرو بن جميع أبو المنذر وكان مجلوان : قال يحيى : كذاب خبيث

ليس بثقة ولا مأمون. وقال النسائي: قال الدارقطني: متروك. وقال ابن عدي: كان يتهم بالوضع ورواياته عن روى ليست محفوظة وعامتها مناكير. وقال ابن معين: ليس بثقة ولا مأمون. وقال عمرو صاحب الأعمش وليث بن أبي سليم: كان يحدث في المسجد وكان كذابا خبيثا. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات والمناكير عن المشاهير لا يحل كتب حديثه إلا على سبيل الاعتبار ..

417 - أصرم بن حوشب أبو هشام: كان قاضيا بممدان يروى عن زياد ابن سعد

وقرة بن خالد. قال يحيى: كذاب خبيث. وقال البخارى ومسلم والنسائي: متروك الحديث. وقال الدارقطني: منكر الحديث. وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات. قال هلال العيسى: [هو فارسي الأصل دخل في الإسلام كمعظم الفرس والروافض للكيد له من الداخل، اطلعت على عدد من أحاديثه الموضوعة ونزّهت كتابي عنها أن أذكرها به، وإن كان بعضها ممن يتداول بين الناس اليوم عن رسول الله ﷺ فلا حول ولا قوة إلا بالله] ..

418 - يحيى بن يعمر أبو سليمان الليثي البصري: ولى القضاء وكان فصيحاً، رماه

عثمان بن دحية بالقدر. وكان عالماً بالقراءة والحديث والفقه ولغات العرب، أخذ عنه أبو الأسود الدؤلى وكان فصيحاً بليغاً يستعمل الغريب في كلامه. قال الأصمعي: تقدم إليه رجل وامرأته، فقال يحيى للرجل: أرأيت إن سألتك حق شكرها وشبك، أنشأت تطلها وتضهلها⁽¹⁾. [فقال] الرجل: لامرأته، والله لا أدري ما يقول قومي حتى ننصرف ..

- كتب يزيد بن المهلب، إلى الحجاج لقينا العدو فاضطربنا إلى عرعر الجبل، فقال

الحجاج: ما لابن المهلب وهذا الكلام؟ فقل له إن يحيى بن يعمر عنده، فقال: ذاك إذن. وحكى أن الحجاج قال له: أتجدني ألحن؟ فقال: الأمير أفصح من ذلك، فقال: عزمت عليك أتجدني ألحن؟ فقال: نعم، فقال: في أى شيء؟ فقال: في كتاب الله تعالى. فقال: ذلك أسوأ، ففى أى

1 - شبرة تطلها: تبطل حقها. وتضهلها: تعطيهها حقها قليلا قليلا. والكناية بالشكر والشبر عن النكاح.

حرف من كتاب الله؟ قال قرأت: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ [التوبة]. فرفعت أحب وهو منصوب. فغضب الحجاج وقال: لا تساكني ببلد أنا فيه، ونفاه إلى خراسان، فولاه يزيد بن المهلب القضاء بها، ثم عزله على شربه النبيذ وإدمانه له. وكان يحيى يتشيع ويقول: بتفضيل [على وأبنائه وعصمتهم وعلمهم الغيب وبما كان ويكون إلى يوم القيامة، كما يدعى روافض الشيعة ! ومن غريب أفعالهم وحقهم أنهم اختاروا نسل زوجة الحسين من الفارسية التي كانت سبية، ليكونوا أئمة لهم، وتركوا نسله من زوجاته الحرات العربيات] !!

419 - محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفى قاضى قضاة الري: سمع وحدث وكان فقيهاً مناظراً متكلماً يميل إلى الاعتزال، وكان وكلاء مجلسه يميلون إلى أخذ الرشاء، فصرف عن قضاء نيسابور، وتوجه إلى الري قاضياً !!

420 - القاضى أبو تمام على بن محمد بن الحسن بن يزداد العبدي: استقضى نواحي الدينور، نقم عليه الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة فقبض عليه، وأخرج [الجند] من داره الخمر وآلاتها وقالوا: هذا كان يخفى هذا المنكر. وأقام ببغداد بعد عزله، وكان رافضياً يتظاهر به ويقول بخلق القرآن ويدعو إليه ..

421 - شهدت حولاً بنت بملول المتعبدة، عند محمد بن يحيى بن حمزة، قاضى دمشق وكان لا يجيز شهادة إلا من امتحنه بخلق القرآن! أيام ابن أبي داوود [قاضى قضاة المأمون] فقال حولاً: ما تقولين فى القرآن؟ فنشرت كفيها وفرقت بين أصابعها وأشارت بهما على وجهه وقالت: سخام على وجهك، ثم ولت وخرجت ..

- عن عمرو بن شرحبيل: أن سلمان بن ربيعة وكان قاضياً قبل شرحبيل، سئل عن فريضة فأخطأ فيها ! فقال له عمرو: القضاء فيها كذا وكذا، فغضب فرفع ذلك إلى أبي موسى الأشعرى وكان على الكوفة، فقال: يا سلمان كان ينبغي لك أن لا تغضب، وأنت يا عمرو كان ينبغي لك أن تساره فى أذنه ..

422 - عبد الرحمن بن بشير الأزرق قال: دخل رجلان [المسجد] وأبو مسعود الأنصاري جالس في حلقة فقالا: ألا رجل ينفذ بيننا؟ فقال رجل من الحلقة: أنا. فأخذ أبو مسعود كفا من حصي فرماه به، ثم قال: مه؟ إنه كان يكره التسرع إلى الحكم ..

423 - زعموا أن أسدا وذئبا وثعلبا اشتركوا فاصطادوا حمارا وظبيا وأرنبا، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل، فقال: أما الحمار فلك وأما الظبي فلي وأما الأرنب فللثعلب.

فغضب الأسد وضربه ضربة أندر بها رأسه ثم قال للثعلب: اقسم بيننا واعدل؟ فلما رأى الثعلب ما صنع بالذئب خشى أن يصيبه مثله فقال: أما الحمار فلك تتغذى به وأما الأرنب فخلالا تتخلل به فيما بينك وبين الليل وأما الظبي فلك تتعشى به.

فقال له الأسد: ويحك يا ثعلب ما ينبغي لك إلا أن تكون قاضيا !! من علمك هذا القضاء؟

قال : الرأس الذى بين يديك [وهذه القصة تضرب في القاضى الخانع الجبان سجين الخوف الذى لا يحكم بالحق خوفا على نفسه من السجن أو التعذيب أو النفى من السلطان وتقربا لرضاه أو مكافأته أو هداياه] ..

424 - قال أبو العلاء المعرى :

رَأَيْتُ قَضَاءَ اللَّهِ أَوْجَبَ خَلْقَهُ وَعَادَ عَلَيْهِمْ فِى تَصَرُّفِهِ سَلْبًا
وَقَدْ غَلَبَ الْأَحْيَاءُ، فِى كُلِّ وَجْهَةٍ هَوَاهُمْ، وَإِنْ كَانُوا غَطَارِفَةَ غَلْبًا
كَلَابٌ تَغَاوَكْتَ اتَّوَا لَجِيْفَةً وَأَحْسَبُنَى أَصْبَحْتُ الْأَمَهَا كَلْبًا
أَبِينَا سَوَى غَشٍّ الصَّدُورِ، وَإِنَّمَا يِنَالُ، ثَوَابَ اللَّهِ، أَسْلَمْنَا قَلْبًا
وَأَى بَنَى الْأَيَّامَ يَحْمَدُ قَائِلٌ وَمَنْ جَرَّبَ الْأَقْوَامَ أَوْسَعَهُمْ ثَلْبًا
وقال :

لَنَا مَا تَدْعُونَ بغيرِ حَقٍّ إِذَا عُرِفَ الصَّحَّاحُ مِنَ الْمِرَاضِ
عَرَفْتُمْ حَقَّنَا فَجَحَدْتُمُوهُ كَمَا عُرِفَ السَّوَادُ مِنَ الْبَيَاضِ
كِتَابُ اللَّهِ شَاهِدُنَا عَلَيْكُمْ وَقَاضِيْنَا إِلَّاهُ فَنَعْمَ قَاضٍ

425 - ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردى ومن لطائف مجونه :

يا من تولى قاضيا هذا قضاء أم قدر
غدروك فى بسـتـاننا إن القضاء يعمى البصر

426 - قال على بن محمد بن أقبرس القاهرى [القاضى] حين أشرك معه شيخ فى

مجلس الشافعية :

تركت الحكم حين رأيت فيه مشارمتى مع السفـل اللصوص
وقالوا عم فيك العزل قلنا رضينا بالعموم ولا الخصوص
فأجابه أثير الدين بقوله :

تنحى عن قض تيس غوى ضل عن نقل النصوص
ولما زاد فى البلوى عموما أتاه العزل رغما بالخصوص

427 - وقال الشاعر عبد الغفار الأخرس :

ألا قطع الرحمن كل مقاطع مضر بما يقضى به غير نافع
رواض بظلم طامع غير قانع وقاض بجور ما له من مضارع
على أنه بالعسف أقطع من ماضى

وقال :

فكم قد جنى فى حكمه من جناية وقد راح فى غى له وغواية
فلا رد قاض ما اهتدى الهداية قضى ومضى لكن إلى كل غاية
وقال أيضا :

بلىنا بقاض جائر غير عادل يجور بحكم قاصر غير طائل
ومن أعظم البلوى بلاء بجاهل يقولون يقضى قلت لكن بباطل

428 - وقال الشاعر أحمد محرم :

شر القضاة سجية وأضرهم قاض يرى الإنصاف غير حلال
كم من أناس إن نظرت رأيتهـم بين الرجال وما همو برجال

من كل مستلب الحمية جامد واهى القوى متخاذل الأوصال
جاف يبيت الخطب يقرع قومه ويبيت فى دعة رعى البال

429 - [القاضى] محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة [تولى قضاء القدس ثم الشام ومصر] هجاه النصير الحمامى بمقطوعة وناول له إياها فحلم عنه وأحسن إليه وهى:
قاضى القضاة المقدسي صاحب الأمور المطاعة
سألته عن أبيه فقال لى ابن جماعه
430 - وقال الشاعر ابن نباتة المصرى :

وقائل لى عندما عدت إلى قاضى القضاة بعد طول مسرى
اهد له مدحاً جميلاً ودعاً قلت نعم كلاهما وتمرا
431 - وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهري :

رأيت رأساً كدبه ولحيته كالمذبذبة
فقلت من أنت قل لى فقال قاضى شلبه

- وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الأحكام : قاضى منى وقاضى كسكر
وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه أبو إسحاق الصابى:

يارب علج علج مثل البعير الأهوج
رأيت مطعاً من خلف باب مرتج
وخلفه عذبة تذهب طورا وتجي
فقلت من هذا ترى فقل قاضى أيدج

432- أبو الحسن عبد الودود بن عبد القدوس القرطبي قال فى هجو [القاضى] ابن

قادوس :

وقالوا سديد الدولة السيد الرضى فأكثر حجاباً وشدد ناموس
وأعجب من ذا أن يلقب قاضياً وأكثر ما يجرى من الحكم تلبس

وأصدق ما نصّ الحديث فكاذب وأظهر ما صلى الصلاة فمنجوس
وأعرف منه بالفرائض راهب وأفقّه منه فى الحكومة قسيس
وما الغيب إلا أن تُحكّم نعمة وضرغام أسد الغاب فى الغيل مفروس
وما لى فوق الأرض مغرز إبرة وتحمّل دميّاط إليه وتّيس
مصائب من يسكت لها مات حسرة ومن ثقلها بتاً يمّت وهو منحوس
وفى جورّه هذا الدهر ما بأقلّه سيضرب فى أرجاء مكّة ناقوس
ويبتاع مسك بالخراء مدّس ويعبد خنزير ويُرسل جاموس
وقالوا ابن قادوس تقدّس كاسمه ومن هو قادوس فلا كان قادوس
أيا من غدا ضداً لكل فضيلة ومن نجمه فى طالع السعد منكوس
ومنها :

وقد قلّتها هجواً وأنفك راغم فلا يدخلن ريب عليك وتلبّيس
أبا الفضل إن أصبحت قاضى أمّة وللحكم فى أرجاء ذكرك تعريس
فإن قريضى بين أذنيك درّة وإن هجائي فى دماغك دبّوس
ورأسى ومثلاً شره سفن خرّدل ايور بغال فى حرامك مدسوس
تجمّع فى الخير والشرّ جملة فخيرى جبريل وشرى إبليس

433- محمد بن أحمد بن خليفة أبو الحسن التونسي: الشاعر الشهير الملقب

بالصرايرى، كان يصحب القاضى حسين بن مهنا الفاسي، وأخذ بزيه فى ترك شاربه لا يحفيه
تشبيهاً برجال الدولة من صنهاجة، فشكاه إليه بعض أصحابه فأسمعه وقال له فى بعض كلامه:
أنا ظلمتك لأنى جعلتك تنفج شاربك على الناس كبرا وطغيانا، وسكت الصرايرى فأنصرف
وقص شاربه وأودعه رقعة كتب فيها وسافر من البلد :

الله يا قاضى على ما أرى أراحنى منك ومن كاتبك
كسبت فى أيامكم شاربا فخذنه والسلاح على شاربك

434 - الشيخ جمال الدين السلموني الشاعر: هجا القاضي معين الدين ابن شمس، قال

ابن طولون: لم يشن الناس عليه خيرا [وهو] وكيل بيت المال بمصر، هجواً فاحشاً، من جملة ذلك هذا البيت:

وحرفته فاقت على كل حرفة يركب ياقوتاً على فص خاتمه

فلما بلغ معين الدين ذلك، شكوا السلموني إلى السلطان الغوري، فقال له: إن وجب عليه شيء بالشرع أدبه، فترل شك السلموني، ولم يكن السلطان رسم بذلك، لكن السلطان الغوري خشى على هيئته خاصة أن القصيدة تضمنت السلموني في الحديد، وأتى به إلى بيت قاضي القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة وادعى عليه فضربه عبد البر وعزره وأشهره على حمار وهو مكشوف الرأس، فلما بلغ السلطان ما فعله معين الدين بن شمس بالسلموني، شق ذلك عليه ووكل به وأمر بقطع لسانه، فإنه قال: السلطان رسم لى بأن أشهر السلموني، ولم يكن السلطان رسم بذلك، لكن السلطان الغوري خشى على هيئته، خاصة أن القصيدة تضمنت تلميحاً لسكوته عن مظالم عبد البر، فأمر بحبس السلموني. حتى أَرْضَى السلطان بمال فألبسه خلعة! ثم إن السلموني هجا عبد البر بقصيدة مطلعها :

فشا الزور فى مصروفى جنباتها ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها

أينكر فى الأحكام زور وباطل وأحكامه فيها بمخلفاتها

إذ جاءه الدينار من وجه رشوة يرى أنه حل على شبهاتها

فإسلام عبد البر ليس يُرى سوى بعمته والكفر فى سنماتها

أست ترى الأوقاف كيف تبدلت وكانت على تقديرها وثباتها

فإذا كان فى الأوقاف ثم بقية تكذبنى فيما أقول فهاتها

ولا بد من بيع الجوامع تارك الجماعات منها ومبطل جمعاتها

ولو أمكنته كعبة الله باعها وأبطل منها الحج مع عمراتها

فلا تخش إثماً أن تخوض بعرضه فغيبته للناس خير لغاتها

فماذا على الإسلام حل من الردا بأيام عبد البر مع سنواتها

435 - وهجا ابن الفضل: قاضى القضاة جلال الدين الزيني، بقصيدة كافية فسير إليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه فطال حبسه، فكتب إلى مجد الدين بن صاحب أستاذ دار الخليفة :

إليك أظل مجد الدين أشكو بلاء حل لست له مطيقا
وقوما بلغوا عنى محالا لى قاضى القضاة الندب سيقا
فأحضرنى بباب الحكم خصم غليظ جرنى كما وزريقا
وأخفق نعله بالصفع رأسي إلى أن أوجس القلب الخفوقا
على الخصم الأداء وقد صفعنا إلى أن ما تهدينا الطريقا
فيا مولاي هب ذا الإفك حقا أحيبس بعد ما استوفى الحقوقا

436 - أحمد بن عبد الدائم بن يوسف الكتاني: وكان شاعرا مشهورا مولعا بالهجاء حتى إنه لما دخل دمشق قدم لقاضيها شهاب الدين الخوي قصيدة هجوا فردها إليه وقال: كأنك ذاهل! قال: بل لست بذاهل بل صنعت ذلك عمدا لأشتهر، لأني رأيت الناس اجتمعوا على الثناء عليك فرأيت أن أخالفهم، فإني لو مدحتك فأعطيني لم يشعر بي أحد، فإذا هجوتك وعزرتني يقال: ما هذا؟ فيقال: هذا غريم القاضى فأشتهر، فوصله وعفا عنه. وحضر إلى ابن عدلان لما عزل عن نيابة الحكم فأنشده :

والله ما سرني عزل ابن عدلان .

فقال له : جزيت خيرا .

فقال : من غير صفع ولا والله أراضاني .

فقال: قبحك الله يا نحس .

قال الكمال جعفر: أنشد هذا بحضرة الأمير موسى بن الملك الصالح، وكان يشكى إليه فضربه بسبب إشاعته القصيدة المشهورة :

متى يسمع السلطان شكوى المدارس وأوقفها ما بين عاف ودارس

وأفحش فيها من هجو القاضى بدر الدين بن جماعة ورمى ولده فيها بعظائم يقول فيها:

يموت عديم القوت بالجوع حسرة ويشبع بالأوقاف أهل الطيالس
فما أجد إلا وحسو حسابه من الغبن ناردونها نار فارس
وهذا ابن قاضى المسلمين موكل بلعق وراح فى ظلام الحنادس
وما ذاك إلا أن والده امرؤ جنوح لما يرضى به غير عابس
وإن رام منه مال وقف يضيعة فما هو للأموال عنه بحابس
ونعذر نجلا هام فى زمن الصبى بكل صبى فاتر الطرف ناعس
فكم صاد غزلانا من الترك دونها فوارس حرب يا لها من فوارس
وكم باع أموال الأيتامى لقربها توسد للمردان فوق الطنافس
فسل مودع الأيتام ما صنعوا به وقد كنسوه عامدا بالمكانس
وجامع طولون فما كان وقفه له إذا تاه غير لحسة لاحس

فلما شاعت هذه القصيدة طلبه القاضى ابن جماعة، فحبسه بسببها لأنه أقذع فيها وشهرها فى الناس، إلى أن قرئت على السلطان ! فقام أيدغدى شقير فى حقه وأخرجه من السجن ..

437 - أخبرنا القاضى أبو المعالى أحمد بن مدرك بن سعيد: كان لبعض أهل المعرة زوجة فغاب عنها إلى مصر، ففسخ القاضى أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان، نكاحها وزوجها رجلا يقال له: الغراب من أهل المعرة، فكتب زوجها الأول إلى القاضى :

أعبد الله قاضى الشام جمعا أعينك أن ترى غير الصواب
وأن تقضى على أحد بما لم يوافق فى الشريعة والكتاب
خلفت على إذ زوجت عرسي بشيخ وهو يدعى بالغراب
فكتب القاضى أبو محمد إليه :

إذا فارقت عرسك عن ملال ولم ترجع تحن إلى إياب
ولم تترك لها فرضا مقيما كما يهدى لربات الحجاب

رأيت بأن أبلغها منهاها لتأخذ من تريد من الشباب
فأفقس فخها لما صلتها تصيد به على ساق الغراب
قال فبلغ الغراب ذلك فقال :

كتابك جاء يخسف بالغراب وينسبه إلى غير الصواب
بليت بحية من عهد عاد لها بين الجنادل والصلاب
لها من عمرها سبعون عاما وعشرونا وعشرفى الحساب
إذا نفخت على رأيت ريشي لنفختها يطير مع السحاب
فقم إن كنت ذا حرص عليها فخذها مع قماشى مع ثيابي
لئن أنجاني الرحمن منها وفك يدي من أسر العذاب
فلا شيدت فى العمران وكرا ولا عششت إلا فى الخراب

438 - وقال عبدان :

لنا قاضٍ له وجّة على أخذ الرشاش عابس
ولكن أيرره أيرر يبدق الرطب واليابس

439 - قضى أبوبكر بن حويطب، فى أيام هشام على موسى شهوات بقضية، فقال

موسى يهجوهُ :

يقلب كف الضبّ كفّا كأنّها كفيفة ضبّ بين حليا ومثعر
وجدتُك فها فى القضاء مُخلّطاً فقدتُك من قاضٍ ومن مُتأمر
فدع عنك يا سيد به ذات رجّة أذى النَّاس لا تحشرهم ثم تحشر

440 - محمد بن أحمد بن مصطفى بطاشكبرى زاده قاضى العساكر: فرد الدهر الجمع

على فضله وبراعته لم ير نظيره فى طلاقه العبارة والتضلع من العربية. قال النجم الغزى فى ترجمته: لم أر روميا أفصح منه باللسان العربى، درس بمدارس قسطنطينية ثم صار قاضيا بحلب ونقل منها إلى دمشق، وأقبل على أهلها وعاملهم بالإكرام التام حتى سحر عقول علمائها

برعايته وإقباله، ثم طلب منهم محضرا في الثناء عليه بعد شهر، فكتبوا له محضراً أثنوا عليه بما شاهدوه منه، ثم لم تتم كتابة الخضر حتى انقلب عن أخلاقه وتظاهر بطمع لم ير نظيره وأكثر من الرشوة، واتفق أنه جاء في زمنه أمر العوارض بثلاثمائة عثمانى فنفعه، وقبل ذلك لم تكلف الناس في العوارض مقدار ذلك، فحضر إلى الجامع ودعا الشيخ محمد بن سعد الدين وأخاه الشيخ إبراهيم وأراهما الأمر، فذكر له الشيخ محمد فقر الناس وعجزهم عنها، فلم يقبل، فضح الناس واجتمعوا عليه وأخذوا في شتمه وإظهار الشكاية منه ومن ظلمه، وتتابع الناس من أرجاء الجامع وأكثروا من سبه وأطلقوا الألسنة فيه وفي الشيخ محمد بن سعد الدين وأخيه ونسبوهما إلى التقصير في ذلك .

فخرج القاضي هاربا وتبعه أكثر الناس بعضهم يرميه بلسانه وبعضهم بيده، حتى إن بعضهم ضربه ببيض انكسر على ثوبه، فالتجأ إلى بعض الدور حتى رجع الناس عنه .

وأما الشيخ محمد بن سعد الدين وأخوه، فإنهما خرجا من باب جيرون وتبعهما جماعة يصيحون، فردهم النقباء والفقراء عنهما .

ثم لما أصبح القاضي أمر بكتابة محضر في تخفيف العوارض وجعلها دينارا واحدا .

وفيه عمل أبو المعالي درويش محمد الطالوي قصيدته السائرة يشير فيها إلى حادثته هذه ومطلعها :

إن الكمال على زيادة نقصه مولى يجود بنفسه للمجتدى
فاذا أتاكم فاسق فتبينوا من حاله والله يجزى المعتدى
يقع جلوسا وسط مجلس حكمه كيما يسكن حكة فى المقعد
وإذا مشى أدلى بواسير إسته من خلفه تحكى أفاعى مريد
مثل الرشاء طويلة أذئابها ما بين ذى ذنب أحد وأورد
وعلى المحيا إذ يحيى مسحة من سام أبرص خاف لسع الأسود
فاصفر بل قالوا دنائير الرشا من أكلها صبغته لون العسجد
من أجل ذا حكوه وهو نبهوج بمحك أحجار كوقع مهند

بيتا تدار عليه كأس الرشا وقد انتشى منها براحات الدد
 فى مجلس حاشاه من قول العدا ما فيه غير مجسم أو ملحد
 فاجاه عزل فاغتندى عن جلق عجلان ذا زاد وغير مزود
 من بعدما عرضت أمور أوجبت ما أوجبت وسل العوارض تشهد
 وهلاك رب العرش من ظلم الورى إن لم يفضج اليوم فاجا فى غد
 ها قد كشفت لكم حقيقة حاله يا قوم فاستمعوا مقالة مرشد
 مد ذاق طعم العزل بحسرة رطب العجان وكفه كالجلد
 كالأقحوانة بعد فعلى ناجر جفت أعاليها وأسفلها ند
 لا زال حادى النجم يهوى خلفه وسقاه نوء الرجم موصول اليد
 ما فرخت يوما عوارض خائنة وأهين قاض خان شرع محمد
 ثم ورد عزله وأعطى قضاء حلب! فسار إليها ثم ترقى بعدها فى المناصب حتى ولى قضاء
 العسكر !!

441 - عبد النافع بن عمر الحموى: نزيل الشام الفاضل الأديب كان من الذكاء
 والفطنة والتضلع من أنواع الفنون، وكان فى أول أمره ساقط الرتبة، فخدم القاضى محمد بن
 الأعوج بإقراء أولاده القرآن، فجعله كاتباً بمحكمة حماة، ثم رقى إلى أن أفتى وانفرد بالفتوى
 من حمص إلى معرة النعمان! وله فى قاض بحماة:

من شَرِّبَيْتِ شَرْقَاضٍ أَتَى حماته يا قُبْحَ ما استحسنَتْ
 أبُوهُ مُحْتَالٌ دَبَى وَكَمْ فى رأسِهِ من دَوْحَةٍ أَغْصَنْتْ
 وأُمُّهُ مَرِيْمٌ لَكِنْ هَا وعيشِكُمْ ليس التى أَحْصَنْتْ

442 - يوسف بن عبد الرحمن بن الحسن الجمال: نشأ بحلب فتعانى الغزل والقراءة
 على القبور، إلى أن اختص بسالم بن سلامة بن سلمان الحموي، قاضى الحنابلة بحلب، وناب
 عنه، وكان جميلاً، تزوج بامرأة يقال لها: الصفراء، ثم فارقها وتزوج [بامرأة] سمراء . فقال
 قاضى الباب الشهاب بن سراج:

ولرب قاض أحمر من كعبة ما كان قط له يد بيضاء
 لعبت به الصفراء أول عمره والآن قد لعبت به السمراء

443 - الكمال محمد بن طلحة المفتي: برع في الفقه والأصول والخلاف وساد وتقدم وحدث ببلاد كثيرة، وتولى ابتداء القضاء بنصيبين ثم ولى خطابة دمشق، ثم لما زهد في الدنيا حج فلما رجع توفي، وقد نسب إلى الاشتغال بعلم الحروف والأوقاف واستخراج أشياء من المغيبات! وقيل: إنه رجع، ويؤيد ذلك قوله في المنجم :

إذا حكم المنجم فى القضايا بحكم حازم فاردد عليه
فليس بعالم ما الله قاض فقد لنى ولا تركن إليه

444 - ومن نظم ابن عاصم قوله مخاطباً شيخه قاضى الجماعة أبا القاسم بن سراج، وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان، فأعد معتذراً ولم يصدق الظن :

فديتك لا تسأل عن السر كاتبا فتلقاه فى حال من الرشد عاطل
وتضطره إما لحالة خائن أمانته أو خائض فى الأباطل
فلا فرق عندى بين قاض وكاتب وشى ذا بسر أو قضى ذا بباطل

- وحكى أن بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الأحكام والنوازل، وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها، وكان فى مجلس قضائه تتول به النوازل، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به ! فكتب إليه بعض أصحابه مداعبا بقوله:
بلوشة قاض له زوجة وأحكامها فى الورى ماضيه
فيا ليت له لم يكن قاضيا وياليتها كانت القاضيه

445 - ورؤى أن الشعبي دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: يا شعبي بلغنى أنه اختصم إليك رجل وامرأته، وأن المرأة كانت من أجمل النساء فقضيت للمرأة على زوجها فقال فيك شعرا. فأخبرني بقصتيهما وأنشدني الشعر إن كنت سمعته. فقال : يا أمير المؤمنين لا تسألني عن ذلك. فقال: عزمت عليك لتخبرني. قال: نعم. اختصمت إلى امرأة وبعلمها فى مجلس القضاء، فأدلت المرأة بحجتها وقربت بينتها، فقضيت للمرأة إذا توجه لها القضاء فقام الرجل وهو يقول :

فـتـنـ الشـعـبـى لـمـا رـفـع الطـرـف إـلـيـهـا

بفتاةٍ حـمـين قامـت رفـعـت مأكـمـتيـهـا⁽¹⁾
ومشـت مشـيـا رويـدا ثم هـزـت منكبيـهـا
فـتـنـتـهـ بـقـهـ وـأمـ ويـخـطـي حـاجبيـهـا
وبنـانٍ كـالمـداري واسـودادٍ مـقـلتـيـهـا
قـال لـلجـلـوا زـقـربـهـا وأحـضـر شـاهـديـهـا⁽²⁾
فـقـضـي جـوراً علينـا ثم لم يـقـضـ عليـهـا
كـيـف لو أبـصـر مـنـهـا نـحـر هـا أو سـاعـديـهـا
لـصـبـاً حـتـى تـرأهـ سـاجـداً بـين يـديـهـا
بـنـت عـيسـى بـن حـرـاد ظـلـم الخـصـم لـديـهـا

فقال عبد الملك: فما صنعت؟ قال: أوجعت ظهره ضرباً يا أمير المؤمنين حين جورني في شعره، وانتهك من حرمتي في مجلس الحكومة بما افتري به علي، قال: أحسنت. وكانت القصيدة قد تناشدها الناس وتداولوها، حتى بلغت الشعبي⁽³⁾ وهو في مجلس القضاء ! [فأمر] بضرب الأشجعي [زوج المرأة] ثلاثين سوطاً .

وقال الهيثم بن عدي: خاصمت أم جعفر بنت عيسى بن حراد، زوجها إلى الشعبي، فلما قامت [من] بين يديه قيل لها: ما صنع؟ قالت: سألتني البينة، ومن سأل البينة فقد فليح. ثم قضى لها.

فقال زوجها هذيل الأشجعي⁽⁴⁾:

فـتـن الشـعـبي لـمـا رفـع الطـرف إـليـهـا

1 - المأمكتان : لخماتان تصلان بين العجز والمنتن.

2 - الجلولاز : الشرطي.

3 - هو عامر الشعبي ولاءه عبد الملك بن مروان قضاء البصرة.

4 - هو هذيل بن عبدالله بن سالم الأشجعي شاعر ماجن هجاء من أهل الكوفة، له هجاء في ثلاثة من قضائها هم: عبدالله بن عمير والشعبي وابن أبي ليلى.

وقال ابن أبي ليلى: خرجنا مع الشعبي إلى المسجد، وقد قام من مجلس القضاء، فمررنا بجارية تغسل في أجنة⁽¹⁾. فلما رأت الشعبي قالت: فتن الشعبي لما، فتن الشعبي لما. البيت. ولا تجيز البيت. فلقتها، وقال: رفع الطرف إليها. ثم قال: أبعد الله، أما إنا ما قضينا إلا بالحق ..

- وخاصم الوليد بن صريع أخته أم كلثوم⁽²⁾ إلى عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة وكان يقال له: القبطى لفرس كان له ، وكان ابنه عمرو يرمى بها! فقضى لها على أخيها . فقال هذيل الأشجعي :

لقد عثر القبطى أوزل زلةً وما كان منه لا العثار ولا الزل
أتاه وليد بالشهود يقوذهم على ما ادعى من صامت المال والخول⁽³⁾
يقود إليه كلثماً وكلامها شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحقه وكان وليد ذاً مرءٍ وذا جدل
وكان لها دلٌ وعينٌ كحيلة فأدلت بحسن الدل منها وبالكحل
وما برحت تومى إليه بناظرٍ وتومض أحياناً إذا خصمها غفل
ففتنت القبطى حتى قضى لها بغير قضاء الله فى السور الطول⁽⁴⁾
فلو كان من فى القصر يعلم علمه لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تخاوصً وكان وما فيه التخاوص والحول⁽⁵⁾
إذا ذات دلّ كلمته لحاجةٍ فهم بأن يقضى تنحنج أو سعل
وبرق عينيّه ولاك لسانه يرى كل شيء ما خلا شخصها خلل⁽⁶⁾

1 - والإجنة : إناء تغسل فيه الثياب.

2 - وقيل زوجته فى كتاب كنايات الأدباء.

3 - صامت المال والخول : أى ليس عنده شيء من مال الدنيا.

4 - السور الطول : سور القرآن الطوال.

5 - التخاوص : الغض من البصر شيئاً وهو فى ذلك يحدق النظر.

6 - برق عينيّه : وسعها وأحد النظر . لآك لسانه : حركة.

فبلغ ذلك عبد الملك بن عمير فقال: ما لهديل أخزاه الله، والله لربما جاءتني النحنة أو السعلة وأنا في المتوضأ فأذكر ما قال فأردها!

- وروى أن رجلا وامرأته، اختصما إلى بعض قضاة البصرة وكانت المرأة حسنة المنتقب⁽¹⁾ قبيحة المسفر. وكان لها لسان. فأخذ القاضى [فى الحديث] معها، فكأنه مال معها على زوجها! فقال: يعتمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها! ففطن الرجل لميله إليها فقال: أيها القاضى قد شككت أنما زوجتى فمرها تسفر عن وجهها! فوقع ذلك على اختيار القاضى [وهواه] وقال: اكشفى عن وجهك؟ فأهوى الزوج فألقى النقاب عن وجهها! فلما كشف عن وجهها رآها قبيحة، فقال: عليك اللعنة أخزاك الله تجيء إحداكن بعينى مظلومة فإذا كشفت، كشفت عن وجه ظالمة! فقال زوجها:

قَوْمِي إِلَى رَحْلِكِ أُمَّ حَاتِمٍ قَدْ كَدْتَ تُسَيِّبِينَ فَوَادَ الْحَاكِمِ
بَنَاطِقِ مَظْلُومٍ وَوَجْهِ ظَالِمٍ

- وروى أن حمدان البرتى كان على قضاء الشرقية، فقدمت امرأة طقطق الكوفى طقطقا إليه، فادعت عليه مهرا أربعة آلاف درهم. فسأله القاضى عما ذكرت فقال: أعز الله القاضى مهرها عشرة دراهم، فقال لها البرتى: أسفري فسفرت فانكشف صدرها! فلما رأى [القاضى] ذلك قال لطقطق: ويلك مثل هذا الوجه يستأهل أربعة آلاف دينار ليس أربعة آلاف درهم! ثم التفت إلى كاتبه فقال له: أفى الدنيا أحسن من هذا الشذر على هذا النحر⁽²⁾؟ فقال له طقطق: إن كانت قد وقعت فى قلبك طلققتها. فقال له البرتى: تهددها بالطلاق وقد قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا فَضَّيَ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب]. إن طلقته كان هاهنا ألف ممن يتزوجها! فقال طقطق: إني والله ما قضيت وطرى منها. وأنا طقطق وليس زيد! فأقبل البرتى على المرأة فقال لها: يا حبيبتي ما أدرى كيف كان صبرك على مباضعة هذا البغيض؟ ثم أنشأ يقول:

تَرْبِصُ بِهَا رَيْبَ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا تَطْلُقَ يَوْمًا أَوْ يَمُوتَ حَلِيلُهَا

1 - النقاب : الغطاء الذى تضعه المرأة على وجهها.

2 - الشذر : صغار اللؤلؤ.

فقام طلقط فتعلق به وصيف غلام البرقي. فصاح به : دعه يذهب عنا في سقر، ثم قال لها: إن لم يصر إلى ما تريدن، فصيرى إلى امرأة وصيف حتى تعلمنى فأضعه في الحبس !

فكتب صاحب الخبر بما كان، فعلق به البرتي وصانعه على خمسمائة دينار، على ألا يرفع الخبر بعينه، ولكن يكتب أن عجوزا خاصمت زوجها فألظ⁽¹⁾، فاستغاثت بالقاضى فقال لها: ما أصنع يا حبيبتى؟ هو حكم ولا بد أن أقضى بالحق. وانصرف البرتي متيماً ! فما زال مدنفاً يبكى ويهيم ويقول الشعر! فكان مما قاله :

واحسرتى على ما مضى ليتنى لم أكن أعرف القضا
أحببت امرأة وخفت الله حقاً فما تم حتى انقضى

446 - عمر بن حبيب العدوي: من أهل البصرة قدم بغداد وولى بها قضاء الشرقية وقضاء البصرة أيضاً للرشد وللأمان، فكان إذا جلس للقضاء أقام الجند عن يمينه وعن يساره سمطين، فلم يكن قاضى أهيب منه، وكان لا يكلم فى طريق! قال إبراهيم بن عمر بن حبيب : كلم يونس بن حبيب، أبى فى حاجة فأبطأ عليه فقعد له على الطريق فقال :

وتعزل يوم تعزل لا يساوي صنيعةك فى صديقك نصف مد
فقضى أبى حاجته!

قال أحمد: قدم علينا فلم نكتب عنه، وكان مستخفاً به جداً.

وقال يحيى: كان يكذب. وقال مرة: ضعيف. وكذلك قال النسائي وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به. وقيل: ليس بشيء، متفق على تضعيفه وكذبه ابن معين ..

447 - قال خالد بن عبد العزيز الثقفى: لما ولى معاذ بن معاذ، كان إذا جلس [جلس] عن يمينه محمد بن عدى بن أبى عمارة النميرى وعبدالرحمن بن حبيب الطفاوى، وعن يساره سليمان بن الأهمر والحارث بن حسين، وهم شيوخ جلة علما فيتكلمون فى الحكم وينظرون الخصوم .

1 - أَلظ : اشتد مراؤه وخصومته.

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي :

يا معاذ بن معاذ الخير يا خير حكيم اتق الله فقد أصبحت فى أمر عظيم
لا تولي الدهر من أنت به جد عليم قد تهيا اللاحقيون وإبنا تميم
شمروا القمص وحلوا موضع السجد بثوم لزموا مسجدا مع ضيعته أى لزوم
صام من أجلك من لم يك منهم ليصوم وهو ذئب يرقب الغرة فى الليل البهيم

وقال آخر لما عزل عمر بن حبيب وولى معاذ :

يا من لدهر أتى بحاجتنا أعقبنا ريبه ومنقلب به
أعقبنا من قضاتنا رجلا كالثور مسترسل له غيبة
كنا نشق الجيوب من عمر حتى ابتلينا بمن خلا عجبه
يا شوم قوم أتوا خليفتنا هم أشاروا به وهم سببه
ما وفقوا للسداد فيه ولا أفلح من ساقه ومن جلبه
أحول مثل البعير جثته لا عقله يرتجى ولا أدبه

وقال آخر يهجوّه :

أبلغ خليفتنا هرون همتنا أن قد بلينا بإحدى المصملات
بحاكم ووزير جل همته ضم اللجين وأخذ العسجديات
قاض البصيرة قاض لا خلاق له من الرباب سدومي القضيات

أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب النميرى قال: وقفت امرأة من الأعراب على معاذ بن معاذ وقد حبس ابنا لها فقالت: قد اكتنفتك هذان الذئبان [أى كتبه] يكتبان ويمليان، وأنت جالس تشاءب كأنك حمار أو كأنك آكل حيسة، قد ختم سمها على فؤادك فأنت بهيم لا تفقه والله ولا تنقه. خبرني عن ابني فيم حبسته؟ فوالله ما كان يشرب الزينية ولا يأتى الأبله ولا يلعب بالنرد؟ وقال بشر بن شبيب :

سليمان يقضى ثم يمضى قضاؤه وليس لقاضينا قضاء سوى الختم

إذا جاءه الخصمان حرك رأسه وروح إبطيه ويحث فى الحكم
يحد الذى يزنى بقطع يمينه ويقضى على اللص المثبت بالرجم
وقال الشعراء يهجون معاذ بضعفه :

عاق السجل دنانير مهياة صبت من الجعل للذراع ستونا
ظلمت يابن على حين تبصرها من حبها ساجدا حيران مفتونا
قنعت أخرة القاضى مخائله بالهرقلييات مما حاز اليوننا
فالحاكم الغمر بالقرنين مشغل والجالبون من الذراع مليوننا
وقال آخر فيه :

أكثرنا فى ابن المثنى عليا أو أقللوا ليس يا قوم يعقل أى رجله أطول
لا ولا بين تمرتين لدى الحكم يفصل ابتلى وابتلى به الناس والأمر معضل
من يكن للقضا وللحاكم ممن يعجل فمعاذ والحمد لله ممن يطول
قل لقسامنا هنيا هنيا لكم كلوا لكم الشأن كأن كاهه
فـانظروا أن تـأثـلوا أسـرعوا فيه أسـرعوا
بـادروا قبـل يعـزل قد نرى من يلى مسائله قد تمولوا
ولآخر :

إذا رأوا هامة الشيخ أسود كلهم ضارى سليمان شبيه القرد منهم وابن سيار
وذاك البيدق الجرمى عفر من الأعضاء فذا يقضى وذا يقضى وقاضينا بنى قار
وكثرت شكاية الناس لمعاذ وسعت عليه، ورفع عليه عند أمير المؤمنين، فكتب يأمر
باشخاصه وإشخاص محمد بن حرب الهلالى ومحمد بن عبد الله الأنصارى وعمر بن حبيب وعبد
الله بن سوار، فشخصوا إلى بغداد وأذن للقوم فدخلوا فأقبل أمير المؤمنين على الأنصارى،
فقال: إني وليت معاذاً على الاختيار له، ثم بلغنى عنه أمور أحببت أن أسأل عنه، فأخبرونى عنه
وأوماً إلى الأنصارى، فقال: خير له وللمسلمين ألا يلى عليهم .

وقال ابن حرب: قد كان على ما ذكر أمير المؤمنين، ثم ظهرت له بطانة أفسدته .
 وقال عمر بن حبيب: يا أمير المؤمنين القاضي بين حامد له وذام .
 فأقبل على ابن سوار فقال: ما تقول؟ فقال: على ما ذكر أمير المؤمنين حتى ظهرت له
 أشياء من أصحابه، وفساد في بصره مع سنه.
 فقال: إن فساد البصيرة قد يكون في الرجل الشاب. فقال: أجل يا أمير المؤمنين
 فتحتمل ذلك في غير القضاء، فأما في القضاء فلا .
 فقال: صدقت، ثم أقبل على الفضل فقال: ادفع إلى كل رجل منهم خمسة آلاف درهم،
 ونهضوا، فأقبل الفضل على معاذ، فقال: قد والله ذمك القوم جميعاً، وودع الفضل الجماعة
 وانحدروا ومعاذ معهم .. [فلما صرف عن القضاء، أظهر أهل البصرة السرور به ونحروا
 الجزور وتصدقوا بلحمها !! واستتر في بيته خوف الوثوب عليه. ثم أشخص بعد هذا الوقت إلى
 الرشيد، فاعتذر فقبل عذره ووهب له ألف دينار⁽¹⁾..

448 - ولى المأمون إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة [القضاء] : وقدم البصرة [ولم يسر
 فيهم بسيرة حميدة]. قالوا: مر [إسماعيل] رجل يعلن شرب النبيذ ومعه رجل يدعى عليا وكان
 كاتبه وأمينه، غير أنه قد غلب عليه ، فقال بعض الشعراء :

إذا ما قال صدقه على فتابعه إلى سبيل دحاض
 فليتك يا ابن حماد مقيم بأرضك قاضياً وغير قاض
 ويا ليت ابن أكثم كان فينا على ما كان فيه من عضاض

[وقيل: كان] إسماعيل بن حماد ينشد في مجلس القضاء :

وما نلت منها محرماً غير أنها إذا هي بالبت بليت حيث تبول
 إذا ذكرت جن الفؤاد بذكرها وظل عمود الخصيتين يحول

1 - الأنساب ج 4 ص 247.

سليمان بن منصور الخزاعي قال: حضر إسماعيل بن حماد جنازة امرأة من العلويين بالكوفة، وهو قاضيهما، إذ ذاك فازدحم الناس عليها وتمسحوا بها [كعادة روافض الشيعة لعلها تشفع لهم أو تحل عليهم بركاتها] فدنا من إسماعيل رجل، فقال: أصلحك الله أما ترى ما يصنع هؤلاء الجهال؟ فقال له إسماعيل: اسكت لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزى بهذه !!

449 - حدثنا محمد بن القاسم قال: لما عزل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن قضاء البصرة، شيعه يحيى بن أكثم وكان هو الصارف له! فدعا الناس [لإسماعيل بن حماد] وقالوا: عفت عن أموالنا وعن دمائنا. فقال إسماعيل: وعن أبنائكم يعرض بيحيى [بن أكثم] في اللواط! قال أبو العيلاء: قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، ما ورد على مثل امرأة تقدمت إليّ فقالت: أيها القاضي ابن عمي زوجني من هذا ولم أعلم، فلما علمت رددت، قلت لها: ومتى ما رددت؟ قالت: وقت ما علمت، قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقت ما رددت. قال: فما رأيت مثلها ..

450 - ولما دخل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة البصرة قال: هممت أن أؤدب من خالف أبا حنيفة في مسألة. فقال له قائل: هل كان أبو حنيفة يؤدب من خالفه؟ قال: لا. قيل له: فأدب نفسك فقد خالفته ..

451 - قيل: قدم رجل مع إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وهو على قضاء البصرة، فأقام أكثر من سنة متعطلاً، فكثر عليه الدين لرجل من أهل البصرة، فتوعده أن يقدمه إلى القاضي، فأتى الرجل إسماعيل فأخبره بما تخوفه من حبس الرجل إياه. فقال: إذا قدمك فأقر له بحقه ثم قل أبيع دارى وأفضيه فإنه سيقول: لا دالك، قل: فأبيع دابتي وضيعتي، فإنه سينكر أن يكون لك شيء. ففعل فجرى بينهما ما قاله القاضي. فقال القاضي: قد أقررت أنه لا شيء له، فكيف أحبسه؟ فخلي سبيله ..

452 - حدثنا إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان لنا جار طحان رافضى [أى شيعى] وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر! فرمحه ذات ليلة أحدهما فقتله. فأخبر أبو حنيفة فقال: انظروا البغل الذى رمحه الذى سماه عمر؟ فنظروا فكان كذلك ..

453 - عبد الله بن محمد بن أبي يزيد الخليجي [القاضي] ولي مظالم الجبل، ثم أخبر ابن أبي داود المعتصم أنه مستقل بالقضاء، واستشهد ابن الجهم في مال عظيم فلم يقبله، وكان حين ولي قضاء الشرقية يظهر العفة. وصفه أحد الشعراء فقال عنه :

نسبته فلى سواد لبسته أشبه شيء بالون خلقتة
كأننى بالحبال قد نصبوا فيه الخليجي فوق بغلته
أكرم به من فلى مناسبة بين أجوينه وقصعته
ما عذب الله أمة سلفت فيما سمعنا بمثل صورته
يصطليح الناس حين يقعد للحكم فراراً من هول طلعتة
لو لم يدنفه كف قانصه لطار منها على رعيتة

وكان المجان ببغداد نقبوا الموضع الذى يجلس فيه ويستند إليه، فقل شأنه وتحدث الناس بذلك، وكان فيه كبر وتيه. وكان من أصحاب ابن أبي داود يمتحن الناس [بخلق القرآن] جاءته امرأة محمد بن معاوية الأنماطى المعروف بابن فالج احدث فقالت: إن زوجي لا يقول بقول أمير المؤمنين فى القرآن، ففرق بينه وبينها! وعزل الخليجي واستقضى حيان بن بشر الأسدي، فأمر أن يقيم الخليجي للناس، فأقامه فى مسجد الشرقية فادعيت عليه دعاوى ..

454 - قال أبو سفيان الحميري: ولي القضاء بواسط لابن هبيرة، ابن العداء الكندى فتقدم رجل إلى ابن هبيرة فقال: أصلح الله الأمير، إن قاضيك هذا يرتشي. قال: أرتشى منك؟ قال: نعم. فدعا ابن هبيرة بحلة فقال: ارشه هذه حتى أنظر يقبلها، ففعل وراح ابن العداء على ابن هبيرة فيها فعزله ..

455 - قال سفيان بن عبد الملك: سمعت ابن المبارك يسأل عن أبي شيبة الواسطي، فقال: إرم به. وقال أحمد بن أصرم المزني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان أبو شيبة قد وقع على الحكم عن مقسم وضعفه جدا ..

456 - قال المثنى بن معاذ: قال أبي: كتبت إلى شعبة وهو ببغداد أسأله عن أبي شيبة القاضي، فكتب إلى: لا ترو عنه فإنه رجل مذموم فى مذهبه وإذا قرأت كتابي فمزقه ..

457 - قال صالح بن محمد : أبو شيبة قاضى واسط ضعيف، روى عن الحكم أحاديث مناكير، لا يكتب حديثه منها (1) ..

458 - القاضى أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني: اشتغل بالعلم وغلب عليه في الأول التصوف والزهد ولقى الجنيد والعلماء وكتب الحديث وتفقه للشافعي، ثم تولى قضاء مراغة ثم قضاء أذربيجان ثم قضاء همدان ثم سكن بغداد وعظم شأنه وولى بها قضاء القضاة .
دخل عليه يوما ابن سكرة الهاشمي، وقد كان مدحه فأخّر صلته فدفّع إليه قصة، فلما قرأها لم يظهر منه غضب بل وقّع فيها شيئا بخطه وقال: أين رافع هذه القصة؟
فقام ابن سكرة فدفّعها إليه، فأخذها مقدرًا أن فيها ما يكف لسانه من صلة أو بر، فلما قرأها استحيا وخاف وانصرف وهو يترقب التأديب والتعزير، فقرئت فيما بعد فإذا فيها بخط ابن سكرة :

يا عتبة بن عبيد حوشيت من كل عيب
وبخط القاضى : لبيك يا مختصر وأنت حوشيت من كل سوء. وبخط ابن سكرة :
وأبعد الله قومًا رموك عندي بعيب
قالوا بأنك تهوى زبيبة بن شبيب
وبخط القاضى : كذبوا. وبخط ابن سكرة :
فقلت هذا محال أصوبة بعد شبيب
وبخط القاضى : أحسن الله جزاءك قلت ما يشبهك. وبخط ابن سكرة :
لقد هتفتهم بشيخ نقي عرض وجيب

1 - [وقفت على بعض ما رواه من أحاديث عن رسول الله ﷺ فإذا هي في غاية السجاجة والضعف لا يعقلها عاقل، منها عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر وأن النبي ﷺ أمرنا أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب وغير ذا أحاديث مناكير] .

وبخط القاضي : بنس ما فعلوا الحمد لله على ذلك. وبخط ابن سكرة :

رَأَيْتُمُ الْأَيُّـرْفِيـهَ فَلَـمَّ شـهـدْتُم بـغـيـب

وبخط القاضي : جهلا منهم بطريق الشهادة ..

459 - أبو الحسن محمد بن عبد الله الهاشمي الشاعر المعروف بابن سكرة الهاشمي قال

عنه الثعالبي: هو شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول الطرف والملح مولعا بمجوى القضاء، هجا قاضي القضاة أبا السائب لأنه لم يكافئه على مدحه له، ولتضايقه من حاجب القاضي الذي اشتهر بتهتكه وعهره⁽¹⁾ ..

460 - قال عباس بن عقبة الحضرمي: عن يحيى بن ميمون الحضرمي قاضي مصر:

بلغني عن أهل مصر أنه لم يكن محمودا في ولايته . وقال ابن بكير: سمعت المفضل بن فضالة يقول: كان بنس القاضي. ولم يكن بالمحمود في ولايته. وعن عبيد الله بن سعيد عن أبيه قال: كان مشكوا كتابه، وكان أول قاضي شكى كتابه . وقال فضالة بن المفضل عن أبيه قال: كان كتاب يحيى بن ميمون لا يكتبون قضية إلا برشوة، فكلم يحيى في ذلك فلم ينكره! ثم كلم مرة بعد مرة فلم يعزل منهم أحدا عن كتابته!! وأسند أبو عمر الكندي إلى ابن قديد، أن يتيما من مراد كان في ولاية يحيى بن ميمون وهو على القضاء تحت حجر رجل من قومه، فبلغ فتظلم من العريف فلم ينصفه القاضي. فأحضر بينة شهدت عند القاضي بأنه مظلوم، فلم يقبلهم يحيى بن ميمون، فكتب إليه الغلام بأبيات أبي شمر :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَسَّانَ عَنِّي بِأَنَّ الْحُكْمَ لَيْسَ عَلَى هَوَاكَ
حَكَمْتَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَأْتِ حَقًّا وَلَمْ يُسْمَعْ بِحُكْمٍ مِثْلِ ذَاكَ
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ حَقٌّ وَعَدْلٌ وَأَزْعُمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَاكَ
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنْتَ كَـ حِينَ تَحْكُمُ قَدْ يَرَاكَ

1 - [حاجب القاضي هو: محمد وكان عاهرا يتعرض لحرم الناس، وكان موسوما بمحبة القضاة ! فكانت لا تمتنع

عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة ! وكان جميلا مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه، وبعد وفاة قاضي القضاة أبي السائب عتبة بن عبيد الله، قبضت أملاكه وصودر محمد وضربه الوزير أبو محمد المهلبى لما بلغه عنه من التحزم والتهتك أيام أبي السائب] .

فلما قرأ الرقعة أمر بسجنه، فبلغ ذلك هشام بن عبد الملك فعظم ذلك عليه، فكتب إلى أمير مصر الوليد بن رفاعه يأمره بعزله وفي الكتاب: اصرفه مذموماً مدحوراً. وعين للقضاء رجلاً عفيفاً تقياً لا تأخذه في الله لومة لائم ..

461 - وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: أخبرني بعض مشايخنا أن رجلاً لقي المفضل بن فضالة بعد أن عزل عن القضاء، فقال له: حسيبك الله قضيت عليّ بالباطل وفعلت وفعلت. فقال له المفضل: لكن الذي قضينا له يطيب [لنا] الشاء ! وقال أبو زرارة القتباني: كان المفضل يجلس في مسجده يقضى بين الناس، فيمر به عبد الله بن عياش القتباني فيقول: إذا رأى اجتماع الناس عليه، أهذا الثور يحسن القضاء؟ ويضرب بإحدى يديه على الأخرى!

وقال أحمد بن يحيى: كان المفضل أول من طول السجلات ونسخ فيها كتب الأعباس والوصايا والديون. وقال يحيى بن بكير: كان إسحاق بن معاذ بن مجاهد شاعراً، فخاصم إلى المفضل، وكان قد هجا المفضل، فأدخل يده إلى كفه ليخرج قصته فأخرج الهجو فدفعه إليه وهو :

خَفَّ اللَّهُ وَاسْمَعْ مِنْ مَقَالِي مُفْضَلُ فَإِنَّكَ عَنْ فَصْلِ الْقَضَاءِ سَتُسْأَلُ
وَقَدْ قَالَ أَقْوَامٌ عَجِبْتُ لِقَوْلِهِمْ أَقَاضَ لَهُ شَعْرٌ طَوِيلٌ مَرْجَلُ
فَرَمَى الْمُفْضَلُ بِالرَّقْعَةِ وَقَالَ: قُمْ لَا حَيَّاكَ اللَّهُ. ثُمَّ هَجَاهُ بِهَذِهِ وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا:
أَفَى الْعَدْلِ أَنْ أَقْصَى وَأُخْرِجَ مَتَعِباً وَتَدْنِي بِلُطْفٍ مِنْكَ خَصْمِي وَيَدْخُلُ
وَتَقْبَلُ مِنْهُ فِي مَغْيَبِي شُهُودُهُ وَبَيِّنَتِي لَيْسَتْ إِذَا غَابَ تُقْبَلُ
وقال فيه إسحاق بن معاذ :

سَادَعُوا إِلَهِي حَتَّى الصَّبَاحِ لِكَيْمَا يُعِيدُكَ كَلْباً هَزِيلًا
سَنَنْتَ لَنَا الْجَوْرَ فِي حُكْمِنَا وَصَيَّرْتَ قَوْمًا لُصُوصًا عُدُولًا
وَلَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ فِيمَا مَضَى بِأَنَّ الْعُدُولَ عَدِيدًا قَلِيلًا

وقيل: جعل المفضل صاحب مسائل يبحث له عن أحوال الشهود، وكان كاتبه فليح بن سليمان الرعيني، يرتشى من أقوام ليذكروهم بالعدالة لكونه رسم لذلك، فشكى الناس من كاتب المفضل ومن أمرائه ومن ولده ..

462 - وقال يحيى بن عثمان: جاء رجل إلى الليث بن سعد فقال: ما تقول في رجل قال لرجل يا مابون يا من ينكح دبره؟ فقال الليث: انت القاضي إسماعيل بن اليسع فأسأله فقال: قد صرت إليه فسأله فقال لي: يقول له مثل ما قال له! فقال الليث: سبحان الله وهل يقال هذا؟! وكتب الليث إلى الخليفة، يا أمير المؤمنين إنك بليتنا برجل يكيد سنة رسول الله ﷺ بين أظهرنا، مع أنا ما علمنا في الدينار والدرهم إلا خيرا. فكتب بعزله ..

463 - محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكنانى أبو بكر الحداد المصرى الفقيه، اشتغل في الفقه وسمع الحديث وولى القضاء بمصر، وكان يظهر الاعتزال ويتكلم على ألفاظ الصالحين، وله شعر ويظهر الوسوسة وكان يهوى رومية يكنى عنها بنويرة، وله فيها شعر كثير منه :

وأرات جفونى من نويرة كاسمها نارا تضل وكل نار ترشد
والماء أنت وما يصح لقابض والنار أنت وفى الحشا تتوقد
واتفق أنه حكم بشهادة واحد ويمين طالب الحق ! وكان الشاهد من شهود أبي عبيد
فضرب أبو بكر على فخذه وقال: قد حكمت بشهادتك وحدك وليست لأحد بعدك !!
ورميت فى ولايته عدة رقاع فى الجامع، منها رقعة فيها أبيات شعر وهى :

قولوا لحدا دنا الفقيه	العالم الماهر الوجيه
وليت حكما بغير عهد	وغير عقد نظرت فيه
ثم أبحث الفروج ما	وقعت فيها على البديه
هذى فعالت حملت فيها	وزرك مع وزر من يليه
وهل ترى ذا ولسنت فيه	بجائز من مخالفيه
أنكرت حالا من ابن عمرو	ما أننت فيه ومترضييه
وحننت عهدا والله ربى	لناقض العهد مبتلييه
والمكر فى الناس داء سوء	والعجب أيضا لمرتدييه
لكنه فى كغير نفي	للأمر والنهى يشتهيه

464 - عبد الحكم بن سعيد بن سعيد بن مالك الفارقي: ولى القضاء وأضيف إليه

الأحباس واتسعت يده فى الأحكام وتحصيل الأموال إلى أن قيل: صار دخله فى السنة عشرين ألف دينار! قال ابن ميسر: وكان سقط النفس، يكثر من الأكل فى سطح الجامع، وحين يحضر للحكم بالجامع. مات فى ولايته رجل يقال له: الزيلعى وترك مالاَ جزيلاَ ولم يخلف سوى بنت واحدة وأمها جارية، فورثوها جميع المال على قاعدة مذهبهم، [أى مذهب الروافض الشيعة].

ثم ماتت البنت فانتقلت النعمة إلى الجارية، فتناول الناس لتزويجها لأجل كثرة مالها ، ومن جملتهم عبد الحاكم [القاضى] ! فامتنعت فحنق منها، وأقام أربعة شهدوا بأنها سفيرة، ووضع يده على التركة واحتوى على مالها!! فهربت منه إلى دار الوزير صفى أمير المؤمنين وخاصته أبى القاسم الجرجائى وطرحت نفسها على جواريه فأقنوا حالها إليه، ثم أحضرت إليه وعرفته ما جرى عليها وما اعتمد معها القاضى، فعمل محضراً برشدها، واستكتب لها جماعة منهم ابن أخى القاضى أبو الحسين بن مالك بن سعيد. وأمر الوزير بإحضار القاضى فأحضر مُهاناً، وجرى عليه المكروه قولاً وفعلاً، وألزم بتسليمها مالها ووكل به من استعاد منه المال، وذلك بعد أن كان تصرف فيه قبل أربع سنين. وأمر بحمل ما عنده من المال منذ ولايته إلى أن كانت هذه القصة، فكان خمسين ألف دينار فى كل سنة! ثم قبض الوزير على الشهود الذين شهدوا بسفورها، فجرى عليهم المكروه وطرحوا بالمطبق، وخلع الوزير على من شهد لها بالرشد. ولزم [القاضى] داره بالقاهرة فلم يخرج عنها حتى مات .

وفيه وفى قاسم بن عبدالعزيز [القاضى]، شُنق هو وجماعة من رؤساء المصريين بالدولة الفاطمية الشيعية وكانوا اجتمعوا وأرادوا إعادة الدولة وتعاهدوا على ذلك، وعلى أن يكتبوا الفرنج ليحاصروا القاهرة ! إذا تشاغل بهم صلاح الدين ﷺ وثبوا على القصر، وأعادوا الدولة العبيدية . فاتفق أن حضرهم أبو الحسن بن نجا الواعظ [الشيعة] فتم إلى السلطان صلاح الدين فقبض عليهم فشنقهم. وتتبع الإسماعيلية وأخرجهم من الديار المصرية. وأخرجوا من بالقصر من حواشى الفاطميين [وطهر أرض البلاد منهم، وفى القاضى قاسم بن عبد العزيز والقاضى عبد الحاكم بن سعيد]. يقول بعض الشعراء :

ولما تولى ابن عبد العزيز قضاء القضاة تولى القضاء
وأعقب من بعده الفارقي فأدبر إقباله وانقض

وَحَاطَ دَعَائِمَ دِينِ الْإِلَهِ وَأَوْقَدَ فِي الْأَرْضِ جَمْرَ الْغَضَا
وَعَادَ الْقَضَاءُ إِلَى قَاسِمٍ فَأَصْحَبَ عَنْ رُشْدِهِ مُعْرِضاً
فَلَا ذَا بِسِيرَتِهِ يُرْتَضَى وَلَا ذَا بِتَدْبِيرِهِ يُسْتَضَى
فَهَذَا رَئِيسٌ بِهِ لَوْثَةٌ وَهَذَا وَضِيعٌ بَعِيدُ الرُّضَا
فَمَا فِيهِمَا أَحَدٌ يُرْتَجَى وَلَا فِيهِمَا أَحَدٌ يُرْتَضَى
فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فَيَمُنَ أَتَى وَلَا بَارَكَ اللَّهُ فَيَمُنَ مَضَى

465 - عبد الله بن راشد بن جعفر بن يزيد يعرف بابن أخت وليد: قاضي مصر.
قال ابن زولاق: ولي الإخشيد قضاء مصر لابن أخت وليد. فلبس السواد وجلس في الجامع
العتيق. فنظر في الأحكام. وكان أولاً من وجوه التجار وأهل اليسار يميل إلى الاعتزال وأهله.
ولم يكن متمكناً من شيء مما يدعيه من العلوم. ثم ولي قضاء دمشق. ويقال: إنه كان سَخِيفاً
خليعاً مذكوراً بالارتشاء. واستهان بالأكابر. وكان كثير الهزل والمجون في مجلس الحكم وبحضرة
الشيوخ. هجاه جماعة من أهل مصر. واتفق في ولايته أن الإخشيد كتب إلى الوزير محمد بن
علي بن مقاتل، أن يجمع من الرعية مالاً بسبب فداء الأسارى. فقام ابن وليد واعتنى بذلك
مساعدةً للوزير وتقرباً لخاطر الإخشيد، وبذل نفسه في التحصيل حتى استخرج من وجوه
الناس ومن الأسواق والسواحل والأعمال مالاً كثيراً، وظنت به في ذلك الظنون ونسب إليه
أنه اختان مما جمع شيئاً كثيراً، مع ما كان يحويه من المال وكثرة البضائع. ولما وصل ذلك إلى
الإخشيد شكره، فلدَّ في استطالته وأطلق لسانه في الناس وعرض وخوف وانبط في التعديل.
وكان كثير الهزل حتى قالت له امرأة: خذ بيدي، فقال: وبرجلك ! ومع ذلك لم يطعن عليه في
سراويل ولا في شرب مسكر، إلا أنه كان ينقم عليه الهزل والتبسط في الأحكام وأخذ الرشوة.
فزال أمر ابن الوليد وأقام بطلاً اثنتي عشرة سنة. ثم ولي قضاء دمشق فلم يحمد ونهبت داره،
وكانت وفاته وهو بطل وقد جاوز التسعين وظهرت عليه آثار الخرف. وقد تولع جماعة من
المصريين بمجاء ابن وليد. قال محمد بن بدر القاضي [في] ابن وليد بقوله في قصيدة طويلة :

يَا أَوْضَعَ النَّاسَ أَخْلَاقاً وَأَنْذَلَهُمْ فِعْلاً وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الْجَمِيلِ عَمَى
لَوْ كُنْتُ تَخْشَى قَضِيَّاتِ الْمَعَادِ لَمَا أُلْفَيْتَ فِي كُلِّ أَمْرٍ فَاضِحَ عِلْمَا

أعمى عن الرشيد فى كل الأمور فقد أصبح فى الدين بين الناس متهما
يا ابن الوليد تسمع قول الحق معتقدا أو كنت تخشى عذاب الله معتصما
لما استعنت بحماد اللعين وما رأيت أنت له فى صالح قدما
جعلته كاتباً يمضى الأمور ولم يمس فى العلم قرطاساً ولا قلماً

- عبد الله بن محمد بن الحَصِيب أبو بكر: نزيل مصر ولد بأصبهان، ولى القضاء
[بمصر] ثم أضيف إليه قضاء دمشق والرملة وطبرية. ثم أحضر عهداً من الخليفة ولم يثبت ف قيل
له: يكون ولدك محمد بن عبد الله نائباً عن محمد ابن صالح ويكون العهد باسمه وأنت الناظر
عليه. ولبس السواد من دار ابن الإخشيد واستكتب ابنه ينظر فى الأحباس، وتصلب فى
الأحكام واحترز فى أحواله كلها، وزاد فى أجر الأحباس، وعقد مجلساً كان يحضر فيه جماعة من
الفقهاء الموافقين والمخالفين ويتكلم معهم. فاتفق أنه أُملى مجلساً أورد فيه عن معاوية حديثاً
فقال المستملى: عن معاوية رضي الله عنه، فقال له الحَصِيب: يا هذا: ترجمت على معاوية وهو طليق ابن
طليق! فسكت المجلس. وبلغه بعد انصرافهم أنهم أنكروا قوله وأن قوماً خرقوا ما كتب عنه.
وعقد لكافور مجلس للمظالم يجلس فيها كل سبت. وعقد الوزير جعفر ابن الفضل بن جترابة
مجلساً للفقهاء، فكان الحَصِيب وابنه يحضران عند كافور وعند الوزير، ويحضر ذلك أيضاً ابن
الحداد وابن بلبل وأبو طاهر الذهلي، وكان قدم مصر من دمشق، وكان يتولى قضاء دمشق
فاتفق أن أهل دمشق كتبوا فى حق أبي طاهر محضراً فساعدتهم الحَصِيب، وجمع جمعاً من
المصريين، فأدخلهم على كافور فذموا أبا طاهر، فظن كافور أنهم من أهل دمشق.

وكان أبو جعفر مسلم حاضراً، فسار كافورا فصاح الحَصِيب: يا أبا جعفر عليه السلام وَلَا تَكُنْ
لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً (١٠٥) [النساء]. فصاح أبو طاهر: ألا تحسن أدبك يا شيخ بحضرة
الأستاذ. وصنع ابن الحَصِيب كتاباً مزوراً على الخليفة فى حق أبي طاهر فعزله كافور من
دمشق، وأضافها لابن الحَصِيب، فتتجز أبو طاهر كتباً من بغداد إلى كافور بأن الكتب مزورة،
وعاونه أبو جعفر، فلم يرجع كافور عن مساعدة الحَصِيب.

وكان الحَصِيب قد تقرب إلى كافور بمال أهده له فصار يساعده. وتشكى جماعة من
أهل الفَرما من الحَصِيب ومن نائبه فنصره عليهم وضربوا وطيف بهم على الحمير!

وثار الرعية بالخصيب في الجامع فهرب منهم. ووقع بين الخصيب وأبي بكر بن الحداد خصومة في مجلس المظالم فتسابا. وكان الخصيب يتوسع في القول وأبو بكر لا يجاوز المعقول احترازا وتصونا وتدينا، فصار في غم، وكانت وفاة الخصيب بعد أن بنى داره الكبيرة المعروفة بابن شعرة، وكان اشتراها من محمد بن أبي بكر وعمرها وأتقن وعمل فيها دعوة عظيمة فعمل فيه ابن كشاجم :

اشترى الدار الكبيرة ودعا فيها الوكيله
صخر الباب وفي تصغيره أشأم طييره
قبره لاشك فيه بعد أيام يسيره
وقال فيه أيضاً :

قبح الله الخصيبى ما أقبح أمره
اشترى الدار التي كانت قديماً لابن شعرة
وهى الدار التي يبثرفيها الله عمرة
لا يتم الحول حتى يجعل المجلس قبره
فكان كما قال: اعتل ومات !

466 - القاضى أبو الطاهر الذهلى قاضى مصر: ولى قضاء واسط وجانب بغداد وقضاء دمشق ثم قضاء مصر معها، واستناب على دمشق وسمع وروى وكان مفوها، حسن البديهة شاعرا حاضر الحجة عارفا بأيام الناس. قال عبد الغني: لما تلقى القاضى أبو الطاهر المعز بالأسكندرية سأل المعز فقال: يا قاضى كم رأيت خليفة؟ قال: واحدا، قال: من هو؟ قال: أنت والباقون ملوك ! فأعجبه ذلك ثم قال له: أحججت؟ قال: نعم، قال: وسلمت على الشيخين؟ [يعنى أبابكر وعمر رضى الله تعالى عنهما، انظر لقول الرافضى المنافق] قال: شغلنى عنهما النبى ﷺ، كما شغلنى أمير المؤمنين عن [السلام على] ولى عهده ! فازداد به المعز إعجابا وتخلص [هو] من ولى العهد إذ لم يسلم عليه بحضرة المعز، فأجازه المعز يومئذ بعشرة آلاف درهم .

وذكر على بن سعيد في كتابه جنى النحل أن أبا الطاهر كان في خلافة المطيع يلبس السواد ويضع على رأسه دنية طويلة يزيد على الدماغ. فتحاكم إليه زوجان فبدر من المرأة في حق زوجها كلام فقال لها: اسكتي، هَذَا القاضى هو أبو الطاهر، متى زدت من هذا المعنى نزع الخف الذى على رأسه وقطعه على دماغك. فقال له أبو الطاهر: قم يا كذا يا كذا إلى لعنة الله من أين لك أن هذا خف؟

قال ابن زولاق: تقدم إليه رجل بامرأة يجحد ابنة له منها، فكاد يلاعن بينهما إلى أن قدر أن الرجل اعترف بابنته، فأمر بحمله على جمل والبنت بين يديه ونودى عليه، هذا جزاء من يجحد ولده. وجاءت إليه نصرانية أسلمت ولم يُسلم زوجها ولهما ولد صغير فقال: لا يصير مسلماً بإسلام الأم. فأنكر الناس ذلك فضجوا، فقال: إن مذهب أهل البيت أنه يصير مسلماً وحكم بإسلامه !

467 - قتل الحاكم قاضيه حسين بن على بن النعمان حرقاً بالنار، وكان سبب قتله أن رفع إلى الحاكم شخص متظلم رقعةً يذكر فيها أن أباه مات وترك له عشرين ألف دينار، وأنها كانت في ديوان القاضى حسين، وكان ينفق عليه منها مدة معلومة. فحضر يطلب من ماله شيئاً فأعلمه القاضى أن الذى له نفذ، فاستدعى الحاكم بالقاضى، فدفع إليه الرقعة فأجابه بما قال للرجل وأن الذى خلفه أبوه استوفاه من نفقته. فأمر الحاكم بإحضار ديوان القاضى في الحال فأحضر ففتش فيه عن مال الرجل. فظهر أنه إنما وصل إلى القليل منه. ووجد أكثره باقياً. فعدّد على القاضى ما كتبه له وأجراه عليه وما شرط عليه من عدم التعرض لأموال الرعية فجزع وهاله ذلك. وقال: العفو وأتوب. وانصرف بالرجل فدفع إليه ماله وأشهد عليه. فحقد الحاكم عليه ذلك فأمر به فحبس ثم أخرج بعد ذلك على حمار نهاراً والناس ينظرون. فضربت عنقه وأحرقت جثته ..

- حمزة بن على بن يعقوب الغلبوني: استخلفه مالك بن سعيد الفارقي على الحكم وفوض إليه جميع الأمور، رفع جماعة لمالك عنه أموراً أنكرها، وبالغوا في ذلك إلى أن منعه [مالك] من حضور المجلس، فانقطع مدة ثم حضر فأنتهره فخرج فاستتر. فكتبوا فيه محضراً اشتمل على عظامهم وأطلقوا القول فيه، فرضى مالك بإبعاده ولم يزجر من وقع فيه . وكانت صورة المحضر بعد البسملة: هذا ما شهد به من يسمى في هذا الكتاب، أنهم يعرفون حمزة بن

على ابن يعقوب الغلبوني الوراق، معرفة صحيحة لشخصه ونسبه واسمه ويشهدون أنهم انكشف لهم من حاله، من قلة الأمانة وظهور الخيانة ورقة الدين واغتصاب مال المسلمين والارتشاء على الحكم، إلى غير ذلك من القبائح. وصح عندهم أن في بعده عن باب الحكم طهارة له وصالحاً للمسلمين وصونا لحرمتهم وأموالهم. هذا مع مخالفته لمذهب الإمام وتظاهره بخلافه، أن قاضى القضاة كان إذا بلغه شيء من ذلك يزجره ويحذره فيظهر الرجوع ثم يعود حتى صار يختلى بالمرجفين، ويسعى في الأمور العظيمة التي لا يكاد ينطق بها اللسان، فثبت أنه غير موضع للقضاء ولا لقبول الشهادة، يعلمون ذلك ويشهدون به، بسؤال من جاز سؤالهم، إن ثبتت شهادتهم بما علموه عنه، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا خطوطهم على علم منهم. ثم زادوا في الخط عليه، فتغيب فقيلاً لهم: إنه اختفى عند أبي القاسم بن المغربي الوزير ليشفع فيه، فلم يعرف بذلك. ثم وجد أخوه فقبض عليه وأهين ثم هرب. فلم يزل هو وأخوه مستترين حتى ظفروا بهما، فاعتقلا ..

468 - ولي بكار بن قتيبة قضاء مصر من قبل المتوكل على الله، ودخلها ولقى محمد بن الليث قاضى مصر قبله وهو خارج إلى العراق، فقال له بكار: أنا رجل غريب وأنت قد عرفت البلد فدلني على من أشاوره وأسكن إليه، فقال: عليك برجلين أحدهما عاقل وهو يونس بن عبد الأعلى، والآخر زاهد وهو أبو هارون موسى بن عبد الرحمن، فقال له بكار: صفهما لي فوصفهما له، فلما دخل مصر أتاه الناس، وجاءه الرجلان فاخص بهما، وكان يشاورهما في أموره، فقال يوما لموسى: يا أبا هارون، من أين المعيشة؟ فقال: من وقف وقفه أبي أتكفى به، ثم قال له موسى: يا أبا بكرة، قد سألتني وأريد أن أسألك، قال: أسأل، قال: هل ركبك دين بالبصرة؟ قال: لا، قال: فهل لك ولد أو زوجة؟ قال: لا ما نكحت قط، قال: أفلك عيال؟ قال: ما عندي سوى غلامى، قال: أفأكرهك السلطان على القضاء وعرض عليك العقاب؟ قال: لا، قال: أفضررت آباط الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا لضرورة إلا لتلى دماء المسلمين وأموالهم وفروج نسائهم، لله على لا عدت إليك بعد هذا اليوم ولا كلمتك أبداً، ثم انصرف عنه ولم يعد إليه ..

469 - ولي محمد بن أبي الليث، الحارث بن شداد الإيادى الجهمى القضاء نحواً من عشر سنين ولم يكن محمود السيرة في أحكامه. وقد امتحن الفقهاء بمصر في القرآن. قال ابن

قديد: إن الواثق لما ولى الخلافة ورد كتابه بواسطة ابن أبي داوود على ابن أبي الليث بأن يمتحن الناس بخلق القرآن، فشدد في ذلك ولم يترك فقيهاً ولا متحدثاً ولا مؤذناً حتى أخذه بالحنة، وملاً السجون ممن لم يُجب، وهرب كثير من الناس، وأمر بأن يكتب على المساجد: لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق! ومنع الفقهاء من أصحاب مالك من الجلوس في المسجد الجامع. وحكم على بنى عبد الله بن عبد الحكم، بودائع كانت للجروى عندهم بألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار، فأقاموا الشهود بأن الجروى كان قد أبرأهم وأخذ الذى له، فعسفهم هذا الجهمى وعنتهم. وقال يحيى بن عثمان: ورد كتاب [من المتوكل ليعقوب بن إبراهيم قوصرة عامل البريد بمصر] يأمره بالكشف على محمد بن أبي الليث [القاضى] فكشف عنه، وكاتب المتوكل بما صح من أمره. قال ابن خلكان :

بعث المتوكل إلى نائبه بمصر بجس ابن أبي الليث واستصفاء ماله فحبس وأولاده وأعوانه، وحلق لحيته وضربه وطوف به على حمار في رمضان وكان ظلوما جهميا. ووثب أهل مصر على مجلس ابن أبي الليث فرموا حصره وغسلوا موضعه بالماء !! ثم ورد كتاب المتوكل يأمر بلعن ابن أبي الليث على المنبر فلعن، وضجت العامة بلعنه وبقي بالسجن ..

470 - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن العمري: مدني الأصل مالكي المذهب. تولى من قبل الرشيد فدخل مصر فاستكثر من اليهود وهو أول من فعل ذلك. واستكتب أبا داوود النحاس وزكريا بن يحيى الحرسى وخالد بن نجيح وإسحاق بن محمد بن نجيح. قال سعيد بن عفير: كان من أشد الناس في عمارة الأحباس، وقال أحمد بن يحيى بن وزير: لم يكن في قضائنا أكثر شهوداً من العمري. كان قد اتخذ نحواً من مائة من أهل المدينة، أكثرهم من موالى قريش والأنصار، وكان رئيسهم عبد العزيز المطرفي.

قال يحيى الخولاني:

كَمْ فَقِيرٌ كَانَ قَدْ مَوَّلَهُ بِالْمَوَارِيثِ الَّتِي كَانَ مَنَحَ
زَكَرِيَّا وَكَبِيشٌ مِنْهُمْ وَالْمَدِينِيُّونَ أَصْحَابُ الْبَلَحِ
فَأَفَادُوا الدُّورَ فَضْلاً بَعْدَ مَا كَلَبَ الْفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَالْأَلْحِ
كَمْ يَتِيْمٌ حَوَّوْا أَمْوَالَهُ وَشَهِيدٌ عَادِلٌ كَانَ جَرَحُ

وقال يذكر أصحابه:

زَكَرِيَّا وَكَبِيشٌ مِنْهُمْ وَالْمَدِينِيُّونَ أَصْحَابُ الْبَلَحِ
فَأَفَادُوا الدُّورَ فَضْلاً بَعْدَ مَا كَلَبَ الْفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَاللَّحْ
كَمْ يَتِيمٍ حَوَّوْا أَمْوَالَهُ وَشَهِيدٍ عَادِلٍ كَانَ جَرَحُ
نُصَيْرٍ أَمْوَالُ الْيَتَامَى جَوَائِزًا لِأَصْحَابِهِ حَتَّى اسْتَقْلَوْا وَأَتْرَبُوا
كَبِيشٌ وَطَلْقٌ وَالْقُرَيْرِيُّ مِنْهُمْ وَخَالِدٌ وَالْجَعْدِيُّ ذُو الْفَقْهِ أَشْهَبُ
وَمَا ابْنُ بُكَيْرٍ ذُوهُمْ وَسُرَاقَةٌ وَسَابِقُ لَا تَنْسَاهُ ذَاكَ الْمَعَذِّبُ
وَفِي حَكَمٍ وَالْمُطَرَفِيُّ عَجِيبَةٌ وَمَا إِنَّ أَبُو يَعْقُوبَ عَنْهَا مُعْجِبُ
وَفِي زَكَرِيَّا آيَةٌ فَاعْجَبُوا لَهَا فَقَدْ صَارَ بَعْدَ الدُّلِّ لِلْجَوْرِ يُرْهَبُ
وَبَعْدَ قِرَانِ الْعُرَى أَصْبَحَ فَاكْتَسَى وَبَعْدَ الْخَفَى وَالْمَشَى قَدْ صَارَ يَرْكَبُ
وَعَيْرُ الْأُلَى عَدَدَتْ مِمَّنْ نَسِيَتْهُ رَجَالٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُتَعَجَّبُ

وجرى في ولاية العمرى قصة أهل الحرس، وهم قوم من أهل مصر كان رؤساء المصريين يؤذونهم. فاجتمع الحرسيون إلى كاتب العمرى زكريا الحرسى وكان منهم فقالوا له: حتى متى تؤذى ونطعن في آباتنا، فأشار عليهم بجمع مال، يدفعونه إلى العمرى ليسجل لهم سجلا يثبت أنسابهم ! فجمعوا له ستة آلاف دينار ، ووكل لهم في الأمر سابق بن عيسى وكبيش بن سلمة ولوط بن عمر، فلما صار المال إلى العمرى لم يجسر على أن يسجل لهم، وقال: ارفعوا إلى الرشيد في ذلك. فخرج عبد الرحمن بن زياد الحرسى وأبو كنانة إلى العراق وأنفقا مالا عظيماً هناك، وادعيا أن المفضل بن فضالة قد كان حكم لهم يثبت أنسابهم، وأنهم بنو حوتكة بن أسلم بن الحاف بن قضاة .

قال أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح غير مرة: أقر عندى عبد الكريم القرايطسى، وكان يضع على الخطوط نظيرها [أى يزورها] وزور على لسان المفضل يثبت أنساب أهل الحرس إلى حوتكة، وأخذ من أبى كنانة وأبى حكيم الحرسيين ألف دينار، وأن المتولى لديوان المفضل [أخذ] ألف دينار حتى جعلها في الديوان، قال ابن وزير: ثم أتى عبد الرحمن بن زياد

بكتاب محمد الأمين إلى العمرى بالتسجيل لهم، فدعاهم العمرى، فسجل لهم بأنهم عرب ولم يرد واحداً شهد لهم ! قال يحيى الخولاني:

يَا لَيْتَ أُمَّ حُوَى لَمْ تَلِدْ ذَكَرًا أَوْ لَيْتَ أَنَّ حُوَيَّا كَانَ ذَا خَرَسٍ
كَسَا قُضَاعَةَ عَارًا فِي شَهَادَتِهِ اللَّهُ دُرُّ حُوَى شَاهِدِ الْحَرَسِ
شَهَادَةٌ رَجَعَتْ لَوْ أَنَّهَا قُبِلَتْ لِأَلْحَقِ الزُّورَ مِنْهَا الْعِيرَ بِالْفَرَسِ
وقال :

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ عَصَابَةَ مِنْ الْقَبْطِ فِينَا أَصْبَحُوا قَدْ نَعَرَبُوا
وَقَالُوا أَبُونَا حَوْتُكَ وَأَبُوهُمْ مِنْ الْقَبْطِ عَلَجَ حَبْلُهُ مُتَذَبِذِبُ
وَجَاءُوا بِأَجْلَافٍ مِنَ الْحَوْفِ فَادَّعَوْا بِأَنَّهُمْ مِنْهُمْ سَفَاهَا وَأَجَلَبُوا
أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَانَ رَاضِيًا بِهِمْ رَغْمًا مَا دَامَتِ الشَّمْسُ تُغْرِبُ

وقال ابن الوزير: كان العمرى يشدو بأطراف الغناء على طريقة أهل المدينة. ويبرز كثيراً في مجالسه ولا يتحاشى أن يقول هذا غنى به ابن سريج وهذا به الدلال، وهذا من جيد غناء الغريض، ولم يكن بمصر مسمعة إلا ركب إليها يسمع غناءها، وربما قوم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين! قال يحيى الخولاني:

مَرَبَّنَا رَاكِبٌ عَلَى فَرَسٍ يَا مَنْ رَأَى هِرْيَئِدًا عَلَى فَرَسٍ
قَدْ كَشَفَ الْخُفَّ مِنْ ضَلَالَتِهِ فِي عَصْبَةٍ مِنْ مَسَالِمِ الْحَرَسِ
يَقْدُمُهُ خَالِدٌ وَيَتْبَعُهُ لُوطٌ الْكَلْبَيْنِ فِي مَرَسِ
فَقُلْتُ مَنْ ذَا اللَّعِينِ قِيلَ أَبُو النَّدَى غَدَا مُسْرِعًا إِلَى عُرْسِ
كَيْمَا يَرَى قَيْنَةً ذَكَرَتْ تَشْدُو بِصَوْتِ كَالْجَرَسِ
أَصْبَحَ فِي الْمُخْزِيَّاتِ مُنْعَمَسًا وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِمُنْعَمَسِ
وقال أيضاً :

أَلَا قُمْ فَأَنْدُبِ الْعَرَبَا وَبِكَ الدِّينَ وَالْحَسَبَا
وَلَا تَنْفَكْ تَنْعَى الْعَدْلَ لَمَّا بَانَ فَأَغْتَرَبَا

لَقَدْ أَحْدَثَ قَاضِي السُّوءِ فِي فُسْطَاطِنَا عَجَبًا
يَظَلُّ نَهَارَهُ يَقْضِي بَعَيْنِ الْعَدْلِ مُنْتَصِبًا
وَيَسْهَرُ لَيْلَهُ لِسَمَاعِهِ الْقَيْنَاتِ وَالطَّرِيَا
وَيَشْهَرُ بِهَا مُعْتَقَةً عَقَارًا تُشْبِهُ الذَّهَبَا
وَيُعْجِبُهُ سَمَاعُ الْعُودِ وَالْمَرْمَارِ يَا عَجَبًا
فِيَا لِلنَّاسِ مِنْ قَاضِي يُحِبُّ اللَّهُوَّ وَاللَّعِبَا

وقال أبو مسعود عمرو بن حفص اللخمي :

كَمْ كَمْ تُطَوِّلُ فِي قِرَاتِكَ وَالْجَوْرُ يَضْحَكُ مِنْ صَلَاتِكَ
تَقْضِي نَهَارَكَ بِالْهَوَى وَتَبْيِيتُ بَيْنَ مُغْنِيَاتِكَ
لَيْتَ الْبِلَا مِنَ الَّتِي تَجْرِي تُقْوِمُ بِمُسْمِعَاتِكَ
فَاشْرَبْ عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ بِمَا ارْتَشَيْتَ مِنَ الْحَوَاتِكَ
إِنْ كُنْتَ قَدْ أَحَقَّاهُمْ عُرْبًا فَرُوجُهُمْ بَنَاتِكَ
وَلْتَكْشِفْ بِنَا أَتَيْتَ صُدُورُ قَوْمٍ مِنْ مَسَاتِكَ
وَكَلَّا أَنْتَ بِمَنْيَّةٍ تَسْعَى إِلَيْكَ بِكَفِّ فَاتِكَ
أَفْقَرْتَهُ مِنْ مَالِهِ بِقَضِيَّةٍ أَوْ لَمْ يُؤَاتِكَ
لَا تَعْجَلَنَّ أَبَا النَّدَى حَتَّى تَصِيرَ إِلَى وَفَاتِكَ
إِنَّ الْمُقَامَعَ تُطْلَقُ مِنَ الْجَحِيمِ إِلَى مَمَاتِكَ
بَلْ لَوْ مَلَكْتُ لِسَانَ أَكْثَمِ مَا وَصَلْتُ إِلَى صِفَاتِكَ

وقال ابن الوزير: وكان أهل مصر يكتونه أبا الندى، يشبهونه بأبي الندى مولى البلويين

وكان مشهوراً في اللصوص. عن ابن وزير قال: أخرجت مراد فرسا لها يوم الرهان، وكانوا
يفخرون به يسمونه الزعفران، وأخرجت يحصب فرسا لها يسمى الجناح، وجعل كل فريق منهم
لصاحبه أيهم سبق كان المسبوق له، فسبق فرس مراد فرس يحصب حتى كاد أن يدخل الغاية،

فخرجت يحصب، فضربت وجه الزعفراني حتى تحير فدخل الغاية، فاقتلوا، وانضم مع كل فريق منهم طائفة من الناس، وركب الأمير ليث بن الفضل يحجز بينهم، ورد الأمر إلى العمري لينظر فيه، فأتته يحصب بأموال عظيمة، فحكم لهم بالفرس، ودفع إليهم الزعفراني وقضى لهم به.

قال يحيى الخولاني:

إِنْ كَانَ مُهْرُ أَخِي زَوْفٍ أَفَاتَ بِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ جَوْرُ زَنْدِيقِ
فَكَمْ يَدٍ لِبَنِي زَوْفٍ وَإِخْوَتِهِمْ فِي آلٍ فَهَرْتُغُصُ الشَّيْخِ بِالرَّيْقِ
إِنْ حَاكَمَ عُمَرَى جَارَ فِي فَرَسٍ فَسَوْفَ يُرْجِعُهُ عَدْلُ ابْنِ صَدِيقِ

وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج ليحيى:

طَلَبْتَ فَلَمْ تَأُلْ حُسْنَ الطَّلَبِ وَرُمْتَ عَظِيمًا وَلَمَّا تُصَبِّ
وَعَوَّلْتَ مَوْتًا عَلَى رَمِيهِمْ بِقَوْسِ الضَّلَالِ وَتَبَلِ الْكَذِبِ
فَإِنْ كَانَ فِي فَرَسٍ عَثْبُكُمْ فَعِنْدِي لَكُمْ فَرَسٌ مِنْ قَصَبِ
وَلَا فَمَهْرٌ كَرِيمُ النَّجَارِ قَلِيلُ الْعِظَامِ كَثِيرُ الْعَصَبِ

وقال يحيى:

أَلَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُتَنَدِّبُ يُحَامِي عَنِ الْعُمَرَى الْعَطَبِ
وَرَامِي مُرَادٍ وَخَوْلَانَهَا بَنِيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ غَيْرِ الصَّيْبِ
لَعَمْرُكَ مَا أَنْقَصَ الْعُمَرَى بِأَمْرِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَرِيمَ الْحَسَبِ
مَلَا الْأَرْضَ جَوْرًا بِأَحْكَامِهِ وَأَظْهَرَ فِيهَا جَمِيعَ الرِّيبِ

قال ياسين عن أبيه: إن العمري جعل أموال الأيتام إلى يحيى بن عبد الله ابن بكير، فكان بيده منها مال عظيم، فاشترى به الرباع والنخيل، وأقبل يستغلها ويرفع إلى الأيتام من تلك الغلة ما يستتفقونه، ويحسب عليهم بالذي يرفعه إليهم من أصل المال [مع أنه من أرباح أموالهم]! فلما صارت إليهم رؤوس أموالهم، ادعى يحيى الأصول وقال: هي لي. فخوصم عند العمري فقال: لا أراه ظلمكم بشيء هي أموالكم استهلكتموها !

حدثنا أحمد بن عبدالمؤمن العدوى قال: ضم العمرى إلى يحيى بن بكير أموال اليتامى فاشترى النخيل والرباع، فكان يعطى أرباب الأموال من الغلة ويحسب عليهم، فلما علم أنه قد صار إليهم قدر ما أودعوه، ادعى يحيى الأصول وأنكر اليتامى ما أودع، ثم استقضى هاشم بن أبي بكر البكرى وأخذ ابن بكير بالحساب، فأنكر، فشده إلى عمود من المسجد أياما، فلم يقر بشيء فخلى عنه .

حدثنا يحيى بن عثمان عن أبيه قال: فلما اشتد البلاء على أهل مصر من ولاية العمرى، خرج نفر من القراء احتسبوا في خروجهم إلى هارون ، فشكوا إليه ما يفعله العمرى فيهم، فقال هارون: انصرفوا لا عزلته أبدا ! فلما مات الرشيد وولى محمد بن هارون، عزل العمرى عن مصر، وكان الذى قدم بعزله رجل من بنى قميم . فرأيت ذلك الرجل وقد تكاثف الناس عليه بالدعاء والثناء.

فقال رجل من أهل مصر:

بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَرَأَى الْفَضْلَ نَحَى عَنِ الْحُكْمِ عَدُوُّ الْعَدْلِ
هَذَا سُورَازْ لِرَسُولِ الْعَزَلِ

فوليها العمرى إلى أن صرف عن القضاء تسع سنين وشهرين . عن عبيد الله عن أبيه قال: لما ولى البكرى القضاء، تتبع أصحاب العمرى كلهم وسجنهم وسجن العمرى وقيدته، وطالبه بما صار إليه من الأموال والأوقاف وغيرها، وأسقط كل من شهد لأهل الحرس، فلم يرجع أحد منهم عند أحد من القضاة، وأقام يحيى بن عبد الله بن بكير، فنادى عليه وشهره بخيانتته وزعم أهل مصر، أن العمرى اكتسب مائة ألف، فطالبه البكرى بها وعرفه وجوهها، ثم هرب العمرى من السجن ليلا فلم يدرك. قال يحيى الخولاني :

هَرَبَ الْخَائِنُ لَيْلًا فَجَنَحَ وَأَتَى أَمْرًا قَبِيحًا فَافْتَضَحَ
هَارِبٌ تَحْمِلُهُ نَاجِيَةٌ يَصِلُ الْإِذْلَاجَ عَدُوًّا بِالرَّوْحِ

قال عبيد الله عن أبيه: هرب العمرى من السجن وكانت أمواله بمدين، فمضى إلى مدین فاحتملها وتبعه جمع من البوادی يخفرونه حتى بلغ فيد، فلقية قوم من أسد وطى فأوقعوا به وأخذوا جميع ما حواه، فما تخلص منهم إلا بحشاشة نفسه. قال يحيى:

إِنْ يَكُنْ أَفْلَتَ مَيْمًا سَالِمًا يَوْمَ وَلَّى مُسْرِعًا حِينَ هَرَبَ
فَلَقَدْ وَافَى بِفَيْدٍ عُصْبَةً يُسْعِرُونَ الْحَرْبَ حَتَّى تَلْتَهَبَ

وقال طاهر القيسى لأبي ربح :

وَلَقَدْ كَسَوْتَ أَبَا النَّدَى بِفَعَالِهِ حَرِيًّا يَلُوحُ قِنَاعُهُ الْمُتَشَّابِ
وَزَحْمَتُهُ لَمَّا تَخَمَّطَ زَحْمَةً ضَاقَتْ عَلَيْهِ بِهَا الْعِرَاقُ يَثْرِبُ
وَنَجَا لِحَوْفِكَ هَارِيًّا بِخَزَايَةِ وَأَخُو الْخَزَايَةِ وَالشَّرَارَةِ يَغْلِبُ

وعن ابن بكير: أن أبا ربح الخولاني وهاشم بن حديج وفدا من مصر إلى الأمين، فرفعوا على العمرى وذكروا ما فعل العمرى في أهل الحرس، وأنه ألحقهم بالعرب ونسبهم إلى حوكة بن أسلم بن الحاف بن قضاة، فكتب محمد الأمين إلى البكرى يأمره أن يردهم إلى ما كانوا عليه من أنسابهم، فرجع الوفد بذلك فدعا البكرى أهل الحرس بقضية العمرى لهم، فأتوه بها وتوهموا أنه يزيدهم شهوداً، فأخرج البكرى مقرضاً من تحت مصلاه فقطع قضية العمرى وقال لهم : العرب لا تحتاج إلى كتاب من قاضٍ، إن كنتم عرباً فليس ينازعكم أحد. فقال معلى الطائي:

يَا بَنِي الْبُظُرَاءِ مَوْتُوْا كَمَدًا وَاسْخَنُوا عَيْنًا بِتَخْرِيقِ السَّجَلِ
لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَكُمْ مِنْ بَنَى الْعَبَّاسِ طُرًّا لَفَعَلَ
لَكِنَّ الرَّحْمَنُ قَدْ صَيَّرَكُمْ قَبْطَ مِصْرٍ وَمِنْ الْقَبْطِ سِفْلُ
كَيْفَ يَا قَبْطُ تَكُونُوا عَرَبًا وَمَرِيْسٌ أَصْلُكُمْ شَرُّ الْجَيْلِ

قال يحيى الخولاني :

أَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى إِحْسَانِهِ فَلَهُ الْحَمْدُ كَثِيرًا وَالرُّغْبُ
رَجَعَ الْقَبْطُ إِلَى أَصْلِهِمْ بَعْدَ خِزْيِ طَوْقُوهُ وَتَعَبِ

وَدَنَّا نِيرَ رَشَوَهَا قَاضِيًا جَائِرًا قَدْ كَانَ فِينَا يَغْتَصِبُ
أَخَذَ الْأَمْوَالَ مِنْهُمْ خُدْعَةً وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ثُمَّ هَرَبَ
أَبْلَغَ الْبُكَرَى عَنْنِي أَنَّهُ عَادِلٌ فِي الْحُكْمِ فَرَاجُ الْكُورِ
قَدْ أَمَاتَ الْجُورَ فِينَا وَالرُّشَا وَأَشَاعَ الْعَدْلَ فِينَا فَتَرْتَبُ
إِنَّهُ قَدْ كَانَ يَقْضِي بِالْهُوَى وَيَبِيعُ الْحُكْمَ جَوْرًا وَيَهَبُ
وَإِذَا يَخْلُوَا حَسَاها مُرَّةً مِثْلَ عَيْنِ الدِّيكِ مِنْ مَاءِ الْعَنْبِ
لَمْ يُعْنِ عَاصِرُهَا فِي كَرَمِهَا بِسُوَى الْقَطْطِ وَغَمَزًا بِالرُّكْبِ
فَأَتَتْ كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا كُسِيَتْ فِي ذَهَبٍ لَوْ أَنَّ ذَهَبَ
مَا كَفَتْهُ رَشْوَةٌ ظَاهِرَةً وَقَضَايَا جَوْرِكُمْ فِيهَا عَجَبُ
أَنْ أَتَى أَعْظَمَ مَا يَأْتِي بِهِ أَحَدٌ أَنْ صَيَّرَ الْقَبْطَ عَرَبُ

وقال طاهر القيسي لأبي رجب :

وَلَقَدْ قَمَعْتَ بَنَى الْخَبَائِثِ عِنْدَمَا رَامُوا الْعُلَى وَتَحَوُّتُكُوا وَنَعَرَبُوا
فَرَدَدْتَهُمْ قَبْطًا إِلَى آبَائِهِمْ وَنَسِيبِ أَصْلِهِمُ الَّذِي قَدْ غَيَّبُوا
وَتَرَكْتَهُمْ مَثَلًا لِكُلِّ مُلْصَقٍ نَسَبًا إِذَا التَّقَتِ الْمَحَافِلُ يُضْرَبُ

471 - يخامر بن عثمان الشعباني القاضي: ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة فعامل الناس بخلق صعب ومذهب وعرو وصلاية جاوزت المقدار، فلم تحمل له العامة ذلك وسلطت عليه الألسنة وكثرت فيه المقالة. قال ابن حارث: حدثني الأمير ولي العهد الحكم بن الناصر لدين الله، وقد جرى ذكر يخامر وما وصف من بلهه وغفلته قال: ألقى عبد الله بن الشمر الشاعر يوماً بين [أوراق] يخامر بن عثمان التي كان ينادى بها الخصوم للتقديم إليه، [ورقة] مكتوباً عليها يونس بن متى والمسيح بن مريم، وخرجت [الورقة] إلى يده، فأمر أن يدعى، فهتف الهاتف: يونس بن متى، والمسيح ابن مريم !! واتصل الهاتف بخارج المجلس ولا مجيب، إلى أن صاح ابن الشمر: إن نزولهما من أسراط الساعة؟ ثم تناول [ورقة] فكتب فيها:

يخامر ما تنفك تأتي بفضحة دعوت ابن متى والمسيح بن مريما
فتوب فينا ثم ناداك صائح فإنهما لما على الأرض يعلما
قفاك قفا جحش ووجهك مظلم وعقلك ما يسوى من البعر درهما
فلا عشت مودوداً ولا رحى سائماً ولا مت مفقوداً ولا مت مسلماً

فلم يلبث الفقهاء أن أطبقوا على ذم يخامر وقدحه وثارى العامة به، فتألب عليه قوم
رفعوا فيه إلى الأمير عبد الرحمن يشكونه إليه، فلما كثر ذلك على الأمير أمر الوزراء بالنظر في
أمر يخامر، فذكرت عنه أشياء مدارها قلة المداراة وترك حسن المعاملة. فقال الغزال وهو من
شعراء قرطبة يهجو ويصفه بالبله والخيال ويقول :

وخطبك فى دين الإله على عمى خباطة سكران تكلم سادرا
فلن تحمل الصخر الذباب ولن ترى السلاحف يزجى السفين المواخرا
فسبحان من أعطاك بطشاً وقوة وسبحان من ولى القضاء يخامرا
فقلت له: كلفتني غير صنعتي كما قلدوا فضل القضاء يخامرا
فأصبح قد حارت به طرق الهوى يكابد لجياً من البحر زاخرا
فقلت: لو استعفيت منها، فقال لي سأفصح ما قد كان ذاك مغايرا
فقلت له: رأس الفضوح إقامة علينا كذا من غير علم مكابرا
وخطبك فى دين الإله على عمى خباطة سكران تكلم سادرا
فلن تحمل الصخر الذباب ولن ترى السلاحف يزجى السفين المواخرا
وقال :

انجز فديتك ما وعدت فإن لى فى المطل والإنجاز قولاً حاضرا
واعلم بأن من الحزامة للفتى ألا يرد بغير نجح شاعرا
وقال أيضاً:

لقد سمعت عجيباً من أبدات يخامر

قـرأ عـلـيـه غـلام طـه وسـورة غـافر
فـقـال: مـن قـال هـذا؟ هـذا لـعمـرى شـاعر
أرـدت صـمـع قـهـاه فـخـفـت صـولة جـائر
أـتـيت يـومـاً بـتـيس مـسـتـعـبراً مـتـحـاسـر
فـقـلت: قـومـوا اذبحـوه فـقـال: إنـى يـخـامر

- ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، قضاء الجماعة معاذ بن عثمان الشعباني أحي
يخامر ! فكان قاضيا بقرطبة سبعة أشهر ثم عزله، وكان السبب في عزله تعجيله بالحكومة وأنه
أُحصى عليه في مدته سبعون قضية أنفذها، فاستكثرت منه ذلك وخيف عليه من الزلل فعجل
عزله .

يـقـول لى القـاضى مـعـاذ مـشـاوراً وولى أـمـراً فـيـما يـرى مـن ذوى العـدل
قـعـيدك ماـذا تـحـسب المـرء صـانـعاً؟ فـقـلت: وماـذا يـفـعل الدب فى النـحل؟
يـدق خـلاياها ويأكل شـهـدا ويترك للذبان ما كان مـن فـضل
وللغزال فى عـدلين مـن عـدول مـعـاذ :

أتاك أبو حفص ويحيى بن مالك فأهلاً وسهلاً بالوغى والمعامع
رجال إذا صبوا عليك شهادة حكمت فيك وقع المـرهفات القواطع
أقول لـديـك إذ رأيت وجـوهـهم: تعز فقد جاءتك إحدى الفجائع
رنا واستهلـت عـند ذاك دـمـوعـه وقـال: كـثـيراً ما أفاضوا مـدامـعي

472 - حدثني أبو مالك الإيادى قال: بلغنى أن عبد الله بن خالد قاضى أصفهان،
كان قد جعل فى خاتمه طينا من بان أو مسك، فكان إذا أتته المرأة تستند به ختم لها خاتمه يريد
أن تجد رائحته !

قال: وقضى عبد الله بن خالد بشهادة مخنث وعطسة! اختصم إليه قوم فى شيء فأقاموا
شهادة مخنث فقال: ما أرى هذا يكذب، وعطس إنسان فى المجلس فقال: وهذا شاهد آخر
فقضى به !

- وزعم الموصلي أن عبادة كان على قضاء الأردن، فاختصم إليه رجلان فأهدى له أحدهما قلة عسل فقبلها منه، فلما تقدم إليه ثانية قضى عليه ! فلما ولى قال: يا فلان ذهبت القلة ..

473 - ولى المتوكل جعفر بن محمد بن عمار البرجمي قضاء واسط وقضاء القضاة بسر من رأى وكان صلبا في القضاء. بلغنى أن صاحب البريد أراد أن يحضر معه فقال له: من أنت؟ قال: بعث بي أجلس معك، فقال: أنت متصفح وجوه حرم المسلمين، وختم القمطر وقام، فبلغ ذلك الخليفة فأرسل إليه فولاه قضاء القضاة.

وقال : محمد بن نوفل التميمي في جعفر:

فما عجب أن تطلع الشمس بكرة من الغرب إذا تعلو على ظهر منبر
ولو لا أناة الله جل ثناؤه لصبحت الدنيا بخزى مدمر
ولعمرو بن يزيد يهجو جعفرا :

فلا تعجلن إن غير الدهر لمتى فأعجب من هذاك دعوة جعفر
لقد عاش دهرا جعفر بن محمد وما ينتمى إلا للألم معشر
وقد كان عمار إذا ما نسبته إلى جده الحجام لم يتكبر
وقال :

هبك كما قلت من تميم فمن تميم لذي الفخار
بل أنت من خروع مخوف ليس بنسوع ولا نضار
أباؤك الزط حين تنمي فلا تحامى على نزار
تحكم بالجور حين تقضي فكيف لا تسقط السوار
قم بها هي ما هناء وتجبه الخصم بانهار
قابلك الشهر بالرزايا والعزل والبؤس والسوار

وقال أبو السرى فى هجائه أحمد بن بديل :

قالوا عجب وكيف لا أتعجب قاض يعربد فى القضاء ويغضب
يا من يكاثر بالرجال عن القرى ليلا فيشتم أهلها ويضرب
ويقول للأعلاج عندى موضع فتحولوا بجمعكم لا ترهبوا
ما يفعل العشاق هذا كله ولربما خافوا الإله وراقبوا
فأبى الأعنة والدعى كلاهما إنى أراك على الكرام تعصب
وإذا ظفرت فذلة أدنيتيه والشكل بألف شكله ويقرب
وإذا وقفت بنا هنا تقولها أيقنت أنك يا هناه مذبذب
أنت الدعى مقابل ومدابر شهدت بذلك عصابة لا تكذب
وقال :

أتطمع لا أبالك فى تميم كذبت ورب زمزم والخطيم
جبلت على محبة كل نذل لئيم الأصل مفرى الأديم
وتحمد من ثراه بغير مال وتبغض كل ذى شرف قديم
وفى هذى الفعال لنا دليل على خبث المغاس والأروم
وانك قد صحت الفقر دهرًا بأنكد صحة الرجل القديم
وقلدت القضاء بغير فقه فأنت مذمم عند الخصوم
فمن يرجى لمثلك يا دعي عليك لعائن الله العظيم

474 - عن محمد بن يحيى الحجرى قاضى المدائن قال: كان الحسن بن زياد اللؤلؤى

قد حفظ وولى القضاء بالكوفة فلم يحمل، وكنت أجالسه أنا وعمار بن أبى مالك الخيشمى
ووليد بن حماد، وقدم عبد الرحمن بن أبى الزناد الكوفة، فقلت لحسن اللؤلؤى : أنت رجل لك
علم وهذا عبد الرحمن بن أبى الزناد، وهو من علماء أهل المدينة فلو لقيته؟ قال: فاذهب بنا
إليه، فأتيناه، فقال للحسن: ما لكم تروون أشياء عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه ثم تخالفونها؟

قال: إنا نروى ما يؤخذ به وما لا يؤخذ به ليعرف الاختلاف. فقال له: إنك إذا ملأت جرابك من الباطل لم تر للحق فيه موضعا. قال يحيى بن معين: حسن اللؤلؤى كذاب. وحدثنا محمود بن غيلان قال: قلت ليزيد بن هارون: ما تقول في الحسن بن زياد اللؤلؤى؟ فقال: أو مسلم هو؟!

قال محمد بن رافع: كان الحسن بن زياد يرفع رأسه قبل الإمام ويسجد قبله! وسمعتة يقول: أليس قد جاء الحديث من قطع سدره صوب رأسه في النار، فمن قطع نخلة صوب رأسه مرتين! قال محمد بن إسحاق الأزرق: كنا عند شريك بالكوفة فجاء رجل خراساني رث الهيئة فقال: يا أبا عبد الله، قد فئت نفقتى وليس عندي شيء وها هنا من يعرف ما أقول، فكأن شريكا رق له فقال: من يعرفك؟ قال: الحسن بن زياد اللؤلؤى وحماد بن أبي حنيفة، قال: لقد عرفت شرا لقد عرفت شرا. وحدثنا إسحاق بن إسماعيل قال: كنا عند وكيع فقبل له: إن السنة مجدبة، فقال: وكيف لا تجذب وحسن اللؤلؤى وحماد بن أبي حنيفة قاضيان؟!

475 - وكان [الحسن بن زياد اللؤلؤى] يقول: كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف

حديث. قال في العبر: ولم يخرجوا له في الكتب الستة لضعفه وكان رأسا في الفقه !!

476 - قال محمد بن نمير: [اللؤلؤى] يكذب على ابن جريج، وكذا كذبه أبو داود،

وقال: كذاب غير ثقة، وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه. وقال أبو حاتم: ليس بثقة ولا مأمون. وقال الدارقطني: ضعيف متروك ..

477 - حدثني يحيى بن سعيد الأموى قال: كنت عند الحسن بن عماره حين بلغه أن

شريكا هرب من قضاء الأهواز، فقال: الخبيث استصغر قضاء الأهواز. فقال العلاء بن المنهال:

فليت أبا شريك كان حيا فنقصه حين ينصره شريك

ويترك من تدربه علينا إذا ما قيل هذا هو أبوك

وأنشد إبراهيم الصالحى للعلاء في شريك :

لكلب الناس إن فكرت فيه أضر عليك من كلب الكلاب

لأن الكلب لا يؤذى صديقا وإن صديق هذا فى عذاب

ويأتى حين يأتى فى ثياب مخرمة على رجل مصاب

فأخزى الله أثواباً عليه وأخزى الله ما تحت الثياب

478 - قال شريك لبعض إخوانه: أكرهت على القضاء، فقال [الرجل] فأكرهت على أخذ الرزق!؟

479 - أبو يحيى الزهرى هارون بن عبد الله [قاضى مصر]: عن عتبة ابن بسطام قال: كان هارون بن عبد الله إذا شهد عنده شاهدان سألهما عقب الشهادة عن القرآن. فإن أقرأ أنه مخلوق قبلهما، وإلا فلا ..

480 - وقال محمد بن يحيى: كان محمد بن عبد الله بن كثير، يلى شرط المدينة ثم ولاه المهدي قضاءها ثم ولاه المدينة، فقال الأسود بن عمارة يهجوهُ :

نقمناك شرطياً فأصبحت قاضياً وصرت أميراً أبشري قحطان
أرى نزوات بينهنّ تفاوت وللهدر أحداث وذا حدثان
أرى حدثاً مبطلان منقلع به ومنقلع من بعده ورقان

481 - وقال ابن حويص يهجو محمد بن عبد الله بن كثير [القاضى]، ويخاطب بالشعر [والى المدينة] :

وصى المصطفى ياذا المعالى جزاك الله خيراً من أمير
أتؤمننى وأنت إمام عدل ويوعدننى ابن قاطعة البظور
بأى جدوده يعتد مجدا بصلت أو وليعة أو كثير
أولئك يضعفون عن المعالى وهم فى اللؤم أفران الظهور
وضعت على جواهرهم رسوما تلوح كأنها رقيم الحمير
تكون لحبيهم عارا شنارا وموتاهما التى تحت القبور
ويفرح إن سعى بحلات سوط يمت بسوطه خلف الأمير

482 - قال محمد بن عوف الحمصي: سألت أحمد بن حنبل عن أبي البختری [وهب بن وهب، كان من كبار الوضعين كيف لم يتم قطع لسانه مع ثبوت أقواله بشهود، وكيف

يختار للقضاء وقد قال رسول الله ﷺ من كذب على متعمداً⁽¹⁾ . فقال: مطروح الحديث.
وقال أبو طالب أحمد بن حميد: قلت لأحمد بن حنبل: أحد يضع الحديث؟ قال : نعم أبو
البختری الذي كان قاضياً كان كذاباً يضع الحديث. روى أشياء لم يروها أحد ..

483 - قصة أبي البختری [القاضي مع الرشيد ووضعه حديثاً يتقرب به إليه على
لسان رسول الله ﷺ] !! قال أبو سعيد العقيلي: وكان من ظرفاء الناس وشعرائهم، لما قدم
الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ في قباء أسود ومنطقة، فقال له أبو البختری: حدثني
جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي، عليه قباء ومنطقة محتجزاً فيها بخنجر !
فقال المعافي التيمي:

ويل وعول لأبى البختری إذا توافى الناس فى المحشر
من قوله الزور وإعلانه بالكذب فى الناس على جعفر
والله ما جالسه ساعة للفقه فى بدو ولا محضر
ولا رآه الناس فى دهره يمر بين القبر والمنبر
يا قاتل الله ابن وهب لقد أعلن بالزور وبالنكر
يزعم أن المصطفى أحمدا أتاه جبريل التقي السرى
عليه خف وقباء أسود محتجزاً فى الحقوب بالخنجر

484 - حدثنا زكريا بن يحيى الساجي قال: بلغني أن أبا البختری دخل على الرشيد
وهو قاض وهارون إذ ذاك يطير الحمام فقال: هل تحفظ في هذا شيئاً؟ فقال: حدثني هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة: أن النبي كان يطير الحمام، فقال هارون : اخرج عني، ثم قال: لولا
أنه رجل من قریش لعزلته !!

485 - وكان وكيع يرمى أبا البختری بالكذب ..

486 - قال موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام: كنت واقفاً على باب الرشيد، وإلى
جانبي أبو البختری القاضي، فخرج خادم للرشيد، فقال: أبا البختری فأجابه، فقال: يقول لك

1 - مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 78 رقم 584.

أمير المؤمنين: هات طويلتك، فأخذها فأدخلها، ثم أخرجها وقد قطع منها أربعة أصابع، قال:
يقول لك أمير المؤمنين لا تعتد في زيك ..

487 - سعيد بن عمرو الزبيري قال في البختری:

أراد وهب بن وهب أن أكون له لما تغطرس فى سلطانه تبعاً
فلولا مخافة هرون وصولته إذا قمعت اللئيم العبد فانقمعاً
قد قلت حين هذى هذا به عنه أم ذا به طمع بل جاوز الطمعاً
بل قلت عبد تمنى عقد بيعته والعبد يبطر أحياناً إذا شبعاً
لما تغطرس وهب فى عمايته وازداد أبهة واحتال وابتدعاً
خرجت منها خروج القدح لا وكلاً وجلل العبد فيها اللؤم والطمعاً
يروى أحاديث من إفك مجمعة أف لوهب وما روى وما جمعاً

- حدثنا الحسن بن موسى بن رباح قال: ذكرت لعبد الملك بن عبد العزيز، [وصف
الماجشون لأبي غزية محمد بن موسى بن مسكين الأنصارى القاضى]، فقال هو والله كما قال
العجير السلولى :

إذا جد حين الجد أرضاك جده وذو باطل إن شئت أهلك باطله

488 - كان [محمد بن عبد الرحمن الأوقص المخزومى] قصيراً دميماً قبيحاً، عنقه
داخلاً فى بدنه، وكان منكباًه خارجين كأنهما زجان، وكانت أمه عاقلة فقالت له: يا بنى إنك
خلقت خلقة لا تصلح فيها لمعاشرة الفتيان ولا تكون فى قومٍ إلا كنت المضحوك منه المسخور
به، فعليك بالدين فإنه يتم النقيصة ويرفع الخسيسة فقال: فنفعنى الله بقولها، فتعلمت الفقه
فصرت قاضى مكة عشرين سنة. فكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم !

قيل : مرت به امرأة يوما وهو يقول: اللهم اعتق رقبتى من النار؟ فقالت له: يا بنى
وأى رقبة لك؟ أتاه الدارمى [الشاعر] فى شيء فتحامل عليه، فبينا الأوقص يوماً فى المسجد
الحرام ينادى ربه، ويقول: يا رب أعتق رقبتى من النار .

قال له الدارمي: أو لك رقبة تعتق؟ لا والله ما جعل الله لك وله الحمد من عتق ولا رقبة .

فقال له الأوقص: من أنت؟ قال: أنا الدارمي قتلتنى وجرت علىّ وحبستنى.

قال: لا تقل ذاك فإننى أقضى لك !!

489 - وقال الدارمي للأوقص [القاضى] :

أبا خالد أشكو غريباً مشوهاً ببابى لا يحيا ولا يتوجه
له مقلتا كلب ومنخر ثعلب والضبع إن شبهته فهو أشبه
إذا قلت أقبل زادك الله بغضه ثنى وجهه لا بل غريمى أشوه
فلو كنت إذ ماطلته مل وانثنى ولكنّه يمرى على ويسضه

- قال الموصلى: ولى عبد الرحمن بن زيد بن محمد بن حنظلة المخزومي [قضاء مكة]، وكان خبيث الرأى يمتحن الناس ويخيفهم، ويقيم كل جمعة أسود ينادى حول المسجد الحرام، القرآن مخلوق وكلاما غيره ! وكان قليل العلم شديد العصبية وعزل ..

490 - وزعم المدائنى أن عبيد الله بن أبى بكرة قضى لقوم من بنى ضبة، وكتب لهم كتاباً وقضى لآل بكر بن حبيب التاجي، وكتب لهم كتاباً، قال خلاد بن عبيدة: رأيت الكتاب عندهم. وقال عبيد الله بن أبى بكرة حين ولى القضاء: ما خير فى الرجل إذا لم يقطع لأخيه قطعة من دينه !! قيل: وخاصم إليه رجل من آل تميم بن نخداو الثقفى فى أرضه الشارعة على همر معقل ستين جريباً، فقال عبيد الله بن أبى بكرة التميمي: تركت أن تخاصمه فيما مضى، حتى إذا وليت خاصمته، فضربه مائة، فلم يخاصم إليه. وقال: قبح الله ولاية لا ينفع الرجل فيها صديقاً ويضر عدواً ..

491 - تقدم رجلان إلى قاض فتكلم أحدهما ولم يترك [القاضى] الآخر يتكلم ! فقال: أيها القاضى، أيقضى على غائب؟ قال: وكيف؟ قال: لأنى غائب إذا لم أترك أتكلم ..

492 - ابن جيمال القاضى: ولاه زيادة الله بن عبد الله قضاء القيروان، وكان قليل العلم كثير الغفلة، حكى أنه تخاصم إليه رجلان فثبت الحق على المطلوب منهما فأعذر إليه،

فقال له: إن كانت عندك منفعة وإلا حكمت عليك. فقال له: إن شئت فاحكم وإن شئت فلا تحكم، من عند ابن عبدون القاضى أتيت، وقد عرفت ما لى ! فيسكت ويخاف أن يكون فى الحكم عليه خطأ !

493 - ومن عجب ما حدث أيام خلافة الصديق عليه السلام، عن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال: إنه حصل مطر عظيم وأقبل سيل فأبرز عن باب مغلق، وظن الناس أنه كثر، وهابوا فتحه دون مشاورة الخليفة، فكتبوا إلى أبى بكر يعلمونه بذلك، فعاد جوابه إلى عامل البلد أن لا يترك أحدا يقرب الموضع حتى يقدم أمناءه، ثم لما قدم الأمناء فتحوا الباب، فإذا هو على مغارة، فدخلوها وإذا بها سرير عليه رجل فوقه سبعون حلة منسوجة بالذهب، ويده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضى الأرض داهن بالقضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء

وفى كفه الأيسر خاتم عليه مكتوب: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وإذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة، مكتوب عليه: هذا سيف عاد بن إرم. وهذا أعجب ما جرى فى اليمن بأيام خليفة رسول الله أبى بكر عليه السلام ..

494 - قاضى جبل: يضرب به المثل فى الجهل فيقال: أجهل من قاضى جبل ! وجبل مدينة من طسوج كسكر وكان قاضياها أغر محجلا فى التخلف ، فرفع إلى المأمون أنه يعض الخصوم فوق يزنق، وكان هذا القاضى قضى لخصم جاءه وحده ! ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر !! ففيه يقول محمد بن عبد الملك:

قضى لخصم يوما فلما أتاه خصمه نقض القضاء

دنا منك العدو وغبت عنه فقال بحكمه ما كان شاء

كما أن المثل سائر بالحجاز في قاضى منى، وقاض ثالث يضرب به المثل، فيما وصفه به
أبو إسحاق الصابى حيث قال :

يا رب علج علج أعلج مثل البعير الأهوج
رأيتَه مطلقاً من خلف باب مرتج
وخلفه دنيئة تذهب طورا وتجى
فقلت قاضى إيدج فقال قاضى إيدج
ورابع يضرب به المثل أهل جرجان وطبرستان في اضطراب الخلقة، وهو قاضى شلمبه،
أنشدني أبو الحسين بن الجوهري لنفسه:

رايت رأسا كدبه ولحيئة كالمذبذبه
فقلت ذا التيس من هو فقال قاضى شلمبه

495 - إبراهيم بن الجراح بن صبيح : من أهل مرو الروذ، سكن الكوفة وقدم مصر
فولى بها القضاء خمساً وعشرين سنة وعزل، وكان يقول بخلق القرآن!

وعن حرملة بن يحيى قال: مرض إبراهيم بن الجراح القاضى فكتب وصيته وأمرنا
بإحضار الشيوخ للشهادة عليه، فقرأت الوصية وكان فيها، وإن الدين كما شرع والقرآن كما
خلق !! فقلت له: أيها القاضى أشهد عليك بهذا ! قال: نعم . وقال يحيى بن عثمان بن صالح:
لما ولى إبراهيم بن الجراح القضاء أمر بمصلاه، فوضع في المسجد الجامع، فاجتمع المصريون
فألقوه في الطريق، فجلس إبراهيم للحكم في منزله، ولم يعد إلى الجامع.

وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم : لم يكن إبراهيم بن الجراح بالمذموم في
أول ولايته، حتى قدم عليه ابنه إسحاق من العراق، فتغيرت حاله وفسدت أحكامه.

وقال على بن معبد بن شدّاد : شهد الخصيب بن ناصح عند إبراهيم بن الجراح، فأتاني
صاحب مسأله يسألني عن الخصيب. فقلت : لا أعلم فيه شيئاً أعيبه عليه، إلا أنه شهد إبراهيم
بن الجراح !!

496 - وقال شريك بن عبد الله، في إسحاق بن الصباح حين ولى [قضاء] الكوفة:

صلى وصام لدنيا كان يطلبها فمن أصاب فلا صلى ولا صام

ويقال: إن شريكاً لم يقل قط غير هذا البيت ..

497 - وافق الحذاء القدم: قصيدة لابن القيم، بما من القيم والمعاني ووصف الحال، ما

جعلني أثبتها في هذا الكتاب:

ذهب الرجال وحال دون مجالهم زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم ساروا ولكن سيرة البطال
لبسوا الدلوق مرقعا وتقفوا كتشف الأقطاب والأبدال
قطعوا طريق السالكين وغوروا سبل الهدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى وحشوا بواطنهم من الأدغال
إن قلت : قال الله قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالي
أو قلت : قد قال الصحابة والأولى تبعوهم فى القول والأعمال
أو قلت : قال الشافعى وأحمد وأبو حنيفة والإمام العالى
أو قلت : قال أصحابهم من بعدهم فالكل عندهم كشبه خيال
ويقول : قلبى قال لى عن سره عن سرى عن صفا أحوالى
عن حضرتى عن فكرتى عن خلوتى عن شاهدى عن وارى عن حالى
عن صفو وقتى عن حقيقة مشهدى عن سر ذاتى عن صفات فعالى
دعوى إذا حققتها ألفيتها ألقاب زور لفقت بمحال
تركوا الحقائق والشرائع واقتدوا بظواهر الجهال والضلال
جعلوا المرا فتحا وألفاظ الخنا شطحا وصالوا صولة الإدلال
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم نبذ المسافر فضلة الأكال
جعلوا السماع مطية لهواهم وغلوا فقالتوا فيه كل محال
هو طاعة هو قريبة هو سنة صدقوا لذاك الشيخ ذى الإضلال

شيخ قديم صاڤهم بتحيل حتى أجااوا ءعوة المحتال
هؒروا له القرآن والأخبار والأثار إء شءءت لهم بضلال
ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى من أوجه سبع لهم بتوال

* * *

تالله ما ظفر العءو بمثلها من مثلهم واخيلة الأمال
نصب الحبال لهم فلم يقعوا بها فأتى بءا الشرك المحيط الغالي
فإءا بهم وسط العرين ممزق الأثواب والأءيان والأحوال
لا يسمعون سوى الذى يهوونه شغلا به عن سائر الأشغال
وءعوا إلى ءات اليمين فأعرضوا عنها وسار القوم ءات شمال
خروا على القرآن عند سماعه صما وعميانا ءوى إهمال
وإءا تلا القارى عليهم سورة فأطالها عءوه فى الأثقال
ويقول قائلهم : أطلت وليس ءا عشر فخفف أنت ءو إملال
هءا وكم لغو وكم صخب وكم ضحك بلا ءب ولا إجمال
حتى إءا قام السماع لءيهم خشعت له الأصوات بالإجلال
وامتءت الأعناق تسمع وحي ءاك الشيخ من مترنم قوال
وتحركت تلك الرعوس وهزها طرب وأشواق لئيل وصال
فهنا لك الأشواق والأشجان والأحوال لا أهلا بءى الأحوال
تالله لو كانوا صءاة أبصروا ماءا ءهاهم من قبيح فعال
لكنما سكر السماع أشء من سكر المءام وءا بلا إشكال
فإءا هما اءتمعوا لنفس مرة نالت من الخسران كل منال
يا أمة لعبت بءين نبياها كتلاعب الصبيان فى الأحوال

أشتمتمو أهل الكتاب بدينكم والله لن يرضوا بنى الأفعال
كم ذا نعيم منهم بفريقكم سرا وجهرا عند كل جدال
قالوا لنا : دين عبادة أهله هذا السماع فذاك دين محال
بل لا تجيء شريعة بجوازه فسلوا الشرائع تكتفوا بسؤال
لو قلتمو فسق ومعصية وتزيين من الشيطان للأندال
ليصد عن وحى الإله ودينه وينال فيه حيلة المحتال
كنا شهدنا أن ذا دين أتى بالحق دين الرسل لا بضلال
والله منهم قد سمعنا ذا إلى الأذان من أفواههم بمقال
وتمام ذاك القول بالحيل التي فسخت عقود الدين فسح فصال
جعلته كالثوب المهلهل نسجه فيه تفصله من الأوصال

* * *

ما شئت من مكر ومن خدع ومن حيل وتلبيس بلا إقلال
فاحتل على إسقاط كل فريضة وعلى حرام الله بالإحلال
واحتل على المظلوم يقلب ظالما وعلى الظلوم بضد تلك الحال
واقلب وحول فالتحيل كله فى القلب والتحويل ذو إعمال
إن كنت تفهم ذا ظفرت بكل ما تبغى من الأفعال والأقوال
واحتل على شرب المدام وسمها غير اسمها واللفظ ذو إجمال
واحتل على أكل الربا واهجر شنا عة لفظه واحتل على الإبدال
واحتل على الوطء الحرام ولا تقل هذا زنا وانكح رضى البال
واحتل على حل العقود وفسخها بعد اللزوم وذاك ذو إشكال
إلا على المحتال فهو طبيها يا محنة الأديان بالمحتال

واحتل على نقض الوقوف وعمودها طلقا ولا تستحي من إبطال
فكر وقدر ثم فصل بعد ذا فإذا غلبت فلج في الإشكال
واحتل على الميراث فانزعه ما لوراث ثم ابلع جميع المال
قد أثبتوا نسبا وحصرا فيكم حتى تحوز الإرث للأموال
واعمد إلى تلك الشهادة واجعل الإبطال همك تحظ بالإبطال
فالحصر إثبات ونفى غير معلوم وهذا موضع الاشكال
واحتل على مال اليتيم فإنه رزق هنى من ضعيف الحال
لا سوطه تخشى ولا من سيفه والقول قولك فى نفاذ المال
واحتل على أكل الوقوف فإنها مثل السوائب ربة الإهمال
فأبو حنيفة عنده هى باطل فى الأصل لم تحتج إلى إبطال
فالمال مال ضائع أربابه هلكوا فخذ منه بلا مكيال
وإذا تصح بحكم قاض عادل فشروطها صارت إلى اضمحلال
قد عطل الناس الشروط وأهملوا مقصودها فالكل فى إهمال
وتمام ذاك قضاتنا وشهودنا فاسأل بهم ذا خبرة بالحال
أما الشهود فهم عدول عن طريق العدل فى الأقوال والأفعال
زورا وتنميقا وكتمانا وتلبيسا وإسرافا بأخذ نوال
ينسى شهادته ويحلف إنه ناس لها والقلب ذو إغفال

فإذا رأى المنقوش قال : ذكرتها يا للمذكر جئت بالأمال
ويقول قائلهم : أخوض النار في نزر يسير ذاك عين خبال
ثقل لى الميزان إنى خائض للمنكبين أجرب بالأغلال

أما القضاة فقد تواتر عنهم ما قد سمعت فلا تفض به مقال
ماذا تقول لمن يقول : حكمت أنت فاسق أو كافر فى الحال
فإذا استغثت أغثت بالجلد الذي قد طرقوه كمثّل طرق نعال
فيقول طق فتقول : قط فتعارضاً ويكون قول الجلد ذا إعمال
فأجارك الرحمن من ضرب ومن عرض ومن كذب وسوء مقال
هذا ونسبة ذاك أجمعه إلى دين الرسول وذا من الأهوال
حاشا رسول الله يحكم بالهوى والجهل تلك حكومة الضلال
والله لو عرضت عليه كلها لاجتثها بالنقض والإبطال
إلا التى منها يوافق حكمه فهو الذى يلقاه بالإقبال
أحكامه عدل وحق كلها فى رحمة ومصالح وحلال
شهدت عقول الخلق قاطبة بما فى حكمه من صحة وكمال
فإذا أتت أحكامه ألفيتها وفق العقول تزيل كل عقاب
حتى يقول السامعون لحكمه ما بعد هذا الحق غير ضلال
لله أحكام الرسول وعدلها بين العباد ونورها المتلالى
كانت بها فى الأرض أعظم رحمة والناس فى سعد وفى إقبال
أحكامهم تجرى على وجه السداد وحالهم فى ذاك أحسن حال
أمنّا وعزا فى هدى وتراحم وتواصل ومحبة وجمال
فتغيرت أوضاعها حتى غدت منكورة بتلوث الأعمال
فتغيرت أعمالهم وتبدلت أحوالهم بالنقص بعد كمال
لو كان دين الله فيهم قائماً لرأيتهم فى أحسن الأحوال
وإذا همو حكموا بحكم جائر حكموا لمنكره بكل وبال

قالوا : أنتنكر حكم شرع محمد حاشا لذا الشرع الشريف العالي
عجت فروج الناس ثم حقوقهم لله ببالكبرات والأصـال
كم تستحل بكل حكم باطل لا يرتضيه ربنا المتعالي

* * *

والكل فى قعر الجحيم سوى الذي يقضى بدين الله لا لنوال
أو ما سمعت بأن ثلثيهم غدا فى النار فى ذاك الزمان الخالي
وزماننا هذا فربك عالم هل فيه ذاك الثلث أم هو خالي
يا باغى الإحسان يطلب ربه ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدى الصحابة والذي كانوا عليه فى الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى سبل الهدى فى القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه وبه اقتدوا فى سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدى فمآله فى الحشر خير مآل
القانتين المخبتين لربهم الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيئ والعاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم وسواهم بالضد فى ذى الحال
ما شابهم فى دينهم نقص ولا فى قولهم شطح الجهول الغالي
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
وسواهم بالضد فى الأمرين قد تركوا الهدى ودعوا إلى الإضلال
فهم الأدلة للحيارى من يسر بهداهم لم يخش من إضلال
وهم النجوم هداية وإضاءة وعلو منزلة وبعد منال

يمشون بين الناس هونا نطقهم بالحق لا بجهالة الجهال
حلما وعلمما مع تقى وتواضع ونصيحة مع رتبة الإفضال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم مثل انهمال الوابل المهطال
فى الليل رهبان وعند جهادهم لعدوهم من أشجع الأبطال
وإذا بدا علم الرهان رأيتهم يتسابقون بصالح الأعمال
بوجوههم أثر السجود لربهم وبها أشعة نوره المتلالي
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم فى سورة الفتح المبين العالي
وبرابع السبع الطوال صفاتهم قـوم يحـبهم ذوو إدلال
وبراءة والحشرفيها وصفهم وبهل أتى وبسورة الأنفال

* * *

498 - وقال أبو الفضل بن الخازن البغدادي :

قُبِحَ أَعْمَالُنَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قُبِحَ أَعْمَالٍ مِنْ يُوَلَّى عَلَيْنَا
لَوْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ قِرْدٌ بِأَرْضِ الصَّيْنِ مَا دَحَرَجَوْهُ إِلَّا إِلَيْنَا

* * *

خاتمة الكتاب :

تم الكتاب بحمد الله في يوم الخميس الموافق الرابع من شهر ذى القعدة من عام ألف وأربعمائة وثلاثة وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ . الموافق للعشرين من شهر سبتمبر لعام ألفين واثنى عشر ميلادية . ولا يخفى عليكم أن هذا العمل من صنع الإنسان. فمن وجد خطأ فليلتمس لنا العذر. وليقدم لنا النصح مأجورا ومشكورا عليه وليعلمنا عبر :

<http://www.helalalessa.com>

[e-mail: helalalessa@hotmail.com](mailto:helalalessa@hotmail.com)

وأستغفر الله العظيم من كل ما كتبت رغم حرصى، إن كان فيه ما لا يرضى الله ورسوله، وأسأل الله جل وعلا أن يقينى الزلل، وأن يجعل عملى وسعى خالصين لوجهه الكريم وعلمنا ينتفع به من بعدى. فحسبى الله ونعم الوكيل وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. كتبه أضعف عباد الله لله / هلال مُحَمَّد عَبْدُ اللَّهِ الْعِيسَى غفر الله له ولوالديه ..

* * *

فهرس المراجع والمصادر

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
كتاب أخبار القضاة	أبى بكر محمد وكيع		المكتبة التجارية القاهرة
كتاب أخبار القضاة	محمد بن حبان		عالم الكتب بيروت
تاريخ قضاة الأندلس	أبو الحسن بن عبدالله الأندلسي	لجنة إحياء التراث	دار الأفاق الجديدة بيروت
قضاة قرطبة وعلماء أفريقيا	الخشنى	سيد عزت العطار	مكتبة الخانجى القاهرة
القضاء والقضاة فى الإسلام	عصام شبارو		دار النهضة العربية بيروت
الولاة وكتاب القضاة	الكندي		الأباء اليسوعيين بيروت
كتاب السلطة القضائية فى الإسلام	نصر فريد محمد واصل		المكتبة التوفيقية مصر
قضاة مصر فى القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادى عشر الهجرى	الدميرى	عبد الرزاق عيسى يوسف مصطفى المحمودى	العربى للنشر والتوزيع القاهرة
القضاء فى الدولة الإسلامية تاريخه ونظمه	دكتور سلامة محمد البلوي		المركز العربى للدراسات الأمنية الرياض
كتاب القضاء فى الإسلام	محمود الشربيني		الهيئة المصرية
الدرة الغراء فى نصيحة السلاطين والقضاة	محمود بن إسماعيل الجذبتى		مكتبة نزار مصطفى الباز الرياض
فتوح مصر وأخبارها	القرشي	محمد الحجيرى	دار الفكر بيروت
معجم البلدان	ياقوت الحموى	محمود خاطر	دار الفكر بيروت
معجم السفر	أبو طاهر أحمد الأصبهاني	عبدالله عمر البارودي	المكتبة التجارية مكة المكرمة
المحن	أبو العرب محمد التميمي	عمر سليمان العقيلي	دار العلوم السعودية
ترتيب المدارك وتقريب المسالك	أبو الفضل الأندلسي	محمد سالم هاشم	دار الكتب العلمية بيروت
ضعفاء العقيلي	أبو جعفر محمد العقيلي	عبد المعطى أمين قلعجي	دار المكتبة العلمية بيروت
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة	التنوخى	عبود الشالجي	دار صادر بيروت
إحياء علوم الدين	الغزالي		دار الكتاب العربى
تبصرة الحكام	اليعمري	الشيخ جمال مرعشلى	دار الكتب العلمية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر عبدالله بن أبي شيبة	كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد الرياض
مصنف عبد الرزاق	أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني	حبیب الرحمن الأعظمی	المكتب الإسلامي بيروت
سنن البيهقي الكبرى	البيهقي		مكتبة دار الباز مكة المكرمة
سنن ابن ماجه	القزويني	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الفكر بيروت
أخبار مكة للفاكهي	محمد بن إسحاق الفاكهي	د. عبد الملك عبد الله دهيش	دار خضر بيروت
عيون الأخبار	ابن قتيبة الدينوري		دار الكتب العلمية بيروت
عمدة القاري	بدر الدين محمود العيني		دار إحياء التراث بيروت
قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد	أبي طالب المكي	د. عاصم إبراهيم الكيالي	دار الكتب العلمية بيروت
البيان والتبيين	الجاحظ	فوزي عطوي	دار صعب بيروت
نثر الدرر	أبو سعد منصور بن الأبي	خالد عبد الغنى محفوظ	دار الكتب العلمية بيروت
السلوك في طبقات العلماء والملوك	بهاء الدين محمد الكندي	محمد بن علي الحوالي	مكتبة الإرشاد صنعاء
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	الأصبهاني		دار الكتاب العربي بيروت
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	رهان الدين البقاعي		دار الكتب العلمية بيروت
تفسير القرطبي	القرطبي		دار الشعب مصر
تفسير الطبري	الطبري		دار الفكر بيروت
تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم	السمرقندي	د. محمود مطرجي	دار الفكر بيروت
تفسير مقاتل بن سليمان	الأزدي	أحمد فريد	دار الكتب العلمية بيروت
الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)	الثعلبي	أبي محمد عاشور الساعدي	دار إحياء التراث العربي بيروت
شرح صحيح البخاري	ابن بطل	أبو تميم ياسر بن إبراهيم	مكتبة الرشد الرياض
سبل الهدى والرشاد	محمد يوسف الصالحي	عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
زاد المسير في علم التفسير	ابن الجوزي		المكتب الإسلامي بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
فتح الباري	العسقلاني	محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب	دار المعرفة بيروت
نواذر الأصول فى أحاديث الرسول	محمد بن على الترمذى	عبد الرحمن عميرة	دار الجبل بيروت
أخبار المدينة	أبو زيد عمر البصري	على محمد دندل وياسين سعد	دار الكتب العلمية بيروت
المدخل إلى السنن الكبرى	البيهقي	د/محمد ضياء الرحمن الأعظمي	دار الخلفاء كويت
شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور	السيوطي	عبد المجيد طعمة حليبي	دار المعرفة بيروت
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب	ابن العماد الحنبلي		دار الأفاق الجديدة بيروت
البداية والنهاية	ابن كثير		مكتبة المعارف بيروت
تاريخ بغداد	البغدادي		دار الكتاب العربى بيروت
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي		دار صادر بيروت
تاريخ الطبرى . تاريخ الرسل والملوك			دار المعارف مصر
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد الذهبي	د. عمر عبد السلام تدمرى	دار الكتاب العربى بيروت
المعرفة والتاريخ	أبو يوسف الفسوي	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
بغية الطلب فى تاريخ حلب	كمال الدين أبى جرادة	سهيل زكار	دار الفكر بيروت
الكامل فى التاريخ	ابن الأثير		دار الكتاب العربى بيروت
طبقات صلاحه اليمن (تاريخ البريهي)	السكسكى اليمني	عبد الله محمد الحبشي	مكتبة الإرشاد صنعاء
تاريخ مدينة دمشق	الشافعي	محب الدين العمري	دار الفكر بيروت
التاريخ الكبير	البخاري	السيد هاشم النوي	دار الفكر بيروت
طبقات الحنفية	عبد القادر بن أبى الوفاء	مير محمد كتب خانة الهند	
طبقات الشافعية	أبو بكر بن أحمد شعبة	د/ الحافظ عبد العلیم خان	عالم الكتب بيروت
الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار	الشعراني	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
الديباج المذهب	إبراهيم بن على اليعمرى		دار الكتب العلمية بيروت
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	على بن سلطان القاري	جمال عيتاني	دار الكتب العلمية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الزواج عن اقتراح الكبار	ابن حجر الهيتمي	مركز الدراسات والبحوث مكتبة نزار مصطفى الباز	المكتبة العصرية بيروت
الكبائر	الذهبي		دار الندوة الجديدة بيروت
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	عبد الرحمن بن الجوزي		دار صادر بيروت
المستطرف في كل فن مستظرف	الأبشيهي		دار الفكر بيروت
سير أعلام النبلاء	الذهبي		مؤسسة الرسالة بيروت
غذاء الألباب شرح منظومة الآداب	الحنبلي	محمد عبدالعزيز الخالدي	دار الكتب العلمية بيروت
شرح نهج البلاغة	المدائني	محمد عبد الكريم النمري	دار الكتب العلمية بيروت
تهذيب الكمال	يوسف بن الزكي المزي	شار عواد معروف	مؤسسة الرسالة بيروت
صيد الخاطر	ابن الجوزي	السيد محمد وسيد إبراهيم	دار الحديث مصر
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	ابن خلكان	إحسان عباس	دار الثقافة بيروت
الوافي بالوفيات	الصفدي	أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى	دار إحياء التراث بيروت
عقلاء المجانين	ابن حبيب	عمر الأسعد	دار النفائس بيروت
العلل ومعرفة الرجال	أحمد بن حنبل	وصي الله بن محمد عباس	المكتب الإسلامي بيروت
العقد الفريد	ابن عبدربه	محمد العريان	دار الفكر بيروت
الورع	ابن حنبل	د / زينب إبراهيم	دار الكتب العلمية بيروت
كتاب الآثار	يعقوب الأنصاري	أبو الوفا	دار الكتب العلمية بيروت
الفهرست	ابن النديم		دار المعرفة بيروت
العبر في خبر من غير	شمس الدين محمد الذهبي	صلاح الدين المنجد	مطبعة حكومة الكويت
الأنس الجليل	مجير الدين الحنبلي	عدنان يونس نباتة	مكتبة دنديس عمان
الحاوي الكبير	الماوردي	علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت
لسان العرب	ابن منظور		دار صادر بيروت
لسان الميزان	العسقلاني	دائرة المعارف النظامية الهند	مؤسسة الأعلمي بيروت
عون المعبود	محمد شمس الدين الأبادي		دار الكتب العلمية

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
مختصر الفتاوى المصرية لأبن تيمية	بدر الدين الحنبلي	محمد حامد الفقي	دار ابن القيم الرياض
الدر المنثور	السيوطي		دار الفكر بيروت
الكفاية فى علم الرواية	البغدادى	أبو عبد الله السورقي إبراهيم حمدى المدني	المكتبة العلمية السعودية
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء	الأصبهاني		دار مكتبة الحياة بيروت
بدائع الفوائد	الزرعي	هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد الج	مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة
بدائع الزهور فى وقائع الدهور	محمد بن أحمد الحنفى	سى دى مكتبة الشعر العربي	مركز التراث الأردن
الموضوعات	أبو الفرج القرشي	توفيق حمدان	دار الكتب العلمية بيروت
رسالة فى فضل الأندلس وذكر رجالها	أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي	د . إحسان عباس	المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت
لباب الأدب	أسامة بن منقذ	أحمد محمد شاكر	دار الجيل بيروت
لباب التأويل فى معانى التنزيل	الخازن		دار الفكر بيروت
تأويل مختلف الحديث	الدينوري	محمد زهرى النجار	دار الجيل بيروت
الجلس الصالح الكافى والأنيس الناصح	الجريري	محمد الخولي	عالم الكتب بيروت
الكشكول	بهاء الدين العاملى	الطاهر الزواوى	دار البيان بيروت
الأغاني	الأصبهاني		دار الفكر بيروت
البصائر والزخائر	التوحيدي	وداد القاضي	دار صادر بيروت
أخبار الحمقى والمغفلين	ابن الجوزي	محمد شريف	دار إحياء العلوم بيروت
مروج الذهب ومعادن الجوهر	المسعودي		دار الكتاب اللبناني بيروت
النهاية فى غريب الأثر	الجزري	طاهر الزواوى ومحمد الطناحي	المكتبة العلمية بيروت
الأوائل	العسكري	عبد الرزاق غالب	دار الكتب العلمية بيروت
حياة الحيوان الكبرى	الدميري		دار الفكر بيروت
المحلى	على بن أحمد بن حزم	لجنة إحياء التراث العربي	دار الأفاق الجديدة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء	هلال محمد العيسى		دار الكتاب الحديث مصر
تاريخ واسط	أسلم بن سهل الرزاز	كور كيس عواد	عالم الكتب بيروت
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	شمس الدين محمد الذهبي	على محمد معوض وعلى أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت
نهاية الأرب في فنون الأدب	النويري		وزارة الثقافة مصر
النجوم الزاهرة	جمال الدين أبي المحاسن		وزارة الثقافة مصر
يتمية الدهر في محاسن أهل العصر	الثعالبي	مفيد قميحة	دار الكتب العلمية بيروت
جمع الجواهر في الملح والنوادر	القيرواني	على البجاوي	دار الجيل بيروت
اعتقاد أهل السنة	هبة الله اللالكائي	أحمد سعد حمدان	دار طبية السعودية
المستقصى في أمثال العرب	الزمخشري		دار الكتب العلمية بيروت
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	الثعالبي		دار المعارف مصر
المغرب في حلى المغرب	ابن سعيد المغربي	د. شوقي ضيف	دار المعارف القاهرة
التذكرة الحمدونية	ابن حمدون محمد	إحسان وبكر عباس	دار صادر بيروت
الضوء اللامع	السخاوي		دار مكتبة بيروت
المجروحين من المحدثين والضعفاء	محمد بن حبان البستي	محمود إبراهيم زايد	دار الوعى دمشق
أخبار أبي حنيفة وأصحابه	أبي عبد الله الصيمري		عالم الكتب بيروت
الطيوريات	أبو الحسين الطيوري	دسمان يحيى معالي وعباس صخر الحسن	أضواء السلف الرياض
الحلة السرياء	القضاعي	د/حسين مؤنس	دار المعارف مصر
إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان	ابن الجوزية	محمد حامد الفقى	دار المعرفة بيروت
كتاب الهجاء	دكتور محمد سامى الدهان		دار المعارف مصر
مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه	أحمد بن أبي بكر الكنانى	محمد المنتقى الكشناوي	دار العربية بيروت
المحاسن والمساوئ	البيهقي		دار بيروت للطباعة والنشر
خزانة الأدب وغاية الأرب	الحموي	عصام شقيو	دار ومكتبة الهلال بيروت
لزوم ما لا يلزم	المعري		دار صادر بيروت
ديوان يحيى بن حكم الغزال		محمد رضوان	دار الفكر سوريا

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
		الداية	
كتاب نواذر القضاة	يوسف مروة		دار الفكر اللبناني بيروت
رسالة في اتجاهات شعر الهجاء	محمد يوسف عبد العزيز		
ديوان محمد البغدادي الهاشمي	عبدالله الجبوري		وزارة الإعلام بالعراق
كتاب بغداد	أبي الفضل (ابن طيفور)		مكتبة الخانجي القاهرة
مختصر الكامل في الضعفاء	المقريزي	أيمن بن عارف الدمشقي	مكتبة السنة القاهرة
معجم الأدباء أو إرشاد الأريب	ياقوت الحموي		دار الكتب العلمية بيروت
رفع الإصر عن قضاة مصر	شهاب الدين العسقلاني	د. علي محمد عمر	مكتبة الخانجي لقاهرة
المغنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	ابن قدامة المقدسي		دار الفكر بيروت
التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور		سحنون للنشر والتوزيع تونس
معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم	أبي الحسن أحمد العجلي	عبد العليم عبد العظيم البستوي	مكتبة الدار المدينة المنورة
درر السلوك في سياسة الملوك	الماوردي	فؤاد عبد المنعم أحمد	دار الوطن الرياض
حسن السلوك الحافظ دولة الملوك	محمد بن محمد بن الموصلي	فؤاد عبد المنعم أحمد	دار الوطن الرياض
كتاب من عاش بعد الموت	ابن أبي الدنيا	محمد حسام بيضون	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس	الحافظ أبي الوليد بن يونس	عزت العطار الحسيني	مطبعة المدني القاهرة
تاريخ أسماء الثقات	عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ	صبحي السامرائي	الدار السلفية الكويت
مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج	محمد الخطيب الشربيني		دار الفكر بيروت
مسند ابن الجعد	علي بن الجعد البغدادي	عامر أحمد حيدر	مؤسسة نادر بيروت
المنتخب من مسند عبد بن حميد	عبد بن حميد بن نصر الكسي	صبحي البدرى السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي	مكتبة السنة القاهرة
البحر الرائق شرح كنز الدقائق	زين الدين ابن نجيم الحنفي		دار المعرفة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
شرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى	شهاب الدين المقدسي	جمال عزون	مكتبة العمرين العلمية الشارقة
فوات الوفيات	محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي	على محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت
الثبات عند الممات	ابن الجوزي	عبد الله الليثي الأنصاري	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
من ذيول العبر	محمد بن أحمد الذهبي	د. صلاح الدين المنجد	مطبعة حكومة الكويت
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار	أبو عبد الله محمد الحميري	لافى بروفنصال	دار الجبل بيروت
مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس	أبو نصر الفتح بن خاقان القيسي	محمد على شوابكة	مؤسسة الرسالة بيروت
معرفة علوم الحديث	أبو عبد الله محمد بن الحاكم	السيد معظم حسين	دار الكتب العلمية بيروت
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	الحافظ شهاب الدين العسقلاني	محمد عبد المعيد خان	مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند
خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل فارس	أبو عبد الله عماد نفيس الدين	د. محمد عدنان آل طعمة	مرآة التراث طهران
الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة	أبي عمر يوسف القرطبي		دار الكتب العلمية بيروت
إنباء العُمر بأبناء العمر في التاريخ	شهاب الدين بن حجر العسقلاني	د. محمد عبد المعيد خان	دار الكتب العلمية بيروت
سؤالات أبي عبيد الأجرى أبا داود السجستاني	سليمان بن الأشعث السجستاني	محمد على قاسم العمرى	الجامعة الإسلامية المدينة المنورة
الإرشاد في معرفة علماء الحديث	الخليل بن عبد الله القزويني	د. محمد سعيد عمر إدريس	مكتبة الرشد الرياض
الأحكام السلطانية والولايات الدينية	أبو الحسن على البغدادي		دار الكتب العلمية بيروت
فحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة	محمد بن أمين المحبي	أحمد عناية	دار الكتب العلمية بيروت
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان	شمس الدين محمد بن طولون	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
سؤالات الحافظ السلفي	أحمد بن محمد بن أحمد السلفي	مطاع الطرابيبي	دار الفكر دمشق

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الأوهام التي فى مدخل الحاكم النيسابوري	عبد الغنى بن سعيد الأزدي	مشهور حسن محمود سلمان	مكتبة المنار
الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع	أحمد بن على الخطيب البغدادي	د. محمود الطحان	مكتبة المعارف الرياض
الدارس فى تاريخ المدارس	عبد القادر بن محمد النعيمي	إبراهيم شمس الدين	دار الكتب العلمية بيروت
تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري	على بن الحسن بن عساكر		دار الكتاب العربى بيروت
الأعلام العلية فى مناقب ابن تيمية	عمر بن على بن موسى البزار	زهير الشاويش	المكتب الإسلامى بيروت
الاغتيال لمعرفة من رمى بالاختلاط	إبراهيم بن محمد الطرابلسي	على حسن على عبد الحميد	الوكالة العربية الأردن
منتخب الكلام فى تفسير الأحلام	ابن سيرين		دار الفكر بيروت
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد الزهري		دار صادر بيروت
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان	أبو محمد محمود العيني		الهيئة المصرية للكتاب القاهرة
مختصر تاريخ دمشق	محمد بن مكرم بن منظور		دار الفكر دمشق
الطبقات السنية فى تراجم الحنفية	تقى الدين بن عبد القادر الغزي		مجلس الشؤون الإسلامية القاهرة
جمهرة نسب قریش وأخبارها	الزبير بن بكار بن عبد الله		مكتبة خياط بيروت
الشرح الكبير	ابن قدامة المقدسي		جامعة محمد بن سعود الرياض
صفة صاحب الذوق السليم	جلال الدين السيوطي		دار ابن حزم بيروت
نصاب الاحتساب	عمر السنامي		مكتبة الطالب الجامعى مكة المكرمة
أمالى ابن سمعون	البغدادي		دار البشائر الإسلامية بيروت
خلاصة الأثر فى أعيان القرن الثامن عشر	المجيبى		الشركة المتحدة دمشق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب	أحمد بن محمد التلمساني		دار الكتب العلمية بيروت
أنساب الأشراف	البلاذري		دار المعارف القاهرة
الأهوال	ابن أبى الدنيا		دار اليقين القاهرة
بدائع البدائ	على بن ظافر الأزدي المصري		المكتبة العصرية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
العمدة في محاسن الشعر وآدابه	ابن رشيق القيرواني		المجمع التونسي للعلوم والآداب
حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور	ابن تغري بردي جمال الدين		جامعة كاليفورنيا
التشبيهات لابن أبي عون	أبو اسحاق بن أبي عون		مطبعة جامعة كامبردج
نضرة الاغريض في نصرة القريض	المظفر بن الفضل العلوي		مجمع اللغة العربية
الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث	جلال الدين السيوطي		المكتب الإسلامي بيروت
الكتيبة الكامنة	لسان الدين بن الخطيب		دار الثقافة
معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول	المبارك بن محمد ابن الأثير		مكتبة دار التراث القاهرة
المحمدون من الشعراء	جمال الدين أبو الحسن القفطي		دار ابن كثير دمشق
جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)	الحافظ جلال الدين السيوطي		دار الكتب العلمية بيروت
الورقة	أبو عبد الله محمد بن الجراح		دار المعارف القاهرة
السفر الخامس من كتاب الذيل	أبو عبد الله محمد الأنصاري		دار الجيل بيروت
المغرب			دار المغرب الإسلامي الرباط
ديوان ابن عنين			المجمع العلمي العربي
ديوان بديع الزمان الهمداني			دار الكتب العلمية بيروت
ديوان أحمد محرم			دار الفرقان عمان
ديوان ابن الزقاق البلنسي			دار الثقافة بيروت
ديوان الباخرزي			بدون
تهذيب المدونة	أبو سعيد خلف القيرواني		بدون
العناية شرح الهداية	محمد بن محمد البابرتي		بدون
مغاني الأخبار	أبو محمد محمود العيني		بدون
أمالى ابن المزرع	يموت بن المزرع العبدى		بدون
محاضرة الأدب الأندلسي	دكتور شعبان محمد مرسى		بدون

* * *

[كُتِبَ لِلْمُؤَلِّفِ هِلَالُ مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيسَى]

عضو اتحاد كُتَّاب مصر . عضو اتحاد المؤرخين العرب

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفريقيين والآسيويين

1 - الأيام الخوالي في أخبار النساء والإماء والجواري .

2 - حداثق الأدب .

3 - كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء، من له أذن فليسمع ومن له عين فليقرأ. أقسى ما

قالته العرب والعجم وفلاسفتهم على مر العصور. في كيد وغدر وعدم وفاء النساء وأقسى ما قاله الرجال والنساء في النساء .

4 - المُدْعُون. ذكر نبأ من ادعى الألوهية والنبوة وقرأتهم المزعوم وخبر من تزندق .

5 - العدل في القرآن والسنة وأشهر قصص العدل في الأدب والتاريخ .

6 - قصص الجن وأخبارهم في الدين والتاريخ والأدب العربي .

7 - قصص النفاق وأخبار المنافقين في الدين والتاريخ والأدب العربي .

8 - روائع أبيات الحكم والنصائح والمواعظ والمثل في الشعر والأدب العربي .

9 - سيرة لقمان الحكيم حكمه ونصائحه ووصاياه .

10 - جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل في الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان .

11 - سيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حكمه ونصائحه ووصاياه .

12 - جامع الخشية والرقعة والبكاء .

13 - العقوق والبر .

14 - المضحكات والمبكيات .

15- حكم وأمثال ووصايا من التوراة والتلمود والزبور والأنجيل وأقوال أشهر أبحارهم ورهبانهم .

16- قصة على أبواب الجنة وآخرون على شفير جهنم .

17- الأبحار الثلاثة . إسلامهم — روائع حكمتهم — أشهر أقوالهم .

18- يا بني آدم. أطيعوني بقدر حاجتكم إلىّ واعصوني بقدر صبركم على النار. عتاب من الله خلّقه تحذير وتنبيه .

19- سيرة عابد الحرمينّ التقى النقي الزاهد الباكي الفضيل بن عياض رحمته الله .

20- علماء تضيء بهم الجنان وآخرون تستعر بهم النيران .

الفهرس

5	المقدمة
9	الفصل الأول: المفهوم اللغوي والشرعي للقضاء
11	المفهوم اللغوي للقضاء
13	المفهوم الشرعي للقضاء
15	الفصل الثاني: حكم القضاء
17	حكم القضاء
18	مشروعية القضاء في الكتاب والسنة
19	الحكمة من مشروعية القضاء
23	الفصل الثالث: القرآن الكريم والقضاء
25	القرآن والقضاء وما يتعلق به من الحث على العدل والشهادة بالحق
35	الفصل الرابع: الشروط والصفات الواجب توفُّرها في القاضي
37	الشروط والصفات الواجب توفُّرها في القضاة في النظام القضائي
42	تحديد صلاحية القاضي
42	واجبات القاضي
43	انتهاء ولاية القاضي وأسبابها
45	الفصل الخامس: حقوق الإنسان في الإسلام والسنة
47	حقوق الإنسان في الإسلام والسنة
57	الفصل السادس: استقلال القضاء
59	استقلال القاضي عن السلطة التنفيذية والاستعفاء من القضاء عند تدخل السلطة
63	الرقابة على القضاة في النظام الإسلامي
63	خطورة منصب القضاء
67	الفصل السابع: نصائح رسول الله ﷺ وآخرين وتحذيرهم لكل من تولَّى أمراً من أمور القضاء

87	الفصلُ الثامنُ: ذكرُ كراهيةِ العملِ على القضاءِ ومنْ رفضَ توليَهُ فأكرهَ أو عذَّبَ عليه
119	الفصلُ التاسعُ: منْ نبذَهم أهلُهم وأصدقاؤهم لدخولهم في القضاءِ
123	الفصلُ العاشرُ: قضاةُ زينوا ساحاتِ القضاءِ بعدلهم وموافقهم فزينَ التاريخَ سيرهم
155	الفصلُ الحادى عشر: الرشوةُ والهديةُ وما جاءَ فيهما منَ الأقوالِ
157	تعريف الرشوة لغة
157	مختصر مفهوم الرشوة في الشرع
158	أنواع الهدايا وأحكامها
169	الفصلُ الثانى عشر: قضاةُ ضلّوا الطريقَ فاستحقوا الهجاءَ بأفعالهم
171	مقدمة
173	قضاةُ استحقوا الهجاءَ
329	خاتمة الكتاب
331	فهرس المراجع والمصادر
341	كتب للمؤلف